مركز المحروسة
للنشر و الخدمات الصحفية و المعلومات

المركز القومى للترجمة
المشروع القومى للترجمة

تراجيدية في البداية
هزلية في النهاية

تأليف : سلافوي چيچك

ترجمة : غادة الإمام

2572



مراجعة : محمد مدين

مركز
المحروسة
للنشر و الخدمات الصحفية و المعلومات

يقدم چيچك كتابًا شائقًا، كأنه نافذة على العالم الاقتصادي والسياسي والاجتماعي، نطل منها على الحدثين اللذين يعدان علامةً على بداية العقد الأول من القرن الحادى والعشرين ونهايتها : أي فترة هجوم 11 سبتمبر عام 2001، والأزمة المالية العالمية في عام 2008. كما أنه يكشف عن وجهين للتاريخ : وجه تراجيدي والآخر هزلي؛ فمع أحداث 11 سبتمبر ماتت الليبرالية مرتين : مرة بوصفها مبدأ سياسيًا، والأخرى بوصفها نظريةً اقتصادية.

يعد الكتاب بانوراما للعالم بأحداثه المختلفة وثوراته التي غيرت مجرى التاريخ؛ إذ ينخرط في قلب الأحداث الثورية التحررية، ويعي معناها الحقيقي؛ فلا ينبغي أن تُقاس أى ثورة بما أتاحته من لحظات الروعة والسمو فى فترة استعارتها المذهلة، وإنما تُقاس بالتغييرات التي يتركها هذا الحدث الكبير على مستوى الحياة اليومية وينطبع تأثيره عليها، أي تُقاس بالعهد الجديد بعد التمرد والثورة

تصميم الغلاف : رشا عبدالله



ISBN 9789777189910
9 789777 189910

تراجيدية في البداية..
هزلية في النهاية

تأليف : سلافوي چيچك

ترجمة : غادة الإمام

مراجعة : محمد مدين

المركز القومي للترجمة

تأسس فى أكتوبر 2006
تحت إشراف :جابر عصفور
مدير المركز : أنور مغيث

مركز المحروسة
للنشر و الخدمات الصحفية و المعلومات

قطعة رقم 7399 ش28 من ش 9 - المقطم - القاهرة
ت، ف : 002-02-25075917
www.mahrousaeg.com
e.mail : info@mahrousaeg.com
e.mail : mahrosacenter@gmail.com

رئيس مجلس الإدارة : فريد زهران

- تراجيدية في البداية.. هزلية في النهاية
- سلافوى چيچك
- غادة الإمام
- محمد مدين

- العدد : 2572
- الطبعة الأولى : 2015
- اللغة : الإنجليزية
- رقم الإيداع : 2014/23935
- الترقيم الدولى : 978-977-728-991-6
- الإشراف الفنى : حسن كامل

تراجيدية في البداية..
هزلية في النهاية

هذه ترجمة كتاب :

First as Tragedy, Then as Farce
By: Slavoj Žižek

شارع الجبلاية بالأوبرا- الجزيرة- القاهرة. ت: 27354524 فاكس: 27354554
El Gabalaya St. Opera House, El Gezira, Cairo.
E-mail: nctegypt@nctegypt.org Tel: 27354524 Fax: 27354554

بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشئون الفنية

چيچك، سلافوى،

تراجيدية فى البداية.. هزلية فى النهاية/ تأليف: سلافوي چيچك؛ ترجمة: غادة الإمام؛ مراجعة: محمد مدين

ط1 - القاهرة : المركز القومى للترجمة، 2015.

213 ص ؛ 17 × 24سم؛

تدمك : 6 991 718 977 978

1- العالم - تاريخ.

2- العالم - الأحوال الاجتماعية.

3- العالم - الأحوال الاقتصادية.

أ- الإمام، غادة (مترجمة)

ب- مدين، محمد (مراجع)

ج- العنوان. 909

رقم الإيداع : 2014/23935

المحتويات

المقدمة

دروس العقد الأول

يتمثل القصد من عنوان هذا الكتاب في كونه مقياسًا أوّليًا لمعدل ذكاء القارئ، فإذا كان أول ما يفعله أنه يولّد لديه العداء المعهود للشيوعية، ويجعله يؤكد على " أنتم اليوم على صواب، وذلك بعد تراجيديا التكتلات والنزعات الشمولية في القرن العشرين؛ فإن كل حديث عن العودة إلى الشيوعية يمكن أن يكون حديثًا هزليًا فحسب ! " - ومن ثم، فإنني أنصحكم بإخلاص أن تتوقفوا عند هذا الحد. حقًا، إن الكتاب ينبغي وعلى نحو قوي أن يُصادر منكم؛ ما دام أنه يتعامل مع أمرين مختلفين كليةً، وهما: التراجيديا والهزلية، فهو يتعامل مع الحدثين اللذين يعدان علامة على بداية ونهاية العقد الأول من القرن الواحد والعشرين: أي هجوم ١١ سبتمبر، عام ٢٠٠١ والأزمة المالية العالمية في عام ٢٠٠٨.

ينبغي علينا أن نلاحظ التماثل بين لغة الرئيس بوش Bush في خطابه إلى الشعب الأمريكي بعد أحداث ١١ سبتمبر وخطابه بعد الانهيار المالي: فما سمعه الأمريكان يبدو إلى حدٍّ بعيد وكأنه نسختان للخطاب نفسه، ففي كلا الخطابين كشف بوش التهديد الذي يتعرض له أسلوب الحياة الأمريكية، والحاجة إلى اتخاذ الإجراءات السريعة

والحاسمة للتعامل مع الخطر ومواجهته، وفي كلا الخطابين دعا إلى التعليق الجزئي للقيم الأمريكية وإرجائها (من قبيل: كفالة الحرية الفردية وضمانها، والسوق الرأسمالية) لحماية تلك القيم ذاتها. فمن أين يأتي هذا التماثل؟

لقد بدأ ماركس Marx كتابه المعنون باسم برومر[*] الثامن عشر ***Eighteenth Brumaire*** بتصحيح فكرة هيجل Hegel عن أن التاريخ يكرر نفسه بشكل ضروري: "فقد لاحظ هيجل في سياق ما بأن كل الأحداث العظيمة والخصائص المميزة لتاريخ العالم تحدث مرتين. ولكنه نسى أن يُضيف: بأنها تحدث في المرة الأولى بوصفها تراجيدية ومأساة، وفي المرة الثانية بوصفها أحداثا هزلية "[1]. هذه الإضافة والتنقيح لفكرة هيجل عن التكرار التاريخي كانت شكلاً بلاغيًا لازم ماركس بالفعل واستحوذ على فكره قبل ذلك بسنوات، وتردد كثيرًا على لسانه في فترة مبكرة: فإننا نجده في مقالته المعنونة باسم " إسهام في نقد فلسفة الحق عند هيجل ***A Contribution to the Critique of Hegel's Philosophy of Right*** "، يقوم بعملية تشخيص انحطاط نظام الحكم الألماني القديم في الثلاثينيات والأربعينيات من القرن التاسع عشر بوصفه تكرارًا هزليًا للسقوط التراجيدي والمأسوي لنظام الحكم الفرنسي القديم :

" لمن المفيد والنافع (للأمم الحديثة) أن ترى نظام الحكم القديم، هذا النظام الذي اختبر في بلادهم مأساته، يلعب دوره الكوميدي بوصفه شبحًا أو وهمًا ألمانيًا. فتاريخها كان تراجيديًا بقدر أنه كان قوة موجودة من قبل في العالم، وكانت الحرية وهمٌ وهوى أو نزوة شخصية - أو بإيجاز، بقدر ما يكون التاريخ موضوعًا للاعتقاد، فإن علينا تصديقه والإيمان به، وبقدر ما يكون نظام الحكم القديم - بوصفه نظام عالم قائم، كان صراعًا ضد العالم الذي ظهر للتو أو ظهر حديثًا؛ فإن هناك - إذن- خطأً تاريخياً يتعلق بالعالم، وليس خطأً شخصيًا، ولذلك، فتدهوره وسقوطه كان تراجيديًا ".

أما الحكم الألماني الراهن، والذي يعد - من جهة أخرى - بمثابة مفارقة تاريخية[*]، وتناقض صارخ للبديهيات المقبولة عالميًا، فعبث الحكم القديم ظهر للعالم كله بحيث أتيح للعالم أن يرى أنه - يتخيل، فحسب، بأنه مازال يعتقد في مغزى وأهمية وجوده

---

[*] برومر : هو شهر الضبّاب أو الشهر الثاني في روزنامة الثورة الفرنسية. (المترجم).

[1] Karl Marx , " The Eighteenth Brumaire of Louis Bonaparte " , in *Surveys from Exile* , edited and introduced by David Fernbach, Harmondsworth : Penguin 1973, *P.* 146.

[*] المفارقة التاريخية كأن تقول: إن يوليوس قيصر استخدم التليفون، أو إن نابليون استقل طائرة، أي أنه شيء يحدث في غير زمانه الصحيح. (المترجم).

في ذاته، ويطلب من العالم أن يشاركه ويتقاسمه في تخيله ووهمه، ولكن، إذا آمن في ذاته واعتقد في مغزى وأهمية طبيعته الخاصة، فهل يمكن أن يحاول أن يخفي، ويحجب تلك الطبيعة تحت مظهر طبيعة مغايرة، وأن ينشد خلاصه من الرياء والسفسطة ؟ إن الحكم القديم الحديث هو بالأحرى مهرجٌ نظام عالم أبطاله الحقيقيين والواقعيين في عداد الموتى، فالتاريخ تام وكامل، ويجتاز مراحل عديدة، بينما يحمل الشكل القديم إلى قبره.

إن الطور الأخير للشكل التاريخي للعالم إنما يكون في كوميديته، فالآلهة اليونانيون، الذين ماتوا بالفعل في يوم ما إثر جروحهم في تراجيديا إسكيلوس Aeschylus المعنونة باسم بروميثيوس المُقيَّد *Prometheus Bound*، أجبروا على أن يموتوا موتهم الثاني - وهو موت يعد في هذه المرة موتًا كوميديًا - كما يتبدى في **حوارات لوسيان** ***Lucian's Dialogues***. فلماذا يتخذ التاريخ هذا المسار؟ بحيث أن الجنس البشري يستحوذ عليه ماضيه بسعادة، ونمنح هذه السعادة الأهلية وندعمها بالقدر والمصير التاريخي للقوى السياسية الألمانية.(٢)

ونلاحظ أن الطابع المميَّز المتقن لنظام الحكم الألماني القديم باعتباره نظامًا يبدو كأنه كمثل المرء الذي " يتخيل فحسب أنه مازال يعتقد في مغزاه وأهميته في ذاته " - ويمكن حتى أن يتأمل المرء في معنى حقيقة ذلك الأمر، حيث إنه في أثناء الفترة نفسها أشاع كيركجارد Kierkegaard فكرته عن أننا نحن البشر لا يمكن أن نكون على يقين قط من أننا نعتقد: وإننا - في نهاية الأمر - في الحقيقة نعتقد فحسب في أننا نعتقد"، فإن صيغة نظام ما للحكم الذي " يتخيل فحسب أنه يعتقد في مغزاه وأهميته في ذاته" تُدرك بدقة إلغاء القوة المتشكلة، التي يمكن العمل بها (" القدرة والفاعليَّة الرمزية ") للإيديولوجيا المهيمنة والحاكمة: فإنها لم تعد تؤدي وظيفتها بكيفية مؤثِّرة وفعالة بوصفها بنيةً رئيسة للارتباط الاجتماعي، ومن الممكن هنا أن نسأل، ألا نكون اليوم في الموقف نفسه؟ وبالمثل ألا يكون المبشرون والمناصرون - في الوقت الراهن - للديمقراطية الحرة " يتخيلون، فحسب، أنهم يعتقدون في مغزاهم وأهميتهم في ذاتهم "، في منطوقاتهم أو تعبيراتهم عن أنفسهم؟ ففي الحقيقة سيكون أكثر ملاءمة أن نصف مذهب الكلبية المعاصر بوصفه تمثيلاً للقَلْب والتحوُّل الدقيق لعبارة ماركس: اليوم،

---

(٢) Karl Marx , " A Contribution to the Critique of Hegel's Philosophy of Right ", in ***Early Writings*** , introduced by Lucio Colletti , Harmondsworth : penguin 1975, *PP*. 247-8.

برغم أننا اليوم نتخيل فحسب أننا لا " نعتقد بالفعل ولا نؤمن " في مغزى وأهمية إيديولوجيتنا - ورغم هذه المسافة التخيُّلية، فإننا مازلنا مستمرين في ممارستها. إننا لا نعتقد أقل؛ وإنما نعتقد أكثر بكثير مما نتخيل أننا نعتقد، وهكذا، فقد كان بنيامين Benjamin متكهنًا - حقًا - بالمستقبل في ملاحظته التي يقول فيها: "إن كل شيء يتوقف على كيفية وأسلوب إيمان المرء بمعتقداته الخاصة "[٢].

في الاثنتي عشرة سنة السابقة على ١١/٩، وذلك في ٩ نوفمبر ١٩٨٩، أي فترة سقوط حائط برلين Berlin. بدا هذا الحدث أنه إعلان عن بداية " التسعينيات السعيدة"، أي يوتوبيا فرانسيس فوكوياما Francis Fukuyama عن "نهاية التاريخ"، وعن الاعتقاد بأن الديمقراطية الليبرالية - مبدئيًا - قد انتصرت، وأن ظهور المجتمع العالمي الليبرالي كان تقريبًا يحوم حول الأجواء، وأن تلك العقبات إزاء نهاية أسلوب - هوليوود Hollywood كانت تجريبية وعارضة بشكل خالص (إن الجماعات المحلية للمقاومة لم يُدرك قادتها بعد أن زمنها انتهى)، أما ١١ سبتمبر - فعلى العكس من ذلك - رَمزَ إلى نهاية عصر كلينتون Clintonite، وبَشَّر بالحقبة التي كان يُرى فيها ظهور الأسوار الجديدة في كل مكان: أسوار بين إسرائيل Israel والضفة الغربية West Bank، وأسوار حول الاتحاد الأوروبي Union European، وأسوار على طول حدود الولايات المتحدة الأمريكية - والمكسيك Mexico، ليس ذلك فحسب؛ وإنما أسوار داخل الولايات المتحدة نفسها.

في مقالة بجريدة " نيوز ويك *Newsweek* "، يقرر كلٌ من الصحفيين إميلي فلين فينكات Emily Flynn Vencat وجينان براونل Ginanne Brownell أسلوب الحياة والنحو الذي تكون عليه في هذه الأيام :

" تتبدى ظاهرة الأفراد فحسب وتتفجر في أسلوب الحياة بأكملها، التي تكتنف كل شيء وتطوقه بدءًا من الشروط البنكية الخاصة إلى العيادات الصحية الخاصة، التي تعمل بطرية الدعوة فحسب Invitation Only فإن أولئك الذين يتمتعون بالمال وينغلقون، وعلى نحو متزايد، على حياتهم الكاملة خلف الأبواب المغلقة، وذلك بدلاً من الالتفات للأحداث الجسيمة، التي لها ثِقلها عبر وسائل الإعلام، يهتمون بتنظيم الحفلات الموسيقية الخاصة، وعروض الموضة ويقيمون معارض للفن في بيوتهم. هم يتسوقون بعض ساعات بينما جيرانهم (وأصدقاؤهم المقربون) يسعون للوصول إلى طبقة اجتماعية أعلى، وإلى المال.

---

[٢] Walter Benjamin , *Gesammelte Briefe*, Vol. I , Frankfurt : Suhrkamp Verlag 1995, *P.* 182.

وهكذا، فإن طبقة عالمية جديدة تخرج إلى حيز الوجود، لنقول إن هذا يتجلى على النحو التالي: في جواز سفر هندي، وقلعة في اسكوتلاندا Scotland، واستراحة في مانهاتن Manhattan والجزيرة الكريبية الخاصة " - ولكن المفارقة والتناقض الظاهري يكون على النحو التالي، أن أعضاء هذه الطبقة العالمية " يتناولون الطعام على انفراد، ويتسوقون على انفراد، ويرون الفن ويتذوقونه على انفراد، كل شيء يكون شخصيًا خاصًا، خاصًا، خاصًا "، فهم هكذا يبدعون عالم حياتهم بأسلوبهم الخاص ليحلوا مشكلتهم التفسيرية المفجعة، على نحو ما عبر عن ذلك تود ميلاي Todd Millay بقوله: " إن العائلات الثرية لا تستطيع أن تدعو الناس بشكل متكرر وأن تتوقع منهم أن يقدروا، ماذا يعني أن يكون لديك ٣٠٠ مليون دولار "، ولذا، فما هي طبيعة ارتباطاتهم وعلاقاتهم بالعالم بالمعنى الواسع؟ إن هذه الارتباطات والعلاقات تأتي في صورتين: العمل والنزعة الإنسانية (كحماية البيئة، ومحاربة الأمراض، ودعم الفنون.. إلخ)، فهولاء المواطنون العالميون يعيشون حياتهم غالبًا في طبيعتها الفطرية - سواء كانوا يرتحلون إلى باتاجونيا Patagonia أو يسبحون في المياه الصافية بجزرهم الخاصة، وليس بوسع المرء هنا أن يقدم عونًا؛ وإنما يمكنه أن يضع يده على أن أحد الأشكال الرئيسة لاتجاه مسلك أولئك الأثرياء هو الخوف. الخوف من الحياة الاجتماعية الخارجية ذاتها، فإن أعلى أولويات وأسبقيات هكذا " للقيمة الفائقة الخالصة لهؤلاء الأفراد " تكمن في كيفية الحد أو التقليل من المخاطر، التي تتعرض لها الأرض- كالأمراض، والتعرض لتهديدات الجريمة العنيفة، وهكذا دواليك [٤].

ففي الصين China المعاصرة شيد الأثرياء الجدد مجتمعات منعزلة على غرار طراز المدن الغربية " النموذجية "، فنجد - على سبيل المثال - مدينة بالقرب من شانجهاي Shanghai تعد صورةً " واقعيةً " طبق الأصل من مدينة إنجليزية صغيرة، تشتمل على الشارع الرئيس بما فيه من الحانات، والكنيسة الأنجليكانية الإنجليزية، وسوبر ماركت سنسبري Sainsbury.. إلخ- فالمنطقة بأكملها منعزلة عن البيئة المحيطة بها عن طريق قبة غير مرئية، ولكنها ليست أقل واقعية، ولذا لم يعد هناك تراتبية طبقية أو تفاوت طبقي في الجماعات الاجتماعية داخل الأمة نفسها - فالقاطنون في هذه المدينة يعيشون في عالم يعتقدون ويؤمنون في حدود خياله الإيديولوجي - بأن " الطبقة الأدنى " في العالم المحيط بهم - ببساطة - لا توجد. هل لا يكون أولئك " المواطنون العالميون "

---

[٤] Emily Flynn Vencat and Ginanne Brownell , " Ah , the secluded life ," in <u>*Newsweek*</u>, December 10 , 2007.

الذين يعيشون في مناطق منعزلة هم القطب - المقابل لأولئك الذين يعيشون في الأحياء الفقيرة، وفي سائر " البقاع البيضاء white spots " في المنطقة أو المحيط العام ؟ إنهما - بالفعل - وجهان لعملة واحدة، فهما أقصى نتاج للتقسيم الطبقي الجديد، وتعد مدينة ساو باولو São Paulo في لولا Lula بالبرازيل Brazil أفضل تجسدًا لهذا التقسيم، حيث تفتخر بوجود ٢٥٠ مهبطا للهليكوبتر في منطقة وسط المدينة المركزية. إذ يفضل أثرياء ساو باولو أن يستخدموا الطائرات الهليكوبتر؛ حتى يعزلوا أنفسهم عن مخاطر الاختلاط بالناس العاديين، ولذلك حينما ينظر المرء للمدينة من قبة السماء؛ فإنه سيشعر بالفعل كما لو كان في مدينة ضخمة مستقبلية من النمط المصور في الأفلام من قبيل فيلم " شفرة عدّاء *Blade Runner* " أو فيلم " العنصر الخامس *The Fifth Element* "، تصور الناس العاديين المحتشدين خلال الشوارع الخطرة على الأرض، في الأسفل، بينما يحلق الأثرياء على مستوى أعلى في الهواء.

وهكذا، يبدو أن يوتوبيا فوكوياما للتسعينيات عليها أن تموت مرتين، طالما أن انهيار اليوتوبيا السياسية الديمقراطية - الليبرالية في٩/ ١١م تؤثر على اليوتوبيا الاقتصادية لرأسمالية السوق العالمية؛ وبالتالي إذا كان للأزمة المالية العالمية، التي حدثت في ٢٠٠٨ معنى ومغزى تاريخي؛ فإنه يعد - إذن - بمثابة علامة على نهاية الجانب أو الوجه الاقتصادي لحلم فوكوياما، وهو ما يجعلنا نرتد إلى تفسير وشرح ماركس لهيجل - ففي مقدمته للطبعة الجديدة لكتاب **برومر الثامن عشر** في الستينيات- أضاف هربرت ماركيوز Herbert Marcuse منعطفًا جديدًا نراه يقول: في بعض الأحيان يكون التكرار، الذي يأخذ صورة هزلية أكثر رعبًا من التراجيديا الأصلية.

يتناول هذا الكتاب الأزمة المستمرة بوصفها نقطةً بدايةً، للتوجه تدريجيًا إلى "الموضوعات المتعلقة بها "، عن طريق كشف وتعرية أسبابها وتحدداتها وما يترتب عليها وما يلزم عنها.

يشير الفصل الأول إلى تشخيص وتحليل مأزقنا، واستخلاص الأساس واللب اليوتوبيي للإيديولوجيا الرأسمالية، التي تحدد كلٌ من الأزمة نفسها وأسلوب إدراكاتنا وتصوراتنا لهذه الأزمة واستجاباتنا لها، أما الفصل الثاني فيحاول أن يموضع أوجه موقفنا الذي يفتح ويفسح مكانًا للأشكال الجديدة للعمل الشيوعي.

فما يعرضه الكتاب ويقدمه ليس تحليلاً حياديًا؛ وإنما هو تحليل منخرط في قلب الأحداث و"جزئي " للغاية - لأن الحقيقة جزئية، ويمكن الاقتراب منها فقط عندما يتبنى المرء موقفًا معينًا ويميل إليه، ولكنها ليست لهذا السبب أقل كلية، والجانب الذي نتحيز

ونميل إليه هنا هو - بالطبع - الشيوعية، حيث أدرنو Adorno يبدأ كتابه المعنون باسم **دراسات ثلاث عن هيجل** ***Three Studies on Hegel*** بالرد على السؤال التقليدي الخاص بهيجل، وهو الذي يمثله، وعبر عنه عنوان كتاب بندتو كروتشه Benedetto Croce : ما الذي بقى حيًا وما الذي مات في فلسفة هيجل ؟ ***What Is Living and What Is Dead in the Philosophy of Hegel?*** مثل هذا السؤال يفترض مسبقًا - من جانب المؤلف - تبني موقف يتسم بالغطرسة والتكبر والتعالي باعتباره قاضيًا يحكم على الماضي؛ ولكن عندما نتعامل مع فيلسوف عظيم بحق؛ فإن السؤال الحقيقي الذي ينبثق هنا لا يتعلق بما لايزال بإمكان هذا الفيلسوف أن يخبرنا به، وبما لا يزال بإمكانه أن يعني لنا؛ وإنما بالأحرى، وفي مقابل ذلك، يتعلق السؤال بما نكونه نحن، وبما يمكن أن يكون موقفنا المعاصر - من وجهة نظره - وكيف يفترض أن تتبدى حقبتنا لفكره، ويجب أن ينطبق الشيء نفسه على الشيوعية، فبدلاً من طرح السؤال الواضح: " هل فكرة الشيوعية ما زالت ملائمة اليوم، وهل لا يزال بالإمكان أن تستخدم بوصفها أداة للتحليل وللممارسة السياسية؟ وإنما ينبغي على المرء أن يطرح السؤال المقابل: " كيف يبدو مأزقنا الراهن من منظور الفكرة الشيوعية؟ وهنا يكمن جدل القديم والجديد: حيث إن أولئك الذين يقترحون عملية الإبداع المستمر للمفاهيم الجديدة (من قبيل " مجتمع ما بعد الحداثة "، " مجتمع المخاطرة "، " المجتمع المعلوماتي"، " مجتمع ما بعد الصناعية "... إلخ)، من أجل فهم واستيعاب ما يحدث ويجري في الوقت الراهن، هم أولئك الذين يفتقرون حقًا لإدراك ما هو جديد بالفعل، فالأسلوب الوحيد لفهم واستيعاب الجدّة والحداثة الحقيقية للجديد هو أن تقوم بعملية تحليل العالم عبر عدسات ما كان " خالدًا " في الماضي، فإذا كانت الشيوعية بالفعل فكرة " خالدة "؛ فإنها من ثم تعمل بوصفها " كلية عينية هيجليةً ": فهي خالدة ليس بمعنى أنها سلسلة من الأشكال الكلية المجردة، التي يمكن تطبيقها في أي مكان، وإنما هي خالدة بمعنى أنها يجب أن يُعاد ابتكارها من جديد في كل موقف تاريخي جديد.

ففي الأيام الماضية الجيدة للوجود الفعلي والحقيقي للاشتراكية، دَرَجَ استخدام طرفة شائعة بين المعارضين لتوضيح عبث حججهم وعدم جدواها. ففي القرن الخامس عشر عندما استولى المغول Mongols على روسيا Russia، كان هناك فلاح وزوجته يسيران خلال طريق البلدة المتّرب والمغبّر، فإذا بأحد جنود المغول يمتطي جواده ويقف بجانبهم، وأخبر الفلاح بأنه سوف يغتصب زوجته الآن، ثم أضاف قائلاً: " ولكن طالما أنه يوجد تراب كثير على الأرض؛ فيجب عليك أن تمسك خُصياتي أثناء أغتصابي لزوجتك ؛ حتى لا يتسخان! " وبمجرد ما فعل المغولي فعلته هذه حتى مضى بعيدًا ممتطيًا

جواده، وبدأ الفلاح بالضحك والقفز بفرحة غامرة. وإذ به يندهش من سؤال زوجته : "كيف يمكنك أن تقفز بفرحة غامرة بينما كنت أُغتصب بشراسة في حضورك ؟ " فأجاب عليها الفلاح بقوله :" لكنني نلت منه! فلقد غُطى باطن يديه وقدميه بالتراب ! ". تُظهر هذه الطرفة الحزينة مأزق المعارضين: إذ اعتقدوا بأنهم كانوا يتعاملون مع صفوة الحزب الشيوعي، ولكن كل ما كانوا يفعلونه هو مجرد تلطيخ لخصيات هؤلاء الأعضاء، بينما الصفوة المهيمنة والمتسلطة مستمرة في اغتصاب الشعب.

أليس الحزب اليساري المعارض اليوم في مكانة مماثلة ؟ (ضمن الأسماء المعاصرة المتسلطة، التي تلطخ دومًا المصطلحات نوعٍ ما، يمكننا أن نذكر قائمة بها على النحو التالي: " توزيع السلطات " أو " حماية الحريات الفردية ")، ففي المواجهة المشهورة بجامعة سالامانكا Salamanca في عام ١٩٣٦ تهكم ميجل ديه أونامونو Miguel de Unamuno على أتباع الملك فرانكو the Francoists بقوله: (" سوف تنتصرون وتفوزون، ولكنكم لن تقنعوا ") - هل هذا كل ما يمكن أن يقوله الحزب اليساري المعارض في الوقت الراهن عن الرأسمالية العالمية المنتصرة؟ فهل قدَّر سلفًا للحزب اليساري المعارض الاستمرار في أن يلعب دور أولئك الذين - على العكس من ذلك - يقنعون، ولكنهم - مع ذلك - ما زالوا ينهزمون ويخسرون (وعلى وجه التحديد هل هم يخسرون في التفسير بشكل تراجعي لأسباب إخفاقهم الخاص) ؟ فمهمتنا هي الكشف عن كيفية التقدم خطوة أبعد من ذلك، فأطروحتنا عن انهيار اليوتوبيا السياسية الديمقراطية الليبرالية في نوفمبر ينبغي أن تكون على النحو التالي: قد نجح فحسب اليساريون المعارضون في مجتماعاتنا من قبل في تلطيخ أولئك الذين في يدهم السلطة، مع أن حقيقة الأمر أنهم قاموا بإخصائهم فحسب.

ولكن، كيف يمكننا القيام بهذا ؟ إننا ينبغي أن نتعلم هنا من خلال الإخفاقات السياسية اليسارية في القرن العشرين، فلا تكمن المهمة في أن نقود الخِصاء إلى مواجهة مباشرة على الساحة؛ وإنما في أن نقوِّض أولئك الذين في يدهم السلطة بالعمل النقدي - الإيديولوجي المتأن؛ ولذلك برغم أنه مازال في يدهم السلطة، فإن المرء يلاحظ فجأة أن القوى - التي - تكون أو توجد قد تُبتلى بأصوات صاخبة بشكل غير طبيعي. لنرتد إلى الستينيات - حيث أطلق جاك لاكان J. Lacan على مجلة مدرسته الشهرية غير الدورية، التي لم تدم كثيرًا اسم " سيليست *Scilicet* " - لم تكن الرسالة هي المعنى السائد للكلمة في الوقت الراهن (" يعني "، " أن تعلم وتدرك " هو " أن تقول ")، وإنما معناها الحرفي هو " من المباح لك أن تعرف".

(أن تعرف ماذا ؟ - فما الذي تعتقده وتفكر فيه المدرسة الفرويدية في باريس Paris عن اللا وعي). أما اليوم، ينبغي أن تكون رسالتنا على النحو نفسه، وهي أنه : من المباح لك أن تعرف وأن تنخرط كاملاً في الشيوعية، وأن تُفعل بصحة كاملة الفكرة الشيوعية من جديد. أن السماح والاتاحة الليبرالية تتعلق بما " يعني " أن يُسمح لك أن ترى، لكن الولع والافتتان بالشناعة والفحش يسمح لنا ملاحظة أنه يمنعنا عن معرفة طبيعة ما نراه.

إن الفحوى والمغزى الأخلاقي لهذه القصة هي : أن زمان الابتزاز الأخلاقي الديمقراطي - الليبرالي انتهي وانقضى. فمن جانب لم يعد من الواجب علينا أن نستمر في الاعتذار للآخرين، بينما من الجانب الآخر سيكون من الأفضل إذا بدأنا في التو.

****

الفصل الأول

إنها إيديولوجيا.. أيها الأحمق!

هل هي اشتراكية رأسمالية ؟

إن الشيء الوحيد المثير والمحير بحق والمتعلق بالأزمة المالية العالمية في عام ٢٠٠٨ هو كيف، وعلى نحو يسير، تم التسليم بالفكرة التي ترى أن حدوثها كان مفاجأة لا يمكن التنبؤ بها تلك التي أطاحت بالأسواق وهبطت عليها من السماء. فلنستدعي المظاهرات التي، انتشرت في كل مكان في العقد الأول من الألفية الجديدة، صاحبت اجتماعات صندوق النقد الدولي والبنك الدولي بانتظام: حيث إن شكوى المعارضين لم تنطوِ فحسب على الملامح البارزة المألوفة للنزعة المضادة للطابع العالمي (أي الاستغلال المتنامي لبلدان العالم الثالث، وهكذا دواليك) ؛ وإنما أيضًا على كيفية إبداع البنوك لوهم النمو والتقدم عن طريق اللعب بالأموال الوهمية، وكيف سيجبر هذا الأمر الكل على الانتهاء إلى حالة الإفلاس والانهيار. فلم يكن علماء الاقتصاد وحدهم فحسب من أمثال بول كروجمان Paul Krugman وجوزيف ستيجليتز Joseph Stiglitz الذين حذروا من الأخطار القادمة فحسب ؛ وإنما بينوا، بالإضافة إلى ذلك، أن أولئك الذين وعدوا بالنمو والتقدم المستمر لم يدركوا حقًا حقيقة ما يجري تحت أنوفهم [أي ما

يجري حولهم من أحداث] * . ففي واشنطن Washington عام ٢٠٠٤، تظاهر الغالبية العظمى من الناس بسبب خطر الانهيار المالي، الأمر الذي دفع الشرطة إلى تحريك ثمانية آلاف من.رجال الشرطة المحلية، فضلاً عن جلب قوة إضافية أخرى تتكون من ستة آلاف شرطي من ماريلاند Maryland وفيرجنيا Virginia. حيث تعرض رجال الشرطة لهم بالغازات السامة، وألقوا القبض على العديد من المحتشدين والمتظاهرين - حتى اضطرت الشرطة إلى استخدام الأتوبيسات لنقل المتظاهرين إلى قسم الشرطة. قد كانت، إذن، الرسالة صاخبة وواضحة، فقد اعتادت الشرطة، وبالمعنى الحرفي، أن تخمد الحقيقة.

وبعد هذا الجهد الدائم والمستمر للتجاهل المتعمد، لا نندهش عندما تتفشى الأزمة أخيرًا، بوصفها إحدى المشاركات في هذا الوضع،" فلم (يعرف) أحد حقًا ما الذي يفعله ". والسبب هنا هو أن التوقعات جزء من اللعبة : فلا يتوقف الأسلوب الذي ستستجيب به السوق على عدد المواطنين الذين يثقون في هذا أو ذاك التدخل الحكومي فحسب ؛ وإنما بالأحرى يتوقف – كذلك - على مقدار الذين يعتقدون أن الآخرين سوف يثقون فيهم – فليس بوسع المرء أن يأخذ في اعتباره تأثيرات اختيارات المرء الخاصة. فمنذ فترة طويلة مضت، أصدر جون مينارد كينز John Maynard Keynes، وعلى نحو دقيق، هذا الاستشهاد الذاتي عندما قارن البورصة بالمنافسة السخيفة التي يجب فيها على المشاركين أن ينتقوا بعض الفتيات الجميلات من بين مئات الصور الفوتوغرافية، والفائز هو الشخص الذي يختار الفتيات الأقرب إلى متوسط معدل الرأي العام : " إنها ليست حالة اختيار أولئك اللاتي يعدن – بالنسبة لأفضل حكم للشخص – الأجمل بالفعل، ولا حتى أولئك اللاتي يعتقد متوسط معدل الرأي العام عنهن – باخلاص - بأنهن الأجمل. فإننا قد بلغنا إلى مرتبة ثالثة حيث نكرّس ذكاؤنا في توقع ما سيتوقعه متوسط معدل الرأي العام بشأن متوسط معدل الرأي العام الذي سيوجد بالفعل "[١]. ولذلك، فإننا قد أجبرنا على أن نختار بدون اقتنائنا للمعرفة التي سوف تُمكننا من الاختيار الكفء،أو كما يقول جون جراي John Gray : " إننا أجبرنا على أن نحيا كما لو كنا أحرارًا "[٢].

* ما بين هذه الأقواس [ ] إضافة من جانبنا وليس جزءًا من النص.

(١) John Maynard Keynes , ***The General Theory of Employment , Interest and Money,*** New York : Management Laboratory , Press 2009 , Chapter 12.

(٢) John Gray , ***Straw Dogs,*** New York : Farrar Straus and Giroux 2007 , P. 110.

إننا على قمة الأزمة المالية العالمية - كما كتب ذلك جوزيف ستيجليتز - برغم الاتفاق المتنامي فيما بين رجال الاقتصاد على أن أي إنقاذ من الأزمة مرتكز على خطة وزير الخزانة الأمريكي هنري بولسون Henry Paulson لن تُجدي وتنفع، فإنه من المستحيل بالنسبة للسياسيين بألا يفعلون شيئًا في مثل هذه الأزمة. ولذلك، فإننا ربما يجب علينا أن نبتهل ونرجو من أي اتفاق أُقيم بخليط سام من المصالح والاهتمامات الخاصة، ذلك الذي ضلل الاقتصاد، فايديولوجيات الائتلاف اليمني التي انتجت الأزمة يمكنها بأسلوب ما إن تنتج خطة منقذة من الأزمة تُجدي وتنفع، أو حتى إن أخفقت فإنها لن تحدث ضررًا جسيمًا[٣].

إنه محق في كلامه السابق، حيث إن الأسواق مرتكزة بكيفية مؤثرة وفعّالة على الاعتقادات (حتى اعتقادات عن اعتقادات الآخرين) ؛ ولذا فعندما تُبدي وسائل الأعلام قلقها بشأن " الأسلوب الذي ستستجيب به الأسواق " لخطة الإنقاذ من الأزمة، فإن السؤال عندئذ لن يكون عن نتائجها الواقعية فحسب ؛ وإنما أيضًا عن مدى اعتقاد الأسواق في فاعلية هذه الخطة وتأثيرها. وهذا يوضح سبب الاعتقاد بأن خطة الإنقاذ من الأزمة قد تجدي وتنفع حتى لو كانت بشكل اقتصادي خطأ من الأساس[٤].

إن الإلحاح على " أن تفعل شيئًا ما " يبدو هنا كأنه مثل الإلزام الخرافي للقيام ببعض الإيماءات الحركية عندما نلاحظ عملية ليس لنا عليها أي تأثير واقعي، ألا تكون أفعالنا، غالبًا، مثل هذه الإيماءات الحركية ؟ فالقول المأثور " لا تتحدث فحسب، بل أفعل شيئًا ما ! "هو من أكثر الأشياء التي يمكن أن يقولها المرء حمقًا، حتى لو قُيمت وقيست بالمستوى الأدنى من معايير وأسس الحس العام أو المشترك. وعلى العكس من ذلك، بالطبع، فالمشكلة في شكلها الأخير، ربما كانت أننا قد كنا نفعل كثيرًا للغاية، كأن نتدخل، على سبيل المثال، في الطبيعة، أو ندمر البيئة وهكذا دواليك وبالطبع، لقد حان الوقت لنرتد خطوة للوراء، كي نفكر ونقول الشيء الصائب. ففي الحقيقة، إننا غالبًا نتحدث عن شيئًا ما بدلاً من القيام به ؛ ولكننا في بعض الأحيان كذلك نفعل الأشياء من أجل أن نتجنب الحديث عنها والتفكير فيها. على نحو الاستغناء عن ٧٠٠ بليون دولار -

---

[٣] Joseph Stiglitz, " ***The Bush administration may rescue Wall Street , but what about the economy ? " The Guardian*** , September 30 , 2008.

[٤] ومع ذلك، منذ أن قولنا مرارًا بأن الثقة والاعتقاد يكونان حاسمين ؛ فإننا ينبغي أن نطرح أيضًا السؤال : إلى أي مدى كانت سياسة وإدارة بزوغ المخاطر المفاجئة المفزعة ذاتها التي أنتجت الخطر الجسيم تحاول أن تقاوم وتصمد ؟

مثلاً - عند التعرض لمشكلة ما بدلاً من التأمل والتفكير- في المقام الأول - في سبب حدوثها.

وبالتالي، حينما تنتابنا حالة الارتباك والحيرة المستمرة، فإن هناك بالتأكيد مادة كافية يمكننا من خلالها التفكير في الأشياء. فعند العودة إلى ١٥ يوليو عام ٢٠٠٨، حيث شن السيناتور الجمهوري جيم بونينج Jim Bunning هجومًا على رئيس مجلس البنك الاحتياطي الفيدرالي بن برنانكي Ben Bernanke، زاعمًا بأن غرضه إظهار كيف أن "الاشتراكية مازالت باقية وتعمل بشكل جيد في أمريكا ": "حاليًا يريد البنك الاحتياطي الفيدرالي أن يكون المُنَظِّم للمخاطرة المنظمة والمخطط لها. في حين أنه هو المخاطرة المنظمة نفسها. إن منح البنك الاحتياطي الفيدرالي قوة أكبر من ذلك هو كمثل منح حق الجوار لطفل حطم نافذتك بمضرب كبير في أثناء لعبه كرة البيسبول في الشارع، وتعتقد بأنه سوف يحل المشكلة".[٥] ففي ٢٣ سبتمبر، قد أضرب مرة أخرى عن العمل، مطالبًا بخطة الخزانة Treasury من أجل أضخم خطة للإنقاذ من الأزمة منذ حدوث الكساد " اللا- أمريكي " الكبير :

"إن شخصًا ما يجب أن يتحمَّل هذه الخسائر. فإن فى إمكاننا إما أن ندع الناس الذين يصنعون القرارات السيئة أن يتحملوا نتائج أفعالهم، أو يمكننا أن ننشر ذلك الألم ونُعممه على الآخرين. وهذا بالضبط ما قصده سكرتير وزير الخزانة المالية أن يقوم به – خذ ألم وول ستريت [*] وانشره على الممولين أو دافِعي الضرائب فخطة الإنقاذ الضخمة هذه ليست هي الحل، إنها خطة اشتراكية مالية، كما أنها ليست خطة أمريكية.

كان بونينج أول من وضع علانية الخطوط العريضة للأسباب الحقيقية وراء ثورة الحزب الجمهوري على خطة الإنقاذ من الأزمة، التي بلغت ذروتها في رفض اقتراح البنك الاحتياطي الفيدرالي في ٢٩ سبتمبر. وتستوجب الحجة النظر للأحداث عن قرب. لاحظ كيف أن المقاومة والمعارضة الجمهورية لخطة الإنقاذ من الأزمة صيغت وتشكلت في إطار " صراع طبقي " : وول ستريت في مقابل مان ستريت ". فلماذا ينبغي علينا أن نعضد رأي أولئك الذين يعيشون في وول ستريت وهم المسئولون عن حدوث الأزمة، بينما نطالب أصحاب الرهن العاديين في " مان ستريت " أن يدفعوا الثمن ؟ هل لا تمثل

---

(٥) انظر :

- Edward Harrison , " Senator Bunning blasts Bernanke at Senate hearing ", available online at http : // www. Creditwritedowns.com.

- وول ستريت : هو مركز المال بأمريكا. (المترجم).

هذه الحالة حالةً واضحةً مما تطلق عليها النظرية الاقتصادية اسم "المخاطرة الأخلاقية"، المعروفة بأنها تعني " المخاطرة التي سيقوم بها شخص ما بحيث يتصرف بشكل غير أخلاقي لأنه يستمد الحماية والتأمين من القانون، أو من بعض الوكالات الأخرى التي سوف تحميه من أية خسارة ربما قد يسببها تصرفه أو تصرفها " - فإذا كنت، مثلاً، مُؤمنا على ممتلكاتي ضد الحريق، فإنني سوف اتخذ احتياطات أقل ضد الحريق (أو في الحالات السيئة، أُقدم على إضرام النار في كل ما أؤمن عليه) ؟ ويسري الشيء نفسه على البنوك الكبرى: هل هم لا يؤمنون ضد الخسائر الجسيمة ويكونوا قادرين على أن يحتفظوا بمكاسبهم وأرباحهم ؟ لا نندهش - إذن - من أن مايكل مور Michael Moore كتب خطابًا للجمهور معلنًا أن خطة الإنقاذ والتخليص من الأزمة بوصفها لصوصيّة القرن.

ويعد هذا التداخل غير المتوقع لأفكار الحزب اليساري المعارض مع أفكار هؤلاء الجمهوريين المحافظين هو الذي يُوجب علينا التريث في التفكير. فما يشترك فيه كلا المنظورين هو استهانتهم بكبار المضاربين وبمديري الشركات العامة الذين يربحون من خلال القرارات الجُزافية الخطرة، ولكنهم في مأمن من الإخفاقات بفضل " البرشوتات الذهبية ". فلنستدعي الطرفة الفظة من لوبيتش Lubitsch تكون أو لا تكون: عندما سأل عن معسكرات الاعتقال الألمانية في بولندا المحتلة، فإن الضابط النازي المسؤول عن " معسكر الاعتقال " إرهارت Erhardt يرد بحدّة: " أننا نقوم بالاعتقال والعمليات العسكرية، أما البولنديون فيقومون بعملية التخييم ". فهل لا يجب أن ينطبق ذلك على فضيحة إفلاس إنرون Enron(*) في يناير ٢٠٠٢، التي يمكن أن تفسر بوصفها نوعًا من التفسير التهكمي على مفهوم المجتمع المخاطر؟ آلاف الموظفين قد فقدوا عملهم ومدخراتهم حيث تعرضوا - حقًا - للمخاطرة، ولكن بدون أن يكون لديهم أي اختيار حقيقي في المسألة - فالمخاطرة بدت لهم بوصفها مصيرًا أصم. وعلى العكس من ذلك، أولئك (ألا وهم رءوساء الشركات) الذين لديهم بالفعل بصيرة بالمخاطر المنخرطون فيها،

* إنرون : هي شركة إنرون، وكان رمزها في بورصة نيويورك رمز الشمال الشرقي، وهو مؤشر أمريكي للطاقة والسلع والخدمات، ومقرها في هيوستن تكساس، وقد أعلنت إفلاسها في أواخر عام ٢٠٠١، وكان يعمل بها حوالي ٢٢٠٠٠ موظفًا. وهي واحدة من الشركات العالمية الرائدة في الكهرباء والغاز الطبيعي والاتصالات والورق. وكانت - حقًا - أكثر الشركات المبتكرة لمدة ست سنوات متتالية. ولكن، سرعان ما صارت في عام ٢٠٠١ رمزًا شعبيًا للاحتيال العمد والفساد فيما عُرف باسم " فضيحة إنرون " ؛ إذ كانت تقدم حسابات مضللة لها. ورئيسها هو كينت لاي والرئيس التنفيذي لها هو جيفري سكيلنج الحاصل على درجة الماجستير في إدارة الأعمال من جامعة هارفارد. (المترجم).

مثلما كان لديهم القدرة على التدخل في الموقف قد قللوا من مخاطرهم وخسارتهم عن طريق الدفع نقدًا من أسهمهم وإعطاء حق البيع والشراء لأسهمهم وسنداتهم المالية، ودفع الأموال المستحقة بموجب سند التأمين قبل حدوث الإفلاس. فنحن بالفعل وعلى نحو يقيني في مجتمع الاختيارات الخطرة، ولكنه مجتمع يقوم فيه البعض بالاختيار، بينما يقوم الآخرون بالمخاطرة.

هل تعد خطة الإنقاذ من الأزمة – إذن – معيارا " اشتراكيا " بالفعل، وميلادا لحكومة اشتراكية في الولايات المتحدة الأمريكية ؟ وحتى لو كانت، في شكلها الخاص جدًا والغريب: فهي معيار " اشتراكي " لديه هدف أولي بألا يساعد الفقير ؛ وإنما يساعد الغني، ولا يساعد أولئك الذين يقترضون؛ وإنما يساعد أولئك الذين يقرضون. وفي تهكم لاذع وقاس، إن اضفاء الطابع الاشتراكي على النظام البنكي يكون مقبولاً عندما يعمل من أجل انقاذ الرأسمالية. والاشتراكية سيئة عندما تعمل على ترسيخها للرأسمالية. (لاحظ السيمترية أو التناسب والتماثل مع الصين اليوم : يستخدم الشيوعيون الصينيون - بالأسلوب نفسه - الرأسمالية لتقوية حكمهم "الاشتراكي").

ولكن، ماذا لو أدرجت " المخاطرة الأخلاقية " في صميم بنية الرأسمالية ؟ وهذا معناه أن نقول إنه، ليس هناك أسلوب لنفصل بين الاثنين: ففي النظام الرأسمالي، رفاهية مان ستريت يتوقف على ازدهار وول ستريت. ولذلك، بينما الجمهوريون الذين قاوموا خطة الإنقاذ من الأزمة يقومون بالشيء الخطأ من أجل أسباب صحيحة، فإن المؤيدين لها يفعلون الشيء الصائب من أجل أسباب خاطئة. ولنصيغ ذلك الأمر في حدود أكثر دقة وإحكام، أن العلاقة الوثيقة بينهما ليست متعدية : فبينما ما يبدو صالحًا بالنسبة لـ وول ستريت ليس بالضرورة صالحًا بالنسبة لـ مان ستريت، فإن مان ستريت لا يمكن أن ينجح ويزدهر إذا كان وول ستريت يشعر بالوهن والضعف، فهذه السيمترية تهب الأفضلية والألوية لـ وول ستريت.

لنستدعي حجة " الوصول التدريجي trickle – down "* القياسية النموذجية المقابلة لإعادة التوزيع المتساوية** (التي تتم عبر مستويات عليا من الضرائب التصاعدية، إلخ.) : فبدلاً من أن تجعل الفقير أكثر غنى، فإنها – على العكس من ذلك - تجعل الغني أكثر فقرًا. والحقيقة أن هذا التوجه قد أظهر استيعابًا صائبًا ودقيقًا للغاية

---

* trickle- down : وصول تدريجي، أي وصول الثمار تدريجيًا على المجتمع ككل بعد ذلك، أو بمعنى آخر يحدث أثرًا تدريجيًا بعد مدة طويلة. (المترجم).

** إعادة التوزيع المتساوية : بمعنى أنها قائمة على العدالة الاجتماعية وتكافؤ الفرص. (المترجم).

لهذه الحالة بغض النظر عن كونه - ببساطة – مقابلاً لنزعة التدخل الحكومي: فبالرغم من أننا جميعًا نريد أن يصبح الفقير أغنى؛ فإنه مما يخالف ويناقض الإنتاجية أن نساعدهم على نحو مباشر، طالما أنهم لا يمثلون عنصرًا ديناميًا ومنتجًا في المجتمع. وبالتالي، فالنمط الوحيد من التدخل الذي نحتاجه ونفتقر إليه هو ذلك الذي يساعد الغني على أن يصبح أغنى؛ ومن ثم فإن الأرباح والمكاسب – إذن – توزع وتفيض بشكل تلقائي بذاتها على الفقير في الوقت الراهن، يتخذ ذلك شكل الاعتقاد بأنه إذا ألقينا مالاً كافيًا في وول ستريت فإنه سوف ينسال شيئًا فشيئًا في النهاية على مان ستريت، مساعدًا العمال العاديين وملاك العقارات. ولذلك، بتعبير آخر، لو أنك تريد أن يمتلك الناس المال كي تبني بيوتًا، لا تعطيهم المال بشكل مباشر؛ وإنما أعطيه لمن سوف يقرضهم – بدوره – المال نقدًا. ووفقًا لهذا المنطق، فإن هذا هو الأسلوب الوحيد لخلق الرفاهية والرخاء بالمعنى الحقيقي : وعلى العكس من ذلك، سيغدو الأمر مجرد حالة توزيع الأموال للمحتاج على نفقة مبدعي الثراء الواقعي.

وبناءً على ذلك، أولئك الذين ينصحون بضرورة الحاجة إلى العودة من المضاربات المالية إلى" الاقتصاد الواقعي " الخاص بإنتاج البضائع والسلع التجارية لإشباع احتياجات الناس الفعلية، غاب عنهم المعنى الحقيقي والجوهري في الرأسمالية، وهي : إن الدفع الذاتي والتداول المالي المتزايد ذاتيًا هو بعدها الوحيد الخاص بالواقع الحقيقي، في مقابل واقعية الإنتاج. فلقد صار هذا الغموض واضحًا في الأزمة المالية العالمية الحديثة عندما قُذفنا معًا وفي آن واحد عن طريق المطالبة بالعودة إلى " الاقتصاد الواقعي "، وعن طريق تذكر أن التداول المالي – أي النظام المالي الصحيح الراسخ – هو عماد اقتصادنا. فما الغريب في هذا العماد للاقتصاد الذي لا يجعله جزءًا من " الاقتصاد الواقعي " ؟ فهل " الاقتصاد الواقعي " يبدو في ذاته كمثل جسد لا حياة فيه ؟ فالشعار الشعبي "أحمِ مان ستريت، وليس وول ستريت!" يكون – إذن – مُضللاً، فهو شكل من أشكال الإيديولوجيا وصورتها الخالصة : فإنه يتجاهل حقيقة أن ما يجعل مان ستريت يستمر ويبقى تحت لواء الرأسمالية هو وول ستريت ! أهدم وول ستريت وسوف تتدفق وتنبثق مان ستريت بذعر وخوف يتعلق بالمال. فقد كان جاي سورمان Guy Sorman– نموذج للإيديولوجي الرأسمالي المعاصر – محقًا بالفعل عندما أدعى بأنه :

" ليس هناك معيار اقتصادي لتمييز " الرأسمالية الافتراضية " عن "الرأسمالية الواقعية": فلا يوجد قط شيء واقعي قد أنتج بدون تمويله ماديًا في المقام الأول حتى في زمان الأزمة المالية، فالأرباح العالمية للأسواق المالية الجديدة قد تجاوزت تكلفتها"[٦].

بينما الأزمة المالية العالمية والأزمات يعدان تذكارات واضحة على أن تداول رأسمال ليس دائرة مغلقة يمكنها أن تساند ذاتها وتثبت كاملةً - إذ يفترض ذلك مسبقًا واقعًا وحقيقة غائبة حيث البضائع والسلع الواقعية التي تكفي وتشبع احتياجات الناس قد انتجت وبيعت، وأن هناك درسًا أكثر براعة ودقة وهو أنه ليس بالإمكان العودة إلى هذا الواقع، مجتازين كل بلاغة العبارة التي تقول : " دعنا نعود من المكان الافتراضي للمضاربات المالية إلى الناس الواقعيين الذين ينتجون ويستهلكون ". إن تناقض الرأسمالية يكمن في أنه لا يمكنك أن تبعد الماء القذر للمضاربات بينما تحتفظ بالوليد السليم والصحيح للاقتصاد الواقعي.

من السهل تمامًا أن نستبعد هذا الأسلوب من التفكير بوصفه دفاعًا زائفًا عن الثراء. فالمشكلة هنا إنه طالما بقينا في النظام الرأسمالي ؛ فإن هناك حقيقة منطوية بداخله : بمعنى أن هدم وول ستريت سوف يطيح بالفعل بالعمال العاديين. وهذا يبين سبب عدم تناقض الديمقراطيين الذين يساندون خطة الإنقاذ من الأزمة بميولهم اليسارية. وسيكون هؤلاء متناقضين معهم فحسب إذا كانوا قد قبلوا فرض أعضاء الحزب الجمهوري : إن الرأسمالية واقتصاد السوق الحرة بمعناهما (الحقيقي والدقيق) هي مسائل وأمور دارجة للطبقة العاملة، بينما حالة التدخل الحكومي يُصممّها - استراتيجيًا - صفوة الطبقة الأرستقراطية لاستغلال طبقة العمال العاديين الكادحين فإن التقابل بين الرأسمالية والاشتراكية " فالرأسمالية مقابل الاشتراكية " أصبح " الطبقة العاملة مقابل الطبقة الأرستقراطية ".

ولكن، ليس هناك شيء جديد فيما يتعلق بالحالة الغريبة للتدخل الحكومي في النظام البنكي أو في الاقتصاد بوجه عام. فالانهيار الذي حدث مؤخرًا نفسه هو نتيجة مثل هذا التدخل الحكومي : ففي عام ٢٠٠١؛ عندما برز فجأة للعيان وهم أو فقاعة الأتصال والتواصل (الذي عبر عن الأصل الحقيقي لمشكلة "الملكية الفكرية")، قد تقرر جعل الائتمان البنكي أكثر سهولة ويسر من أجل إعادة توجيه النمو والتقدم إلى عقر

---

(٦) Guy Sorman , " Behold , our familiar cast of characters ", *The Wall Street Journal* (Europe), July 20- 1, 2001.

داره. (وهكذا، كان السبب الرئيس للأزمة المالية العالمية التي حدثت في عام ٢٠٠٨، من خلال هذه الوجهة من النظر، هو فشل وركود الملكية الفكرية.) ، وإذا وسعنا أفقنا لنحيط بالواقع العالمي ؛ فإننا سنرى أن القرارات السياسية تُدمج في داخل النسيج الحقيقي والجوهري للعلاقات الاقتصادية العالمية. فمنذ عامين مضيا، وصف تقرير عن مالي Mali لمحطة سي إن إن الأخبارية واقع " السوق الحرة " العالمية. إن عمودي الاقتصاد في مالي هما القطن في الجنوب والمواشي في الشمال، وكلاهما في مشكلة بسبب أسلوب القوى الغربية التي انتهكت كل القوانين والقواعد الحقيقية والجوهرية التي حاولت أن تفرضها على أفقر دول العالم الثالث. فمالي تنتج قطنا عالي الجودة، ولكن المشكلة هي أن المعونة المالية التي تعطيها حكومة الولايات المتحدة الأمريكية لمزارعي القطن لديها تفوق بكثير الميزانية المخصصة لمالي تمامًا ؛ ولذا فليست مفاجأة أنهم لا يستطيعون المنافسة. أما في الشمال، فالجاني هو الاتحاد الأوروبي : حيث إن البقر المالي لا يمكن أن يتنافس مع الأبقار والألبان الأوروبية التي يقدم لها معونة مالية ضخمة. فالاتحاد الأوروبي يقدم معونة مالية عن كل بقرة تُقدر بحوالي ٥٠٠ يورو سنويًا، وهذا أكثر بكثير من إجمالي الناتج القومي عن كل رأس في مالي. وكما صرح وزير الاقتصاد في مالي : بأننا لا نحتاج مساعدتكم ولا نصيحتكم أو خطبكم ومحاضراتكم عن التأثيرات المفيدة لمحو الحالة المفرطة للقواعد والقوانين، فمن فضلكم، اطعنوا فحسب في قوانينكم وقواعدكم عن السوق الحرة، وقتئذ سوف تنتهي مشكلاتنا أساسًا ولذلك، فأين يوجد هنا المدافعون الجمهوريون عن السوق الحرة؟ فالانهيار والتدهور في مالي يُظهر واقع ما يعنيه بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية أن تضع " بلدها في المقام الأول ".

إن ما يبين كل هذا بوضوح هو أنه ليس هناك مثل هذا الشيء الذي يُعرف بوصفه السوق المحايدة: ففي كل موقف خاص، تُنظم ترتيبات السوق وأشكالها دومًا عن طريق القرارات السياسية. فلا يتمثل المأزق الحقيقي - إذن - في السؤال المطروح : هل ينبغي أن تكون حالة السوق هي حالة التدخل الحكومي ؟ " وإنما يتمثل في طرح السؤال : " ما نوع حالة التدخل الحكومي الضرورية ؟ " وهذا هو موضع اهتمام السياسة الواقعية الفعلية : بمعنى، الصراع لتحديد الإحداثيات " غير السياسية " الرئيسة لحياتنا. كل الموضوعات والقضايا السياسية تكون بأسلوب ما لا- تحزبية، فهي تهتم بطرح السؤال التالي : " ما النحو الذي تكون عليه بلدنا ؟ " ولذلك فالمباحثة حول خطة الإنقاذ من الأزمة تكون من الأمور السياسية الصائبة تمامًا، في إطار كونها تتعامل مع القرارات بشأن الأشكال الرئيسة لحياتنا الاجتماعية والاقتصادية، وحتى، ما يسير في إثره،

من تأهب وتحريك أشباح الصراع الطبقي. فليس هناك مكان لخبير " موضوعي "، منتظر ببساطة لتطبيقه هنا ؛ وإنما يجب على المرء أن يتحيز سياسيًا لجانب أو لآخر.

هناك إمكانية حقيقية تتمثل في عدم كون الرأسمالية هي الضحية الرئيسة للأزمة المستمرة لكنه الحزب اليساري المعارض ذاته ؛ طالما كان واضحًا مرة أخرى للعيان عدم قدرته على أن يقدم بديلا عالميا قابلا للحياة. فإن كان الحزب اليساري الذي فشل في حيلته بشكل مؤثر وفعال. يبدو أنه كما لو كانت الأحداث التي حدثت مؤخرًا أدرجت مع المخاطرة المحسوبة من أجل إظهار أنه - حتى في وقت الأزمة المتشظية - ليس هناك بديل قابل للحياة عن الرأسمالية. فمصطلح " Thamzing " هو الكلمة التي أطلقها شعب التبت Tibetan منذ زمن الثورة الثقافية، بالرودود الانعكاسية الشؤم للأحرار، والتي تعني "جلسة صراع"، أي أنها جلسة استماع عامة شعبية جماعية إلى الفرد ونقده الذي يُستجوب بشكل عدائي من أجل تمهيد السبيل إلى إعادة - تعليمه السياسي من خلال الأعتراف بأخطائه أو أخطائها والنقد الذاتي الدائم والمستمر، وبالطبع هل الحزب اليساري الراهن يحتاج هو الآخر إلى جلسة صراع طويلة ؟

لقد خالف إيمانويل كانط Immanuel Kant شعار المحافظ وناقضه : " لا تفكر، بل أطع!" ولكنه ليس عن طريق الإيعاز إلى أن : " لا تطع، بل فكر! " ؛ وإنما بالأحرى من خلال القول : " أطع، ولكن فكر ! " فعندما نُطعن بالأحداث من قبيل خطة الإنقاذ من الأزمة ؛ فإننا ينبغي أن نضع نصب أعيننا بأنها بالفعل شكلاً من أشكال الابتزاز ؛ بحيث يجب علينا أن نقاوم الإغراء الشعبي، وأن نظهر غضبنا وهكذا نجرح أنفسنا. فبدلاً من إظهار انفعالنا الواهن، ينبغي علينا أن نتحكم في غضبنا الشديد وثوراننا ونجتازه إلى التحديد القوي بأن نفكر - نفكر في الأشياء خلال الأسلوب الأصلي الواقعي، وأن نسأل عن نوع المجتمع الذي يجعل مثل هذا الابتزاز ممكنًا.

الأزمة بوصفها علاجًا بالصدمة :

هل ستكون الأزمة المالية العالمية - إذن - لحظة وعي، ويقظة من حلم ؟ إن الأمر برمته يتوقف على ما ترمز إليه هذه الأزمة، وعلى التفسير الإيديولوجي أو على القصة التي تفرض نفسها وتحديد الإدراك العام بالأزمة. فعندما يتعطل المسار المألوف للأشياء ويتوقف بشكل مصدم ؛ فإن المجال ينفتح - إذن - للمنافسة الإيديولوجية " غير المُطَّردة أو المتتابعة " - على نحو ما حدث، على سبيل المثال - بألمانيا في أول

الثلاثينيات، عندما نستدعي رواية المؤامرة اليهودية، وانتصار هتلر Hitler في المنافسة، التي تعد أفضل تفسير وشرح لأسباب أزمة جمهورية فيمارWeimar [*]، وقدمت أفضل أسلوب للهروب والتخلص من الأزمة. ومثلما حدث كذلك في فرنسا عام ١٩٤٠ حيث إن رواية المارشال بيتان Marshal Pétain الذي انتصر في الصراع تفسر وتشرح أسباب هزيمة فرنسا. فأي توقع وترقب يساري ساذج بأن الأزمة الاقتصادية والمالية الدارجة تفسح على نحو ضروري مكانًا للحزب اليساري المعارض هو بلاشك - إذن - مجرد رؤية قاصرة بشكل خطير.إذ لن يتمثل التأثير الأولي المباشر للأزمة في بزوغ وظهور سياسة تحررية راديكالية، ولكنه بالأحرى سيكون بزوغًا للشعبية العنصرية، بالإضافة إلى ظهور الحروب، والفقر المتزايد والمنتشر في أفقر دول العالم الثالث، كما ستظهر أكبر الأنقسامات بين الغني والفقير داخل المجتمعات كلها.

بينما الأزمات تحدث زعزعة وخللاً للناس بحيث تنأى بهم عن استقرارهم ورضاهم، وتجبرهم على التساؤل عن أسس حيواتهم ؛ فإن الاستجابة الأولى الأكثر تلقائية تكون مفزعة، حيث تقودهم وتوجههم إلى " العودة إلى الأسس " : فالمقدمات والفروض الرئيسة للإيديولوجيا المهيمنة - بمنأى عن وضعها موضع الشك - تكون أكثر ثباتًا وتأكيدًا بقوة من جديد. فالخطر - إذن - هو أن الانهيار المستمر سوف يستخدم بأسلوب مماثل لما قد أطلقت عليه نعومي كلاين Naomi Klein اسم " عقيدة الصدمة ". فهناك - بالفعل - شيء ما مفاجئ ومثير للحيرة في الاستجابات العدائية بشكل سائد لكتاب كلاين الذي صدر مؤخرًا المعنون باسم عقيدة الصدمة ***shock doctrine*** : فالاستجابات كانت أكثر عنفًا مما قد يتوقعه المرء، حتى الليبراليون اليساريون الخيرون الذين يتعاطفون مع بعض من تحليلاتها أسفوا على كون " ثرثارتها تخفي تفكيرها وتعقلها ". (على نحو ما قال ذلك ويل هوتون Will Hutton في مراجعته ونقده للكتاب في الملاحظ ***Observer***). فلقد مست كلاين - بوضوح - بعض المراكز الحقيقية والجوهرية الحساسة بأطروحتها الرئيسة :

لقد كُتِبَ تاريخ السوق الحرة المعاصر في الصدمات. فبعض من أكثر انتهاكات الحقوق الإنسانية المغمورة في الخمسة والثلاثين عامًا الماضية، التي قد مال لرؤيتها بوصفها أفعالاً سادية مارستها الحكومات المضادة - للديمقراطية، كانت في الحقيقة إما

[*] فترة جمهورية فيمار بألمانيا من ١٩١٨ إلى ١٩٣٣، التي تميزت بالنشاط الثقافي الكثيف ؛ إلا أنها تميزت أيضًا بالكساد الاقتصادي والاضطراب السياسي. (المترجم).

أنها أُرتكبت عمدًا بقصد إرهاب العامة، أو أنها سُخرت بنشاط لتهيئة الأرض تمهيدها لبداية إصلاحات السوق الحرة الأصلية[٧].

تطورت هذه الأطروحة خلال سلسلة من التحليلات العينية، والتحليل المحوري فيما بينهم هو ما يتعلق بحرب العراق : فلقد دُعم هجوم الولايات المتحدة الأمريكية على العراق بفكرة - وفقًا لخطة " الصدمة والرعب " الحربية – أنه من الممكن أن تُنظم الدولة بوصفها فردوس السوق الحرة، ومن الممكن أن يكون شعبها مصدومين للغاية ومع ذلك لا يبدون أية مقاومة أو معارضة وبالتالي، فإن فرض اقتصاد السوق الكاملة يصير – إذن – أكثر سهولة ويسر لو أن الطريق إليه يمهد ويعبد بنوعٍ ما من الصدمة (الطبيعية، والعسكرية، والاقتصادية)، التي، كما لو كانت، تجبر الشعب على التخلص من " عاداته القديمة "، وتحوله إلى لوح إيديولوجي أملس Tabula rasa [*]، بحيث ينجون من موتهم الرمزي، ويكُونون مستعدين لقبول النظام الجديد وعندئذ سوف تمحى العقبات جميعها وتزول. وبوسع المرء أن يتيقن من أن كتاب **عقيدة الصدمة** لكلاين يتضمن - كذلك -القضايا البيئية : بمنأى عن الرأسمالية المتعرضة للخطر ؛ فمن الممكن لكارثة بيئية منتشرة على نطاق واسع في المحيطة أن تنعش الرأسمالية وتقويها من جديد بشكل جيد، وتفتح حتى الآن أماكن جديدة غير معروفة للاستثمار الرأسمالي.

وبالطبع، هل سوف يستخدم – إذن – الانهيار الاقتصادي بوصفه " صدمةً " لإبداع الشروط الإيديولوجية لأقصى علاج ليبرالي لهذه الأزمة ؟ فالاحتياج لمثل هذا العلاج – بالصدمة ينبثق من خلال اللب اليوتوبي (وغالبًا المغفول عنه) لعلم الاقتصاد الليبرالي الجديد الحر. إن أسلوب استجابة متعصبي السوق للنتائج المدمرة لانجاز وتحقيق طرائقهم في العمل يكون مماثلا لأسلوب " الديكتاتوريين " اليوتوبي : أنهم يلومون على كل إخفاق في الاتفاق مع أولئك الذين أدركوا مشاريعهم وخططهم (مازال يوجد حالة من التدخل الحكومي --، إلخ)، ولم يطالبوا بشيء أقل من حتى التحقيق الأكثر جذرية لمبادئهم.

وبناءً على ذلك، فلنعبر عن هذا الأمر بالأساليب والحدود الماركسية القديمة، أن المهمة المحورية للإيديولوجيا المهيمنة في الأزمة الراهنة هي أن تفرض رواية التي سوف تلقي اللوم في الانهيار، ليس على النظام الرأسمالي العالمي بالنحو الذي يكون عليه؛ وإنما

---

(٧) Naomi Klein, ***The Shock Doctrine : The Rise of Disaster Capitalism*** , London : Penguin Books 2007, ***P.***iii.

* اللوح الأملس هو تعبير مجازي يقصد به أن يصبح الناس كالصفحة البيضاء، أو العقل الذي لم يتلق بعد أية انطباعات خارجية. (المترجم).

على الانحرافات الثانوية، والعارضة أو الطارئة (من قبيل تجاوز التنظيمات القانونية غير الصارمة، وفساد المؤسسات المالية الكبرى، وإلخ). وبالمثل، في عصر الوجود الفعلي للاشتراكية ؛ فإن المؤيدين للإيديولوجيين الاشتراكيين حاولوا أن يحموا فكرة الاشتراكية عن طريق الإدعاء بأن إخفاق "ديمقراطيات الشعب " كان إخفاق النسخة غير الأصلية للاشتراكية، وليس إخفاقًا في فكرة الاشتراكية نفسها على النحو الذي تكون عليه ؛ ولذلك فإن وجود الأنظمة الاشتراكية يتطلب إصلاحات جذرية بدلاً من قلبها وهدمها ومحوها. وليس هذا الأمر بدون تهكم في ملاحظة كيف أن الإيديولوجيين الذين سخروا في يوم ما من هذا الدفاع الحاسم عن الاشتراكية بوصفه وهمًا وخداعًا، وأصروا على أن المرء ينبغي عليه أن يلقي اللوم على الفكرة الحقيقية والجوهرية للاشتراكية ذاتها، حاليًا هم أنفسهم عادوا تمامًا إلى خط الدفاع نفسه : على أساس أن الرأسمالية ليست مفلسة على النحو الذي تكون عليه ؛ وإنما المشكلة تكمن في فهمها واستيعابها المشوه.

وفي مقابل هذا الميل، ينبغي على المرء أن يصر على طرح السؤال الجوهري: ما طبيعة " التصدع " في النظام على النحو الذي يكون عليه، والذي يفتح إمكانية لمثل هذه الأزمات والانهيارات ؟ الشيء الأول الذي ينبغي أن ندركه هنا هو أن أصل الأزمة يكمن في مرء " خير أو هادف إلى النفع العام " : فكما قد لاحظنا، أنه بعد فقاعة الأتصال والتواصل الوهمي الذي برز للعيان ؛ فإن القرار - المأخوذ بأسلوب التأييد لحزبين - كان يتمثل في تيسير حالة الاستثمار الواقعية من أجل استمرار حركة الاقتصاد ومنع الركود الاقتصادي - بحيث تكون ببساطة - إذن - الأزمة المالية العالمية الراهنة هي الثمن المدفوع بسبب المعايير المتبعة في الولايات المتحدة الأمريكية لتجنب الركود الاقتصادي منذ سنوات قليلة مضت. وهكذا، يتمثل الخطر في أن الرواية السائدة عن الأزمة المالية العالمية ستكون إحدى الأشكال التي تمكننا من الاستمرار في الحلم، بدلاً من يقظتنا منه. ومن هنا، ينبغي علينا أن نبدأ في القلق - ليس فحسب من النتائج الاقتصادية للأزمة المالية العالمية ؛ وإنما نقلق أيضًا من الإغراء الواضح لإعادة إنعاش وتقوية " حرب الإرهاب "، ونزعة تدخل حكومة الولايات المتحدة الأمريكية من أجل الاحتفاظ بحركة عجلة الاقتصاد، أو على الأقل أن تستخدم الأزمة لفرض أقصى معايير صارمة " للتنظيم والإصلاح البنائي".

لنسوق مثالاً عن حالة نموذجية لأسلوب الانهيار الاقتصادي تستخدم بالفعل في الصراع السياسي - الإيديولوجي، تلك التي تتعلق بالآراء المتضاربة حول ما نفعله مع مؤسسة جينرال موتورز General Motors - هل ينبغي على الدولة أن تسمح بإفلاسها أم لا ؟

طالما أن مؤسسة جينرال موتورز هي إحدى تلك المؤسسات التي تجسد الحلم الأمريكي، فيعد إفلاسها موضوعًا لايصدق وغير متصور تمامًا. فالعدد المتزايد للأصوات - مع ذلك - يشير حاليًا إلى الانهيار المالي بوصفه استحضارًا لذلك التنبيه الإضافي الذي ينبغي أن يجعلنا نقبل ما لا يصدق ولا يتصور حدوثه. ففي عمود صحفي لجريدة **نيويورك تايمز** ***A New York Times*** المعنون باسم " **إفلاس جينرال موتورز التخيلي** " يبدأ بهذه العبارة الشؤم : "مثلما تتصارع مؤسسة جينرال موتورز وتكافح لتجنب نفاد أموالها في السنة القادمة؛ فإنه سرعان ما صار مشهد إفلاس جينرال موتورز الذي يتعذر قبوله وتصديقه أكثر قبولاً للتصور والتصديق بشكل جيد "[٨]. بعد سلسلة من الحجج القابلة للتنبؤ بها (ليس من المفترض أن يعنى الإفلاس مجرد فقدان وظيفة تلقائيًا ؛ وإنما من الممكن أن يكون بمثابة إعادة بناء سوف يجعل الشركة تتبنى على نحو أفضل، بل وتكون أكثر ميلاً للشروط الفظة للاقتصاد الراهن، وهكذا دَواليْك). وبالتالي، فالتقرير الصحفي يضع في النهاية النقاط على الحروف؛ وذلك عندما حرص على أن يتحفظ ويكون محايدًا فيما " بين مؤسسة جينرال موتورز وعمالها النقابيين والمتقاعدين " : "طالما سيتيح الإفلاس لجينرال موتورز أن تفسخ من جانبها العقود والاتفاقيات ؛ بقدر ما ثبت الحكم عليها ". أو بتعبير آخر، أن الإفلاس ينبغي أن يستخدم لتحطيم العمود الفقري لأخر اتحادات قوية في الولايات المتحدة، تاركًا آلاف العاملين بأقل رواتب وآلاف آخرين بأقل دخل للتقاعد. لاحظ مرة أخرى التقابل مع الاحتياج الضروري العاجل لحماية البنوك الكبرى : ففي حالة جينرال موتورز، حيث بقاء عشرات الآلاف من العمال المتقاعدين والنشطين يكون تحت الخطر، فليس هناك – بالطبع – ضرورة أو حالة طارئة، ولكن – على العكس من ذلك – هناك فرصة تتيح للسوق الحرة بأن تعمل وتتفاعل مع القوة الفظة. كما لو كان اللوم الموجه للاتحادات ليس بسبب إخفاقاتها في الخطة الإدارية ؛ وإنما بسبب مشكلات جينرال موتورز ! وهذا يوضح كيف يصبح المستحيل ممكنًا : فما كان يُنظر إليه حتى الآن بوصفه غير قابل للتصديق والتصور في داخل أفق الأسس المؤسسة للشروط الفعالة المناسبة يصبح حاليًا مقبولاً.

كتب ماركس في كتابه المعنون باسم **فقر الفلسفة** ***Poverty of Philosophy***، أن الإيديولوجيا البرجوازية تحب أن تضفي الطابع التاريخي على كل شيء : فكل شكل ثقافي وديني واجتماعي– كل شكل فيما عدا ما شكلها - هو علاقة تاريخية طارئة. ففي يوم ما، كان هناك تاريخ، ولكن حاليًا لم يعد هناك أي تاريخ :

---

[٨] "Imagining a G. M. bankruptcy", <u>New York Times</u> , December 2 , 2008 ("DealBook" in the Business section).

إن علماء الاقتصاد لديهم منهج فريد في الإنتاج. فبالنسبة لهم هناك نوعان من المؤسسات، اصطناعية وطبيعية. حيث إن المؤسسات الإقطاعية هي مؤسسات اصطناعية، أما المؤسسات البرجوازية فهي مؤسسات طبيعية. وفي هذا الأمر، فإنهما متشابهان مع اللاهوتيين، الذين يؤسسون - بالمثل - نوعين من الدين. بحيث يكون كل دين لا يخصهم من ابتكار البشر، بينما الدين الذي يخصهم هو فيض من الإله. إذ عندما يقول علماء الاقتصاد بأن العلاقات الراهنة في الوقت الحالي – أي علاقات الإنتاج البرجوازي – تكون طبيعية ؛ فذلك يعني ضمنيًا أن تلك العلاقات التي تكون فيها الثروة قوى منتجة ومبدعة قد تطورت وفقًا لقوانين الطبيعة. تلك العلاقات – لذلك - تكون في حد ذاتها قوانين طبيعية مستقلة عن تأثير الزمان. إنها قوانين خالدة يجب أن تحكم دومًا المجتمع. وهكذا، قد كان هناك تاريخ، ولكن لم يعد هناك أي تاريخ. قد كان هناك تاريخ، منذ أن كان هناك مؤسسات إقطاعية، وفي تلك المؤسسات الاقطاعية نجد علاقات للإنتاج مختلفة إلى حدٍ ما عن مؤسسات المجتمع البرجوازي، التي يحاول علماء الاقتصاد أن يتظاهروا بأنها طبيعية مثلما تكون خالدة[٩].

فلنحل " الاشتراكية " محل " الاقطاعية "، وبالمثل نحتفظ ونستوعب، وعلى نحو دقيق، حقيقة البرجوازيين في أيامنا الراهنة من أجل الرأسمالية الديمقراطية – الليبرالية.

---

(٩) Karl Marx , *The Poverty of Philosophy* , Chapter 2 , " Seventh and last observation ", Moscow , Progress Publishers 1955.

وهل لا نجد أصداء للحالة نفسها في الاتجاه المضاد للنزعة التاريخية الماهوية غير المطردة في الوقت الراهن (بدءًا من إرنستو لاكلو حتى جوديث بوتلر)، الذي يرى كل كيان إيديولوجي - اجتماعي بوصفه نتاجًا للصراع الطارئ غير المطرد من أجل الهيمنة والسيطرة؟ كما لاحظ بالفعل فردريك جامسون، أن النزعة التاريخية العالمية لديها مذاق تاريخي غريب : ففي يوم ما سنقبل تمامًا الحالة الطارئة الأصلية لهوياتنا وممارسها، بحيث يتبدد بأسلوب ما كل توتر وصراع تاريخي أصيل في اللعبة الفعالة الدائمة للحاضر الخالد. هناك تهكم طريف مقتبس من الاستشهاد الذاتي يدل على المعنى المقصود هنا : هناك تاريخ فقط مادام يوجد بقايا مثابرة من النزعة الماهوية " التاريخية ". وهذا يوضح لِمَ يجب على الاتجاه المضاد جذريًا للماهويين أن ينشر كل مهاراته التفكيكية - التفسيرية أو التأويلية، للكشف عن الآثار المتخفية " للنزعة الماهوية "، التي تظهر فيها لتكون مجرد أمور طارئة وعارضة " للمجتمع المخاطر " لما بعد الحداثة - إذ كان يسلم بأننا نحيا بالفعل في مجتمع " مضاد للماهويين. وبالتالي، سوف يجب عليه أن يتصدى للسؤال الصعب بحق عن الطابع التاريخي للنزعة التاريخية الأصلية ذاتها السائدة في الوقت الراهن، إلخ، وأن يسلم بموضوع هذه النزعة التاريخية بوصفه شكلاً إيديولوجيًا من الرأسمالية العالمية "فيما بعد الحداثة".

لا نندهش من المباحثة والجدال حول حدود الإيديولوجيا الليبرالية التي تنمو وتزدهر في فرنسا - ولا يعد السبب في ذلك التقليد الدولاني statis tradition * السائد منذ زمن بعيد الذي ارتاب في الليبرالية ؛ وإنما يكمن بالأحرى في التوجه الفرنسي نحو الاتجاه الانجلوسكسوني السائد الذي لا يُمكنه فحسب من اتخاذ موقف حاسم ؛ وإنما يجعله قادرًا أيضًا على الإدراك الأوضح للبنية الإيديولوجية الرئيسة لليبرالية. فإذا بحث المرء عن النسخة الخالصة المكرَّرة - المختبرة، إكلينكيًا للإيديولوجيا الرأسمالية المعاصرة، فإنه سيحتاج فحسب إلى الارتداد لـ جي سورمان Guy Sorman. فالعنوان الذي أطلقه مؤخرًا على المقابلة الشخصية التي أجريت معه في الآرجنتين - ألا وهو "هذه الأزمة ستكون قصيرة الآجل على نحو كافٍ "[١٠] - يشير إلى أن سورمان يحقق المطلب الرئيس للإيديولوجيا الليبرالية، التي يجب عليها أن تقنع بما يتعلق بالأزمة المالية العالمية وتتكيف معها، بمعنى أن تعيد الموقف لوضعه الطبيعي : " فقد تبدو الأشياء فظة، ولكن الأزمة ستكون قصيرة الآجل ؛ إذ إنها مجرد جزء من دورة عادية للتدمير الإبداعي الذي من خلاله تتقدم الرأسمالية وتتطور ". أو كما يقول سورمان نفسه في نصوصه الأخرى " التدمير الإبداعي هو آلة النمو الاقتصادي ومحركها " : " هذا الاستبدال الدائم للجديد بالقديم ذاته - يقوده ويوجهه الإبداع والابتكار التكنيكي والمبادرة التجارية ويشجعه السياسات الاقتصادية الجيدة - طالما أنه يجلب الرخاء والرفاهية، مع أن أولئك الذين يقومون بالاستبدال عن طريق عملية التدمير الإبداعي هذه هم من يجدون وظائفهم تحدث فائضًا وزيادة في الدخل، ويمكن أن يتعارضوا معها عن فهم وتقدير "[١١].(هذه العودة إلى الموقف الطبيعي مشتركة- بالطبع - في الوجود مع ما يقابلها : إن ما أظهرته السلطات بشكل مفزع من أجل إحداث وإبداع صدمة فيما بين القطاع العريض من العامة - هو أن " الأسس الخاصة لأسلوب حياتنا مهددة !" - وبذلك تُهيئهم لقبول الحل المقترح الجائر بوضوح بوصفه أمرًا لابد منه.) إن وعد سورمان هو أنه في عقود قليلة مضت (بدقة أكثر، منذ سقوط الاشتراكية في عام

---

* statis : الدولاني أو المنادي بالدُوْلانية أي الذي ينادي بتركيز السلطة الاقتصادية والتخطيط الاقتصادي في يد الدولة. (المترجم).

(١٠) " Esta crisis sera bastante breve ", interview with a Guy Sorman, perfil (Buenos Aires) , November 2 , 2008 , *PP.* 38-43.

(١١) This and all remaining quotes in this section are from Guy Sorman , " Economics does not lie ," City Journal , Summer 2008 , available online at http : // www.city-journal.org.

١٩٩٠)، أصبح علم الاقتصاد في نهاية الأمر علم مُختبر كليةً : ففي الموقف المختبر غالبًا، انقسمت الدولة نفسها إلى شقين (ألمانيا الشرقية، وألمانيا الغربية west and East Germany، كوريا الجنوبية، وكوريا الشمالية South and North Korea)، بحيث يخضع كل جانب فيها إلى نظام اقتصادي مناقض، وبنتائج واضحة.

ولكن، هل الاقتصاد بالفعل علمًا ؟ بينما يسلم سورمان بأن السوق تكون مليئة بالاستجابات والسلوك اللاعقلاني، إلا أن روشتته ليست حتى سيكولوجية ؛ وإنما هي "علم الاقتصاد السلوكي" :

يميل الممثلون الاقتصاديون إلى أن يتصرفوا بشكل عقلاني ولا عقلاني. فقد يُظهر العمل المختبري أن جانبًا من عقولنا يحمل اللوم على العديد من قراراتنا قصيرة المدى الخاطئة اقتصاديًا، بينما الجانب الآخر من عقولنا هو المسؤول عن القرارات التي تصنع المعنى الاقتصادي، والتي تتخذ عادة رؤية أطول. وحالة كهذه تحمينا من عدم تناسق ولا تناظر أكرلوف Akerlof عن طريق منع الدخيل التجاري، فهل ينبغي عليها أن تحمينا أيضًا من دوافعنا الخاصة اللاعقلانية ؟

بالطبع، سرعان ما يضيف سورمان :

إنه سيكون من المحال وغير المعقول أن نستخدم علم الاقتصاد السلوكي لنبرر ونثبت حالة التنظيمات المفرطة المتجددة. وبعد، ليست الحالة أكثر عقلانية منها فردية، وأفعالها يمكن أن يكون لديها نتائج مدمرة بشكل طبيعي. فعلم الاقتصاد السلوكي ينبغي أن يشجعنا على أن نجعل الأسواق أكثر شفافية، وليس أكثر تنظيمًا.

ما انقضى وزال مع هذه القاعدة - المزدوجة السعيدة لعلم الاقتصاد الذي يسانده علم الاقتصاد السلوكي، هو صدى الأحلام الإيديولوجية المقنعة بوصفها علمًا - كما عند ماركس الذي لديه مهمة " يمكن أن تُوصف بوصفها إعادة كتابة مادية للكتاب المقدس. بكل الشخصيات الحاضرة هناك [في الكتاب المقدس]، وبالطبقة العاملة في دور المسيح. فالفكر الإيديولوجي للقرن التاسع عشر يكون - إذن - بدون ناقش ولا جدال لاهوتيًا ذا طابع مادي ". ولكن حتى إذا كان المذهب الماركسي قد انتهى ؛ فإن الإمبراطور العريان يظل يكسينا بملابس جديدة، أهم ما فيها النزعة البيئية :

ليس أعضاء حزب الخضر the Greens مشاغبين عاديين ؛ بل هم كهنة دين جديد يضع الطبيعة فوق الجنس البشري. فحركة علم البيئة ليست رواق الحب والسلام السار ولكنها قوة ثورية. فالدين الحديث في الوقت الراهن شأنه شأن العديد من الأديان،

يطعن أشراره المحددون ظاهريًا في أساس المعرفة العلمية : الاحتباس الحراري، وانقراض الجنس البشري، وفقدان تنوع الأحياء، والأعشاب الضارة جدًا. ففي الحقيقة، كل تلك التهديدات هي بدع من خيال حزب الخضر. حيث يستعير أتباع حزب الخضر مصطلحاتهم من العلم بدون أن يفيدوا أنفسهم بفهمها وإدراكها. فمنهجهم ليس جديدًا، فقد زعم كلٌ من ماركس وإنجلزEngels - أيضًا - بأنهما يأصلان رؤيتهما للعالم في العلم السائد في زمانهما، أي في الداروينية؛ أي مذهب بقاء الأصلح.

لذلك، يقبل سورمان ادعاء صديقه خوسيه ماريا اثنار José Maria Aznar بأن الحركة البيئية هي " الشيوعية في القرن الواحد والعشرين ".

فمن المؤكد أن النزعة البيئية هي إعادة إبداع للشيوعية، وشكل من الأشكال الواقعية المضادة للرأسمالية ومع ذلك، نصفها الآخر ربع منه مؤلف من اليوتوبيا، من طقس الطبيعة، السابق بكثير على ظهور المذهب الماركسي، والذي يبين سبب كون النزعة البيئية قوية للغاية في ألمانيا بتقليدها الوثني وطبيعتها. فالنزعة البيئية تكون - هكذا - مضادة للحركة المسيحية : الطبيعة لها أسبقية وأولوية على الإنسان. وأما الربع الأخير فإنه عقلاني ؛ فطالما هناك مشكلات حقيقية سيتطلب ذلك حلولاً تكنيكيةً.

لنلحظ مصطلح " الحل التكنيكي " : المشكلات العقلية لها حلول تكنيكية، (أوبتعبير آخر، الادعاء الخاطئ بشكل صارخ بأن التصدي للمشكلات البيئية يتطلب إقامة الاختيارات وصنع القرارات - بشأن ما ننتجه، وما نستهلكه، وأية قوة نعتمد عليها - التي تتعلق في نهاية الأمر بأسلوب الناس الحقيقي والجوهري في الحياة، فإنها - على سبيل المثال - ليست مجرد اختيارات وقرارات لاتكنيكية فحسب ؛ وإنما هي قرارات سياسية بشكل سامي بالمعنى الأكثر أصالة للاختيارات الاجتماعية الرئيسة المتضمنة.) لا نندهش - إذن - من أن الرأسمالية ذاتها قُدمت في حدود تكنيكية، ليس حتى بوصفها علمًا ؛ وإنما ببساطة بوصفها شيئًا ما يعمل : إنها لا تحتاج إلى تبرير وتسويغ إيديولوجي؛ لأن نجاحها في حد ذاته تسويغ وتبرير كافي لها. ومن هذه الوجهة من النظر، الرأسمالية " هي المقابل للاشتراكية، التي تمتلك أيدي عاملة " : " الرأسمالية هي نظام ليس لديه إدعاءات فلسفية، والذي لا يكون في حالة البحث عن السعادة. فالشيء الوحيد الذي تقوله هو : " حسنًا، هذا يُجدي نفعًا ويؤدي وظيفته ". وإذا أرادت الناس أن تحيا بشكل أفضل، فمن الأفضل أن تستخدم هذه الآلية ؛ لأنها تؤدي وظائفها وتجدي نفعًا على أكمل وجه. وهذا المعيار وحده ذو تأثير وفاعليّة ".

هذا الوصف المضاد للإيديولوجية هو - بالطبع - خاطئ بكل وضوح : فمفهوم الرأسمالية الحقيقي والجوهري بوصفها آلية اجتماعية محايدة هو في صميمه إيديولوجيا (وحتى إيديولوجيا يوتوبية). إن لحظة الحقيقة في هذا الوصف برغم ذلك هي - كما قد قال آلان باديو Alain Badiou - إن الرأسمالية لم تكن بشكل فعال ومؤثر حضارة في طبيعتها الخاصة، بأسلوب محدد من تصور ووصف الحياة ذات المغزى والدلالة. الرأسمالية هي أول نظام اقتصادي - اجتماعي، يمحو طابع استكمال المعنى : فإنها على مستوى المعنى ليست عالمية (طالما أنه ليس هناك " رؤية للعالم الرأسمالي العالمي "، ولا " حضارة رأسمالية " ملائمة، حيث إن الدرس الرئيس للنزعة العالمية هو أن الرأسمالية يمكن أن تتكيف بذاتها، وعلى نحو دقيق، مع كل الحضارات، بدءًا من الحضارة المسيحية إلى الحضارة الهنْدوسية والبوذية). أما البعد العالمي للرأسمالية فيمكن أن يُصاغ فقط على مستوى الحقيقة - بدون - معنى، بوصفه "واقع " آلية السوق العالمي. فالمشكلة هنا ليست - كما يدعي سورمان - أن الواقع يكون دومًا ناقصًا وغير كاملاً، وأن الناس تحتاج دومًا إلى أن تضمر أحلام الكمال المستحيل. وإنما المشكلة تكمن في المعنى الواحد - وأنه يتمثل هنا في الدين الذي يعيد حاليًا ابتكار دوره، ويعيد اكتشاف مهمته في ضمان وكفالة حياة ذات معنى ومغزى لأولئك الذين يشاركون في الوظيفة المجردة من المعنى للآلة الرأسمالية. وهذ يبين لِمَ يعد وصف سورمان للصعوبة الرئيسة للإيديولوجيا الرأسمالية في غير موضعه تمامًا :

من وجهة النظر العقلية والسياسية، فإن الصعوبة الكبيرة في إدارة النظام الرأسمالي هي أنه لا يثير الأحلام : فليس من أحد ينزل إلى الشارع ليُظهر ميزته. إنه الاقتصاد الذي غير كليةً الحالة الإنسانية، والذي قد حمى الإنسانية من التعاسة والشقاء، ولكن ليس من أحد يكون على استعداد أن يتحول بنفسه إلى أن يصبح ضحية هذا النظام. وينبغي علينا أن نتعلم كيفية التعامل مع هذه المفارقة في نظام ليس من أحد يريده، وليس من أحد يريده لأنه لا يثير الحب، ولا يفتن، ولا يُغري.

هذا الوصف يكون، مرة أخرى، غير صائب بكل وضوح : طالما أنه إذا كان هناك دومًا نظامًا يفتننا ويُغرينا بموضوعاته مع أحلامه (عن الحرية، وعن كيفية اعتماد نجاحك عليك، وعن مسار الحظ الذي يكون وشيك على الأبواب، وعن السعادة المطلقة)، فإنه - إذن - الرأسمالية. ولكن، المشكلة الحقيقية تكمن في موضع آخر : ألا وهو، كيف نحتفظ باعتقاد الناس بالرأسمالية وإيمانهم بها أن يبقى حيًا، في حين أن الواقع المتصلب للأزمة قد اصطدم بشراسة بمثل هذه الأحلام ؟ هنا يدخل الاحتياج

لبراجماتية واقعية " كاملة": ينبغي على المرء أن يقاوم بشكل بطولي أحلام الكمال والسعادة، وأن يقبل الواقع الرأسمالي الصارم الأليم بوصفه الأفضل (أو الأقل سوءًا) من بين كل العوالم الممكنة. وبالتالي، الحل الوسط يكون ضروريًا هنا، والذي يتمثل في إحداث مزيج من الصراع بين توقعات يوتوبية وهمية ومنح الناس أمان وحماية كافية ليقبلوا هذا النظام. ليس سورمان - إذن - متطرفًا أو متعصبًا للسوق - الليبرالية، فإنه يشير بكبرياء إلى بعض التابعين الأرثوذكسين لــ ميلتون فريدمان Milton Friedman، الذين اتهموه بأنه شيوعى بسبب مساندته (المعتدلة) لحالة الرفاهية :

ليس هناك تناقض بين الدولة والليبرالية الاقتصادية - على العكس من ذلك - هناك اتحاد مركب من الاثنين. فأنا أعتقد أن المجتمع الليبرالي يحتاج - في المقام الأول - إلى حالة رفاهية فيما يتعلق بالصحة والشرعية العقلية - بحيث سيتقبل الناس المخاطرة الرأسمالية إذا كان هناك حد أدنى ضروري من الأمان والحماية الاجتماعية. فضلاً عن ذلك، عند أكثر مستوى تكنيكي، إذا كان المرء يريد الإبداعية المدمرة للرأسمالية أن تؤدي وظيفتها وتعمل، فإنه يجب عليه أن يديرها.

نادرًا ما كانت توصف مهمة الإيديولوجيا في حدود أكثر وضوحًا - لكي ندافع عن النظام الموجود ضد أي نقد جاد، فلابد أن نجعله مشروعًا بوصفه تعبيرًا مباشرًا عن الطبيعة الإنسانية : مهمة جوهرية للحكومات الديمقراطية وصناع القرار عندما يواجهون الأدوار الاقتصادية والضغط السياسي هي حماية وتأمين النظام، الذي كان يخدم الإنسانية بشكل حسن، وليس تغيره وتحويله إلى الأسوأ عن طريق إدعاء نقصه مازال، هذا الدرس هو بلا شك أصعب شيء يمكن ترجمته إلى لغة سوف يقبلها الرأي العام. فإن أفضل الأنظمة الاقتصادية الممكنة جميعها يكون حقًا ناقصًا. مهما كانت الحقائق التي كشفها علم الاقتصاد، فإن السوق الحرة هو في نهاية الأمر مجرد انعكاس فحسب للطبيعة الإنسانية، وبالكاد يكتمل بذاته.

بنية دعاية العدو :

مثل هذه الشرعية الإيديولوجية تُمثل كاملةً أيضًا عبارة باديو الدقيقة عن المفارقة الرئيسة لدعاية العدو : إنه يتصارع من أجل شيء ما هو في حد ذاته غير مُدرك، شيء ما مصمت بنائيًا - بحيث لا يمثل ذلك تقابل - القوى الواقعية (أي التقابل بين الخصوم السياسيين) ؛ وإنما يمثل الإمكانية (أي قوة التحرير - الثوري اليوتوبيي الكامنة) التي تكون مباطنة في الموقف :

إن كل هدف دعاية العدو ليس تدمير وإفناء القوة الموجودة (فهذه المهمة متروكة بوجه عام لقوى الشرطة) ؛ وإنما هو بالأحرى تدميرًا وإفناءًا للإمكانية غير الملحوظة للموقف. هذه الإمكانية تكون كذلك غير ملحوظة من قِبل أولئك الذين يقودون هذه الدعاية، طالما أن أشكالها مباطنة في الموقف ولا تظهر فيه معًا وفي آن واحد.[١٢]

هذا يوضح سبب كون دعاية العدو ضد سياسة التحرير الراديكالي لا يفهم - عن طريق التعريف الكلبي - بمعناه البسيط المتمثل في عدم إيمانها بما تقوله ؛ وإنما على مستوى أكثر دقة وأساسية : إنه تعريف كلبي، وعلى نحو دقيق، طالما أنها تؤمن بالفعل بما تقوله، ومادامت رسالتها هي اعتقاد راسخ وثابت بأن العالم الذي نحيا فيه، حتى وإن لم يكن أفضل العوالم الممكنة كلها، فإنه الأقل سوءًا، وبالتالي أي تغير راديكالي سيجعل الأشياء أسوأ. (وكالحال دائمًا مع الدعاية المؤثرة والفعالة، يمكن لهذا الوضع الطبيعي أن يقترن بسهولة مع ما يقابله ويتحد معه، كما يمكن قراءة الأزمة الاقتصادية في حدود دينية - Benedict XVI، فإنها تكون دومًا حادة ومؤثرة عندما تُقبل على انتهاز فرصة المناورة، كما كانت سريعة في تمويل الأزمة المالية على نحو ما يتضح على مدار تلك السطور : " هذا يبرهن على أن كل شيء يكون باطلاً، وكلمة الإله وحدها تكون حقًا ! ") وهكذا، لا ينبغي أن نندهش من أن الأزمة المالية العالمية التي حدثت في عام ٢٠٠٨ دفعت - أيضًا - جاك آلان ميلر Jacques - Alain Miller إلى أن يشترك في مثل هذا الأسلوب " البنائي "، وأن يمنع الخوف والذعر :

إن المؤشر المالي هو أحد المظاهر، التي تعتمد على التقاليد الاجتماعية. فالعالم المالي هو بناء أو معمار شُيد من القصص الخيالية ومفتاحه هو ما أطلق عليه لاكان "موضوع افترض أن يُعرف" يُعرف لِمَ وكيف يحدث. فمن يلعب هذا الدور ؟ قد يتعالي صوتًا مستقلاً في بعض الأحيان من بين اتحاد وانسجام السلطات، كمثل صوت آلان جرينسبان Alan Greenspan في زمانه. حيث يرتكز سلوك المضاربين على هذا الأسلوب. فإن استيعاب تجاوز الوحدة الخيالية الإنعكاسية المفرطة يتم عن طريق "الاعتقاد" في السلطات والإيمان بها، إلخ. خلال التحول والانتقال إلى الموضوع الذي افترض أن يُعرف. إذا تلعثم وتعثر هذا الموضوع، فسيكون هناك أزمة، أزمة السقوط بعيدًا عن الأسس، التي تنطوي بالطبع على تأثيرات الخوف والذعر. ومع ذلك، الموضوع المالي الذي افترض أن يُعرف كان بالفعل مكبتًا ومتغلب عليه إلى حدٍّ ما بسبب التحرير. وقد حدث ذلك

---

[١٢] Alain Badiou, *Seminar on Plato at the ENS,* February 13,2008 (unpublished).

لأن العالم المالي اعتقد في مغزاه وأهميته في ذاته، واعتقد في وهمه المفتون به، وأنه قادر على أن يفسر الأشياء ويبلغ إليها بدون وظيفة أو مهمة الموضوع الذي افترض أن يُعرف. أولاً، تصبح حالة الأصول (المالية) الواقعية في حالة فقدان وخسارة. وثانيًا، يتخلل - تدريجيًا - السوء والحالة المتدانية كل شيء. وثالثًا، يكون هناك تحول سلبي ضخم تجاه السلطات، فصدمة خطة بولسون / برنانكي Paulson/ Bernanke آثارت غضب وسخط العامة : الأزمة هي إحدى أشكال الثقة، وأنها سوف تستمر إلى أن يُعاد بناء الموضوع الذي افترض أن يُعرف. وسوف يحدث ذلك على المدى الطويل عن طريق أسلوب وضع جديد لنظام بريتون وودز Bretton Woods، الذي يتوافق مع مؤسسة منعت وحظرت من أن نقول الحقيقة عن الحقيقة[١٣].

إن مغزى سند ومرجع ميلر هنا هو آلان جرينسبان، اللامتحيز " للموضوع المفترض أن يُعرف " عن الفترة الطويلة من النمو الاقتصادي بدءًا من عصر الرئيس ريجان Reagan حتى الانهيار الذي حدث مؤخرًا. ففي ٢٣ أكتوبر عام ٢٠٠٨، عندما عُرِضَ جرينسبان على لجنة الاستماع بالكونجرس، قد أثار بعض النقاط المثيرة للاهتمام في رده على الاتهامات الموجهة إليه. حيث إدعى بأنه قد كان يشجع على إحداث طفرة في أسعار العقارات عن طريق سدادها على مدة طويلة بأقل الفوائد، ولكنه قد أخفق في كبح جماح النمو المتفجر للمخاطرة مما أدى غالبًا إلى حالة الاحتيال في قرض الرهن العقاري.[١٤]

وهنا تكون اللحظة الحرجة للجنة الاستماع، حينما قاطع نائب ولاية كاليفورنيا California هنري واكسمان Henry A. Waxman، ورئيس لجنة المراقبة، حديث جرينسبان بقوله :

سوف أقاطعك. فالسؤال الذي أطرحه عليك هو، ألم يكن لديك أيديولوجيا. وهذه عبارتك. " أنا لدي بالفعل إيديولوجيا. وتقديري هو أن الأسواق الحرة التنافسية تكون على الأكثر مجرد أسلوب فذ لتنظيم الشؤون الاقتصادية. وقد حاولنا أن نضع تنظيمًا ولكن بلا جدوى كليةً من هذا العمل ". وذلك كان مقتبسًا من كلامك. فأنك كان لديك

---

(١٣) Jacques - Alain Miller , " The financial crisis ", available online at http : // www.lacan.com.

(١٤) انظر :

Elizabeth Olson, " Greenspan under fire", available online at http :// www.portfolio.com.

السلطة لمنع الممارسات القرضية غير المسؤولة التي قادت إلى أزمة الرهن العقاري[١٥]. فأنك ربما قد قُدمت لك نصيحة بأن تقوم بذلك من الباطن عن طريق الأخرين. ويدفع اقتصادنا بأكمله - حاليًا - ثمن ما فعلته. فهل تشعر بأن أيديولوجيتك قد دفعتك إلى صنع قرارات تتمنى بألا تكون قد اتخذتها ؟[١٦]

أجاب جرينسبان : " أنا وجدت صَدْعًا في النموذج الذي أدركته بوصفه البنية الوظيفية الحاسمة، التي تُحدد النحو الذي يعمل عليه العالم ". أو بتعبير آخر، إن جرينسبان يسلم بأنه عندما " بزغ في يوم ما ائتمان تسونامي "[*]، فإنه ابتلع الأسواق المالية، بحيث برهنت إيديولوجيته عن تجنب تنظيم السوق الحرة على حدوث الصدع. وفيما بعد، كرر جرينسبان " عدم اعتقاده المصدم " بأن الشركات المالية قد أخفقت في أن تحتفظ " بهيمنتها وسطوتها " الكافية على منافسيها التجاريين كي تمنع اندفاع الخسائر :

" إن أولئك الذين من بيننا كانوا يضعون في اعتبارهم مصالحهم الذاتية في المؤسسات القرضية لحماية أسهمهم العادية، وأنا نفسي واحد منهم، هم في حالة من عدم الاعتقاد المصدم ".

هذه العبارة الأخيرة تُظهر أكثر بكثير مما ربما قد ظهر للوهلة الأولى : إنها تبين أن خطأ جرينسبان كان يكمن في توقعه بأن المؤسسات القرضية التي تحث على المصلحة الذاتية سوف تجعلهم يقومون بأعمالهم على نحو أكثر شعورًا بالمسؤولية وبشكل أخلاقي أكثر، من أجل تجنب المدى القصير لدورات الدفع الذاتي للمضاربات المالية المتهورة التي – عاجلاً أو آجلاً – ستنفجر كمثل الفقاعة. أو بتعبير آخر، إن خطائه لم

---

[١٥] لقد صاغت وسائل الإعلام مصطلح الرهن العقاري subprime في أثناء انهيار الائتمان البنكي في عام ٢٠٠٧ ؛ لتشير به إلى المؤسسات المالية التي تقدم الائتمانات والقروض للمستهلكين لشراء العقارات أو ما يُعرف باسم " الرهن العقاري " (في بعض الأحيان يُشار إليه أيضًا باعتباره " وكيل المصارف أو تحت توكيل وإدارة البنك ")، إلخ، فتلك المؤسسات المالية كانت مُدركة نسبة المخاطر العالية في الإخفاق، من قبيل أولئك الذين لديهم تاريخ الإخفاق في القرض، وأولئك الذين حققوا أرقامًا قياسية في الإفلاس، أو أولئك الذين بخبرة مَدينية محدودة.

[١٦] : انظر Online NewsHour , October 23 , 2008 , Transcript, " Greenspan admits "flaw" to Congress, predicts more economic problems", available online at http://www.pbs.org/newshour.

[*] هذا تعبير مجازي يشير به إلى أن أمريكا تعيش تسونامي اقتصادي، أي في حالة من هبوب الإعصار المالي فيها. (المترجم).

يتعلق بالحقائق الواقعية، أي لم يتعلق بالمعلومات والآليات الاقتصادية الموضوعية ؛ وإنما يتعلق بالأحرى بالتوجهات الأخلاقية التي تولدت عن تأمل حالة السوق، وعلى وجه التحديد الافتراض بأن عمليات السوق سوف تولد تلقائيًا المسؤولية والثقة، طالما أنه على المدى الطويل سوف تدفع المصلحة الذاتية المشاركين أنفسهم للقيام بأعمالهم على هذا النحو. بوضوح، إن خطأ جرينسبان ليس فحسب ولا يمثل ببساطة إحدى أشكال الإفراط والتجاوز في تقدير عقلانية عملاء السوق ؛ وإنما يكمن خطائه في حديثه عن قدرتهم على الصمود أمام إغراء تحقيق المكاسب والأرباح من المضاربات المالية المتهورة. فما غفل عن إدراجه في تلك المعادلة الاقتصادية هو أنه لدى المضاربين الماليين توقع عقلاني إلى حدٍّ ما بأن المخاطر سوف تستحق منهم، في حالة حدوث الانهيار المالي، أن يعتمدوا على الحكومة ويثقوا فيها لتجاوز خسائرهم.

ولكن إحدى النتائج الغريبة لــ الأزمة المالية العالمية وللمعايير المتبعة لمقاومتها كانت هي إنعاش وإحياء المصلحة والمنفعة كما جاء في عمل إين راند Ayn Rand، الذي يعد أقرب عمل يمكن أن يبلغ إلى الشكل الإيديولوجي للرأسمالية الراديكالية حيث ترى أن " الجشع والطمع يكون أمرًا جيدًا ". إن مبيعات عمل راند العظيم المعنون باسم أطلس مستهجن *Atlas Shrugged*، حققت أرباحا هائلة مرة أخرى. وإحدى الأسباب المقترحة لهذا النجاح كان هو مساندة حكومة أوباما للبنوك المفروض عليها الحصار.

إن آثار الاشتراكية المستبدة، هو فرض القوة والنجاح لتقوية الضعيف، والفاشل، والعاجز وتدعيمهم. " إن مسار الخطة الاقتصادية يكون صائبًا بمنأى عن **أطلس مستهجن**"، فقد كَتَبَ المحلل ستيفن مور Stephen Moore مؤخرًا في صحيفة **وول ستريت جورنال** *Wall Street Journal* . " إذا كنت أكثر عجزًا في عملك، فإن أكثر المحسنين من رجال السياسة سوف يغدقون عليك "[١٧].

ووفقًا لبعض التقارير، هناك إشارات بالفعل بأن السيناريو الموصوف في رواية **أطلس مستهجن**- عن الرأسماليين المبدعين المستمرين بأنفسهم في الإضراب - يحيط بالفعل بالأحداث الجارية. ووفقًا لــ جون كامبل John Campbell، عضو الكونجرس الجمهوري :

---

[١٧] Oliver Burkeman," Look out for number one ", Guardian , March 10, 2009 , *P*.3.

" إن العمال يستمرون في الإضراب. وأنا أرى، على المستوى الضيق، نوعًا من الاحتجاج من الناس الذين يبدعون الوظائف الذين يتنازلون عن طموحاتهم لأنهم يرون كيف أنهم سوف يعاقبون عليها "[١٨]. إن سخف هذه الاستجابة والتصور يكمن في حقيقة أنها تمثل قراءة خاطئة تمامًا للموقف : إن معظم خطة الإنقاذ المالي تدخل ضمن المجموعات الضخمة، وعلى وجه التحديد أولئك الراندیان الذين حرروا " آل تتيان titans " ممن أخفقوا في مشاريعهم " الإبداعية " ؛ وبذلك مهدوا السبيل إلى الهبوط في ارتفاع الأسعار. فليس العباقرة المبدعون العظماء الذين يمدون يد العون حاليًا للابتعاد عن إطار الناس العاديين الكسالى ؛ وإنما يكون بالأحرى دافعي الضرائب العاديين هم الذين يساعدون في الابتعاد عن " العباقرة المبدعين الفاشلين ". فالمرء يحتاج على نحو يسير إلى استدعاء أن الأب السياسي - الإيديولوجي للعملية الاقتصادية طويلة الأجل التي كانت نتيجتها الأزمة المالية العالمية هو آلان جرينسبان المذكور آنفًا، " الموضوعي " حامل - البطاقة الراندية.

ولكن، دعنا نعود إلى ميللر ؛ لأن الرسالة في نصه الغريب واضحة : دعنا ننتظر بترو بزوغ " الموضوع الجديد المفترض أن يُعرف ". إن مكانة ميللر هنا هي إحدي أشكال المذهب الكلبي الليبرالي الخالص : كلنا نعرف أن " الموضوع الذي افترض أن يُعرف " هو وهم وخداع انتقالي - ولكننا نعرف هذا " بشكل خاص "، بوصفنا محللون نفسيون. وبوجه عام، ينبغي علينا أن نحفز ونشجع بزوغ " الموضوع الجديد الذي افترض أن يُعرف" للتحكم في الاستجابات المفزعة المفاجئة.

قد اشتبك ميللر مؤخرًا في صراع ضد المحاولة - الأوروبية الواسعة بأن تفرض حالة من التنظيم على أسلوب التحليل النفسي، التي سوف تقود بشكل فعال ومؤثر إلى إنهماكه في المجال الإدراكي " العلمي " الرحب والمعالجات الكيميائية الحيوية. ولسوء الحظ، إنه يدون هذا الصراع في حدود وأطر اصرار الائتلاف اليمني الليبرالي على حرية الأفراد من حالة التحكم والتنظيم الأبوي والاشتراكي، ويشير على نحو مباشر إلى عمل ويليم بيوتر Willem H. Buiter مؤيد - التاتشرية الليبرالية الجديدة [١٩]. فما غفل عنه ميللر هو كون أن حالة التنظيمات الحقيقية والجوهرية - التي يتقابل معها بشراسة - شُرعت بدلاً من حماية حرية الأفراد واستقلالها : فإنه يتصارع - إذن - مع

---

[١٨] Ibid.

[١٩] انظر : Willem H. Buiter , " Le nouveau Paternalisme : attention , danger ! " *Le Nouvel Ane*., September 9, 2008 , *P*. 34-5.

نتائج الإيديولوجيا الجوهرية التي يعتمد عليها ويثق بها. والمفارقة هي أن المجتمع القمعي الراهن الذي لا تكون فيه الحكومة فحسب ؛ وإنما - كذلك - الشركات الكبرى قادرين على التخلل والتحكم في الحيوات الفردية على نطاق واسع غير مسموع، فحالة التنظيم - إذن - هي ما نحتاج إليه من أجل أن نُبقي على الاستقلال الحقيقي والجوهري ونحافظ عليه الذي يُفترض أنه عرضة للخطر.

ففي منتصف أبريل عام ٢٠٠٩، عندما كنت أقيم في حجرة بفندق في سيراكوس Syracuse، وكنت أتناوب في مشاهدة برنامجين في التليفزيون : وهما عمل وثائقي عن بيت سيجر Pete Seeger، المغني الشعبي الأمريكي العظيم وعضو الحزب اليساري، وتقرير بقناة فوكس الأخبارية عن الاتجاه المضاد - لفرض ضريبة " حزب الشاي " في أوستين Austin، فالضرائب مع أداء مغني الشعب لأغنية ضد أوباما مثقلة بالشكاوي من واشنطن التي تفرض الضرائب على الطبقة العاملة من أجل تمويل المموِّلين الأثرياء في وول ستريت. إن التماس بين البرنامجين قد انطبع تأثيره الحماسي عليّ، وبوجه خاص من وجهين جديرين بالاهتمام. الوجه الأول، كان هناك تماثل غريب بين الموسيقاريين، فكلاهما صاغ النقد الشعبي ضد - تأسيس وتمكين الأثرياء المستغلين وحكومتهم، وكلاهما دعا إلى المعايير الراديكالية - المتضمنة التمرد المدني والمهيأة له - وبقية أخرى مؤلمة - ووفقًا لأشكال التنظيم - أن الائتلاف اليمني الشعبي الراديكالي المعاصر يُذكرنا بشكل غريب بالحزب اليساري الشعبي الراديكالي القديم. أما الوجه الثاني، فهو أن المرء ليس بوسعه إلا أن يلاحظ اللاعقلانية الرئيسة لمعترضي" حزب الشاي " : إذ يخطط أوباما بشكل مؤثر وفعال بأن يُخفض الضرائب المفروضة على الطبقة العاملة لأكثر من ٩٥%، ويقترح رفع النسبة المئوية للضرائب المفروضة فحسب على القرين الأعلى - أي، على " الأثرياء المستغلين ". ولذلك، كيف يقوم الناس - بالمعنى الحرفي للكلمة - بأعمالهم في مقابل مصالحهم الذاتية الخاصة؟

وصف توماس فرانك Thomas Frank ببراعة هذه المفارقة لمذهب المحافظين الشعبي المعاصر في الولايات المتحدة الأمريكية[٢٠] : إن تقابل الطبقة الاقتصادية (الفلاحون الفقراء وطبقة العمال الكادحة في مقابل المحامين، وموظفي البنوك، والشركات الكبرى) يعاد إدراجه من جديد إلى تقابل العمال الأمريكان المسيحيين الأمناء في مقابل الليبراليين المنحطين الذين يشربون القهوة باللبن ويقودون السيارات الأجنبية، ويؤيدون الإجهاض

---

[٢٠] انظر : Thomas Frank , ***What is the Matter with Kansas ? How Conservatives Won the Heart of America*** , New York : Metropolitan Books 2004.

واللِوَاطة، ويسخرون من التضحية الوطنية وأساليب الحياة " القروية " البسيطة، وهكذا دواليك. يُدرك العدو - إذن - بوصفه الصفوة " الليبرالية " التي تريد، خلال تدخل الحكومة الفيدرالية - بدءًا من التنقل بأتوبيس المدرسة إلى سن الشرائع والقوانين التي تلقنتها كلٌ من النظرية الداروني والممارسات الجنسية المقلوبة الفاسدة داخل طبقتهم الاجتماعية – أن تُقوِّض الأسلوب الأمريكي الأصلي. ونتيجة ذلك، إن المطلب الاقتصادي الرئيس للمحافظين هو التخلص من الحكومة القوية، التي تفرض الضرائب على الشعب لتمويل تداخلاتها بانتظام، وبالتالي يكون برنامجهم الاقتصادي الصغير على النحو التالي : " ضرائب أقل، تنظيمات أقل ". فمن خلال المنظور الرئيس للمسعى العقلاني والمستنير للمصلحة الذاتية، فإن تناقض وتقلب هذا الوضع الإيديولوجي يكون واضحًا : إن المحافظين الشعبيين – بالمعنى الحرفي - يصوتون بأنفسهم في الانهيار الاقتصادي. فإن أقل فرض للضرائب والتحرير يعنيان حرية أكثر للشركات الكبرى التي تستبعد الفلاحين الفقراء من أعمالها، وأن التدخل الحكومي الأقل يعني تدخل فِيدرالي أقل مما يساعد رجال الأعمال أصحاب المشروعات الصغيرة والمقاولين.

ورغم أن " الطبقة الحاكمة " لا تتفق مع أجندة الشعبيين الأخلاقية، فإنها تُبيح "الحرب الأخلاقية" بوصفها وسيلةً للاحتفاظ بالطبقات الأدنى مقيدة ومراقبة، أي تمكنهم من التعبير عن ثورانهم وغضبهم الشديد بدون إحداث بلبلة وارتباك في الحالة الاقتصادية الراهنة. وما يعنيه هذا هو أن ثقافة الحرب هي حرب طبقية بأسلوب الإزاحة والاستبدال – والتقدم على أولئك الذين يزعمون بأننا نحيا في مجتمع فيما وراء الطبقة الاجتماعية ومع ذلك، هذا وحده ما يجعل اللغز يتعذر حتى فهمه : فكيف يكون هذا الإحلال والإزاحة ممكنًا إن " الحماقة " و" التلاعب الإيديولوجي "(*) ليستا إجابتين كافيتين : بمعنى أن هذه الإجابة لا تعد – بشكل واضح - جيدة على نحو كافٍ لندعي بأنهم قاموا بعملية غسيل مخ(*) للطبقات الاجتماعية الأدنى البسيطة عن طريق الجهاز الإيديولوجي، بحيث لا يكونوا أو لم يعدوا قادرين على تحديد هوية مصالحهم الحقيقية. وإذا لم يكن هناك شيئًا ما آخر، فالمرء ينبغي عليه أن يستدعي كيف أنه، في عقود مضت، قد حدثت الحالة نفسها في كنساس، التي تحددت هويتها في كتاب فرانك

---

* التلاعب : هو عبارة عن مناورة في السوق للتأثير على الأسعار. (المترجم)

* غسيل مخ : المعنى المقصود هنا غسل المخ بالتكرار والصدمات الكهربية وخلافه لجعل الشخص يغيِّر أقواله وأفكاره. (المترجم).

بوصفها حِصْنًا محافظًا كان، في يوم ما، مَرْتعًا (*) لمبادئ حزب الشعب الأمريكي التقدمية في الولايات المتحدة الأمريكية - فالشعب لم يبلغ بحق إلى درجة كبيرة من الحمق أكثر مما بلغ إليها في العقود القليلة التي مضت. إن برهان القوة المادية للإيديولوجيا التي تكاثرت في الانتخابات الأوروبية التي جرت في يونيو عام ٢٠٠٩، هو أن المصوتين ساندوا بقوة السياسة الليبرالية المحافظة الجديدة - تلك السياسة الحقيقية والجوهرية التي مهدت السبيل إلى الأزمة المالية العالمية المستمرة. حقًّا، مَنْ الذي يحتاج إلى القمع والكبح المباشر عندما يكون بوسع المرء أن يقنع الدجاجة بأن تذهب برغبتها وحريتها إلى السلخانة ؟

إن نسخة سورمان عن الإيديولوجيا الرأسمالية تتجاهل هذه العملية الضرورية للعمى الذاتي وتكون، على هذا النحو، فظة وصارخة للغاية لتحويلها بوصفها شيئًا مهيمنًا - إنها تتسم بشيء ما من طابع " إثبات الهوية - المفرط " عن مجرد بقائها صراحة بوصفها فروضًا ومقدمات رئيسة، تلك التي تصبح مرتبكة في كل ما يتعلق بها. بالأحرى، إن النسخة الإيديولوجية للرأسمالية التي تبزغ بوصفها شيئًا مهيمنًا بمنأى عن الأزمات الراهنة هي تلك الرأسمالية - الاقتصادية " المسؤولة - اجتماعيًا". بينما كان افساح مكان، في الماضي وفي الحاضر، لنظام السوق الحرة قد كشف مرارًا - غالبًا - عن نتائج مفزعة، فالادعاء المطروح حاليًا هو أنه بوسع المرء أن يدرك إشارات توجه جديد، بحيث يكون واعيًا ومدركًا بأن الحراك الرأسمالي للقدرة الإنتاجية للمجتمع يمكن أيضًا أن تنتج لتخدم الأهداف البيئية، كالصراع ضد الفقر، والنهايات الأخرى الجديرة بالاعتبار. وعادة، تقدم هذه النسخة بوصفها جزءًا من التحول الأوسع تجاه نموذج روحي كلي جديد فيما بعد المادية. ومع الوعي المتزايد بوحدة الحياة بأكملها على الأرض وبالمخاطر العامة أو المشتركة التي نواجهها جميعًا ؛ فإن توجهً جديدًا يبزغ ذلك الذي لم يعد يتقابل فيه السوق مع المسؤولية الاجتماعية - فإنهما يمكن أن يتوحدوا ويتحدوا من جديد من أجل المنفعة المشتركة. إن التعاون مع الموظفين ومشاركتهم، والحوار مع العملاء، ومراعاة البيئة المحيطة، والشفافية في المعاملات والاتفاقيات التجارية، تعد في هذه الأيام مفاتيح للنجاح. لا ينبغي على الرأسماليين أن يكونوا فحسب مجرد آلات لتوليد المكاسب والأرباح، طالما يمكن أن يكون لحيواتهم معنى أعمق. فقد أصبحت شعاراتهم المميَّزة هي الإحسان والمسؤولية الاجتماعية : فإنهم أول من يسلم بأن المجتمع قد كان حسنًا لهم بشكل مذهل عن طريق الاتاحة لهم بأن

(*) المرتع : موضع أو محيط ملائم لنمو شيء أو تطوره بسرعة. (المترجم).

ينشروا مواهبهم ويجمعوا الثروة الضخمة؛ ولذلك فمن واجبهم أن يعودوا بشيء ما على المجتمع وأن يساعدوا الناس العاديين. هذا النوع من الاقتراب المهتم وحده يجعل العمل ناجحًا بجدارة الروح الجديدة للمسؤولية العالمية تكون قادرة - إذن - على تفعيل الرأسمالية لتعمل بوصفها أكثر أداة فعالة للصالح العام. إن النزعة الإيديولوجية الرئيسة للرأسمالية - يمكن أن نطلق عليها كيفما تشاء اسم "العقل الأداتي"، أو "الاكتشاف التكنولوجي"، أو "الطمع الفردي "- تكون منفصلة عن الأسباب والمحددات الاقتصادية - الاجتماعية العينية (أي عن العلاقات الرأسمالية للإنتاج) وإدراكها بوصفها حياة مستقلة أو بوصفها توجهًا " وجوديًا "، الذي ينبغي أن (ويمكن) التغلب عليه عن طريق مظهر جديد أكثر "روحانية"، تاركًا تلك العلاقات الرأسمالية الحقيقية أو الجوهرية مصونة.

ومع ذلك، ألا تكون الأزمة المالية العالمية التي حدثت في عام ٢٠٠٨ نوعًا من التعليق الساخر على الطبيعة الإيديولوجية لهذا الحلم بالرأسمالية - الاقتصادية المسؤولة اجتماعيًا وروحانيًا؟ فكما نعرف جميعًا، في ١١ ديسمبر عام ٢٠٠٨، قُبِضَ على برنارد مادوف Bernard Madoff، رئيس الاستثمار الناجح بشكل فائق ورجل الخير المحسن في وول ستريت، واتُّهم بتيسير ٥٠ بليون دولار لمشروع بونزي (أو الهرم).

ظاهريًا، من المفترض أن تكون سندات مادوف المالية أقل عرضة للمخاطرة في الاستثمارات. حيث إنه من المقرر أن فوائد رأس ماله الضخم، تزيد النسبة المئوية لأرباحه - عادةً - بنقطة أو نقطتين شهريًا. فكانت الخطة المقررة للسندات المالية هي أن يشتري أسهم وسندات كبيرة ويدعم تلك الاستثمارات بالخطط المتعلقة بحق البيع والشراء للأسهم. بحيث كان من المفترض أن تولد الاستثمارات المشتركة فوائد ثابتة، وأن تغطي الخسائر وتتجاوزها.

ولكن في وقت ما عام ٢٠٠٥، وفقًا لمنظومة ائتلاف العمل الاجتماعي، قد تخدر العمل الاستشاري - الاستثماري لمادوف في مشروع بونزي، بحيث يأخذ أموال من المستثمرين الجدد ليرد للعملاء الموجودين بالفعل في المشروع المبالغ التي دفعونها ممن أرادوا استرداد أموالهم نقدًا وبغض النظر عن أرباحه، فإن عدد متزايد من المستثمرين بدءوا يطالبون مادوف باسترداد أموالهم. وفي الأسبوع الأول من ديسمبر - وفقًا لمنظومة ائتلاف العمل الاجتماعي - أخبر مادوف رئيس السلطة التنفيذية بأنه قد كان هناك مطالب من العملاء لاسترداد أموالهم التي تصل إلى ٧ بليون دولار ألتقى مادوف بولديه

ليخبرهم أن العمل الاستشاري كان احتيالاً – وأن " مشروع بونزي الضخم "، كما أخبرهم مُقررًا ذلك – كان مشروعًا مفلسًا تقريبًا.[٢١]

هناك شكلان يجعلان هذه القصة مدهشة للغاية : الشكل الأول، أن مثل هذه الخطة المعروفة تمامًا والبسيطة بشكل رئيس كان يفترض أنها قادرة على أن تنجح إلى حدٍّ كبير في المجال المتحكم فيه والمعقد تمامًا في الوقت الراهن للمضاربات المالية، أما الشكل الثاني، فهو أن مادوف لم يمثل مجرد حالة شاذة وهامشية، ولكنه كان صورة من القلب الحقيقي والجوهري لسوق الأوراق المالية (ناسداك) في الولايات المتحدة الأمريكية، ومنخرطًا في عدد من الأنشطة الخيرية. فينبغي على المرء – إذن – أن يقاوم المحاولات العديدة لإضفاء الطابع المرضي على مادوف، مقدمين إياه بوصفه وغدًا فاسدًا، وبوصفه دُوْدَة فاسدة في تفاحة خضراء سليمة. ألا تكون حقيقة الأمر بالأحرى أن حالة مادوف تُقدم لنا بشكل مبالغ فيه، ولكنها إذن تعد مثالاً خالصًا على ما تسبب في الانهيار المالي نفسه ؟

وهنا يجب على المرء أن يطرح سؤالاً بسيطًا : هل لم يعرف مادوف أن مصير مشروعه - على المدى الطويل – هو الانهيار؟ ما القوة التي انكرت عنه هذه البصيرة الواضحة وأخفتها ؟ لا تتمثل هذه القوة في عيب مادوف الشخصي، أو لاعقلانيته، ولكنها بالأحرى تكمن في توجه باطني ومُلِحٌ على الاستمرار، لتوسيع مجال التداول من أجل الاحتفاظ بسريان عجلة الاستثمار، المدونة في نظام العلاقات الرأسمالية الحقيقية والجوهرية. أو بتعبير آخر، إن إغراء العمل المشروع " المخدر " في مشروع بونزي هو جزء من الطبيعة الحقيقية والجوهرية لعملية التداول الرأسمالي. ليس هناك نقطة محددة أجتيز عندها نهر الربيكون مثلما لا توجد نقطة محددة تخدر عندها العمل المشروع في مشروع غير قانوني، فالدينامية الرأسمالية الحقيقية والجوهرية تلطخ الحدّ الفاصل بين الاستثمار " المشروع " والتداول " الهمجي أو البربري" ؛ لأن الاستثمار الرأسمالي يكون، في صميمه، مقامرة مخاطرة سيصير بها مشروعًا ما مُرْبحًا، أو فعلاً وحدثًا للاقتراض من المستقبل. فإن تبديل وتغيير الأحوال والوقائع المفاجئ وغير المتحكم فيه يمكن أن يدمر الاستثمار، الذي يُفترض أن يكون " أمنًا " – هذا يبين سبب

[٢١] Stephen Gandel , " Wall Street's latest downfall: Madoff charged with fraud", Time , December 12, 2008.

ظهور المخاطرة " الرأسمالية. وفي رأسمالية " ما بعد الحداثة "، ظهرت المضاربات المالية المدمِّرة بشكل محتمل على أعلى مستوى مما كان حتى متخيلاً في الفترات السابقة[٣٢].

في شهور عديدة مضت، قد انطلقت فينا بشكل متكرر من خلال الأشكال العامة لبابا الهبوط في ارتفاع الأسعار الإيعاز بأن نصارع ضد ثقافة الطمع والاستهلاك المفرط. هذا المشهد الكريه للحراك الرخيص هو عملية إيديولوجية إذا كان هناك دومًا واحدة منها : إنّ الدافع إلى (أن يمتد) نطاق كل ما هو مدون في النظام ذاته يُترجم إلى كونه مسألة الخطيئة الشخصية، وإلى كونه نزعة سيكولوجية خاصة. فالدفع الذاتي للتداول الرأسمالي يبقى - إذن - أكثر بكثير من الواقع الرئيس لحيواتنا، أنه الدابّة التي لا يمكن أن نتحكم فيها بتقيدها، طالما أنها هي نفسها تتحكم في نشاطنا، وتعمينا حتى عن أكثر الأخطاء وضوحًا، فإننا نُرودها ونُداعبها. فواحد من أضخم الإنكار الفتشيتي : "أنا أعرف حسنًا المخاطر التي أُرودها وأداعبها، حتى حتمية الأزمة المالية العالمية، ولكن مع ذلك (يمكنني أن أرجئ الأزمة لمدة أطول من ذلك قليلاً، وأن أتظاهر بقليل من المخاطرة، وهكذا بشكل غير محدود)". إنه العمى الذاتي لـ " اللاعقلانية " المتصل، وعلى نحو دقيق، بـ " لاعقلانية " تصويت الطبقات الدنيا ضد مصالحها الخاصة، وبعد فهذا برهان آخر على القوة المادية للإيديولوجيا. فالإيديولوجيا عمياء كمثل الحب، سواء وقع الناس فيه أم لا.

إنساني.. مفرط في الإنسانية :

إن الحقبة المعاصرة تعلن عن نفسها دائمًا بوصفها فيما بعد - الإيديولوجية، ولكن هذا الإنكار للإيديولوجيا يعد وحده في حد ذاته برهانًا رئيسًا على ارتباطنا بشكل أكثر رسوخًا بالإيديولوجيا من أي وقت مضى. فالإيديولوجيا تعد دومًا - من بين سائر الأشياء الأخرى - مجالاً للصراع، صراع من أجل امتلاك التقاليد القديمة. إن واحدة من أوضح الإشارات على مأزقنا هي إدعاء الامتلاك الليبرالي لمارتن لوثر كينج Martin Luther King، الذي يعد في حد ذاته عملية إيديولوجية مثالية ونموذجية. فقد أشار هنري

---

[٣٢] بشكل عارض، يعد ذلك إشارة على الإدراك العام في الولايات المتحدة الأمريكية بأنه لم يكن هناك آثار للنزعة المضادة للسامية في استجابتهم للأزمة المالية العالمية، برغم أنه يُفترض أن يكون من السهل تخيل مثل هذه الاستجابة : " هل لاحظت كيف أن اليهود، اليهود الماليون جعلونا نحن العمال الأمريكان أن ندفع ٧٠٠ بليون دولار لنتجاوز الخسائر الناجمة عن حماقتهم وتهورهم.

لويس تايلورHenry Louis Taylor مؤخرًا أن : " كل شخص يعرف، وحتى أصغر طفل يعرف عن مارتن لوثر كينج، يمكنه القول بأن أشهر لحظة في خطابه هي حينما قال "إنني لدي حلم". فليس بوسع المرء - إذن - أن يذهب لأبعد من تلك العبارة الموجزة. فجميعنا نعرف بأنه كان لهذا الرجل حلمًا. ولكننا لا نعرف ما هو ذلك الحلم".[٣٣] فقد سلك كينج طريقًا طويلاً من بين الجماهير الذين هتفوا له في مارس عام ١٩٦٣ بواشنطن Washington، عندما قُدم بوصفه " القائد الأخلاقي لأمتنا ". وبتتبع العواقب فيما وراء ذلك نجد أنه قد تحول الأمر ببساطة إلى عزله ؛ إذ فقد كثيرًا من المساندة الشعبية أو الجماهيرية، واعتبر منبوذًا بشكل متزايد. فكما نص اكتتاب هارفارد سيتكوف Harvard Sitkoff، " إنه تصدى لمسائل وقضايا الفقر والنزعة الحربية على اعتبار أنهما من الأمور الحيوية "، لجعل المساواة شيئًا واقعيًا وليست مجرد إخاء عنصري، ولكنها مساواة حقيقية فعلية ". ولنعبر عن ذلك بأسلوب باديو، اتبع كينج " مبدأ المساواة " على نحو جيد فيما وراء الموضوع الفردي للتفرقة العنصرية : حيث كان يُقيم حملة ضد مسائل الفقر والحرب حتى وقت وفاته. فقد شجب حرب فيتنام، وعندما قُتِلَ بممفيس Memphis في أبريل عام ١٩٦٨، فإنه كان يساند إضراب العمال من أجل المطالبة بالتأمين الصحي وتحسين العلاج. وكما قالت ميليسا هاريس - لاسويل Melissa Harris Lacewell -، إن "اقتفاء أثر كينج عَنَى تتبع طريقًا شاذًا، وليس مجرد طريق مألوف".

فضلاً عن ذلك، كل الأشكال التي تُثبت هويتنا وتحققها اليوم بالحرية والديمقراطية الليبرالية (من قبيل نقابات العمال، والتصويت الكلي، والتعليم العالمي المجاني، وحرية النشر والصحافة.. وإلخ) قد انتصرت عبر صراع شاق وطويل من قِبل الطبقات الأدنى الكادحة من بداية القرنين التاسع عشر والعشرين حتى نهايتهما- أو بتعبير آخر- أنها لا تمثل أي شيء إلا النتائج " الطبيعية " للعلاقات الرأسمالية. لنستدعي قائمة الطلبات التي يُنهي بها المانيفستو أو بيان الحزب الشيوعي Manifesto الأمر : إن الغالبية العظمى منها - باستثناء إلغاء الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج - مقبولة في الوقت الراهن على نطاق واسع من " البرجوازيين " والديمقراطيين، ولكنها تُقبل فقط بوصفها نتيجةً للصراعات العامة. ولنضع خطًا تحت حقيقة أخرى متجاهلة غالبًا: ففي الوقت الراهن، المساواة بين البيض والسود تُبجل ويُحتفى بها بوصفها جزءًا من الحلم الأمريكي، وتعالج

[٣٣] This quote and the following two (by Sitkoff and Harris - Lacewell) are taken from an Associated Press report entitled " MLK' s legacy is more than his " Dream " speech ", available online at http// wcbstv.com.

بوصفها مبدأ سياسيًا - أخلاقيًا بديهيًا، ولكن في العشرينيات والثلاثينيات كان الشيوعيون في الولايات المتحدة الأمريكية يمثلون وحدهم القوة السياسية ليبرهنوا على المساواة العنصرية الكاملة[٢٤]. أولئك هم الذين يزعمون بأن الارتباط الطبيعي بين الرأسمالية والديمقراطية هو تزيف للحقائق الواقعية بأسلوب تزيف وخداع الكنيسة الكاثوليكية نفسه عندما تقدم ذاتها بوصفها المدافع والمؤيد " الطبيعي " للديمقراطية والحقوق الإنسانية ضد تهديد النزعات الشمولية - كما لو لم تكن الحالة أن الكنيسة قبلت الديمقراطية فقط في نهاية القرن التاسع عشر، وحتى بعد صرير أسنانها [أي قبولها على مضض]، بوصفها حلاً وسطًا يائسًا، ويبدو واضحًا أنها فضلت الملكية، إنها- بذلك - أقامت إذعانًا وامتيازًا ممتنع على الأزمنة الحديثة.

وعند إحصاء كل ضلالات الإيديولوجيا وانحرافاتها بأكملها، تظهر على خلاف ما تبدو عليه، بوصفها ما يقابلها، أي بوصفها لا- إيديولوجيا، بوصفها قلب هويتنا الإنسانية تحت العلامات الإيديولوجية كلها. وهذا يبين لِمَ يعد كتاب جوناثان ليتل Jonathan Littell المعنون باسم الرُفقاء (*The Kindly Ones*) *bienveillantes*[٢٥] مُصدمًا للغاية، وبوجه خاص بالنسبة للألمان : إنه يقدم أول شخص خيالي في رواية المحرقة *The Holocaust* من منظور الشريك الألماني، ألا وهو قائد الهجوم الأعلى في الجيش النازي ماكسيميليان أوه Maximilian Aue. فالمشكلة تكون على النحو التالي : كيف نصف أسلوب خبرة أصحاب السلطة التنفيذية النازيون بأزمتهم، وكيف يرمزون إليها بدون أن يتولد التعاطف معهم أو حتى تزكيتهم ؟ فما عرضه ليتل، لنضعه بكيفية ما في حدود وأطر اللاذوق، هو إضفاء طابع خيالي على النسخة النازية لرواية بريمو ليفي Primo Levi. فعلى سبيل المثال، أنه يملك مفتاح الدرس الفريدوي ليعلمه لنا : ينبغي على المرء أن يرفض فكرة أن الأسلوب الملائم للتصارع مع الطابع الشيطاني للآخر هو إضفاء الطابع الذاتي عليه، وأن ينصت إلى تاريخه، وأن يفهم كيف يُدرك الموقف (أو، كما يذهب القول المأثور في الشرق الأوسط إلى أن : " العدو هو الشخص الذي يملك قصة لم تسمع عنها بعد"). ومع ذلك، هناك حد واضح لهذا التصرف أو السلوك : هل يمكن أن يتخيل المرء كيف يُغرينا سفاح نازي وحشي ويجذبنا- كمثل سفاح ليتل ماكسيميليان أوه، الذي بالأحرى دعى نفسه - ليخبرنا بقصته ؟ هل يكون المرء

---

[٢٤] : انظرGlenda Elizabeth Gilmore, *Defying Dixie* : *The Radical Roots of Civil Rights*, New York : Norton 2007.

[٢٥] : انظر Jonathan Littell , *The Kindly Ones* , New York : Harper Book Club 2009.

مستعدًا- إذن - أن يثبت كذلك أن هتلر كان عدوًا لمجرد أن قصته لم يُسمع عنها ؟ هل تفاصيل حياته الشخصية " فدت " الرعب والفزع الناجم من حكمه، وهل تجعله " أكثر إنسانية " ؟ لأستشهد بمثال من أمثلتي المفضلة، وهو راينهارد هيدريش Reinhard Heydrich، المهندس المعماري في رواية المحرقة، الذي أَحَبَ أن يعزف الرباعيات الوترية الأخيرة لبيتهوفن Beethoven مع أصدقاءه في أثناء أوقات فراغه بالمساء. فأكثر خبرتنا الذاتية أساسية هي الخبرة " بثراء حياتي الباطنية " : فهذه تعد ما " أكونه بالفعل " في مقابل التحديدات الرمزية والمسئوليات التي اتخذها على عاتقي في الحياة العامة (أي بوصفي أبًا، أو بوصفي أستاذًا جامعيًا، وإلخ). الدرس الأول للتحليل النفسي هنا هو أن " ثراء الحياة الباطنية " يكون زيفًا بشكل رئيس : إنه سِتار، مسافة زائفة، لديه مهمة - كما من المفترض أن تكون - أن يحمي مظهري، وأن يصف بشكل واضح وملموس هويتي الرمزية - الاجتماعية الحقيقية (أي على نحو سهل المنال لنرجسيتي التخيلية). ونتيجة ذلك، فإن إحدى الأساليب التي تمارس نقد الإيديولوجيا هي أن نبتكر خططًا للكشف عن هذا الرياء والمداهنة " للحياة الباطنية " ولانفعالاتها "الصادقة". إن الخبرة التي نملكها عن حياتنا من الداخل أو باطنها، القصة التي نرويها لأنفسنا عن أنفسنا لوصف وتفسير ما نفعله أو نقوم به، تكون - إذن - كذبةً، فالحقيقة تكمن، بالأحرى، في الخارج - فيما نفعله. وفي ذلك، يقطن الدرس الصعب لكتاب ليتل : ففي الكتاب، نلتقي بشخص ما يملك قصة نقوم بالاستماع إليها كاملةً، ولكن برغم ذلك ينبغي أن يظل عدونا. فما لا يحتمل بحق عن أصحاب السلطة التنفيذية النازيين لا يتمثل إلى حدٍّ بعيد في الأشياء المفزعة التي قاموا بها ؛ وإنما يتمثل في كيفية كونهم "إنسانيين، مفرطين في الإنسانية" بينما هم مستمرون في القيام بمثل هذه الأشياء المفزعة. " فالقصص التي نرويها لأنفسنا عن أنفسنا " تسهم في حجب البعد الأخلاقي الحقيقي لأفعالنا. في صنع الأحكام الأخلاقية، ينبغي علينا أن تكون القصة عمياء - وهذا يبين سبب توجيه الفريدي يلينيك Elfriede Jelinek نصيحة لكُتّاب المسرح بألا تكون رواياتهم صحيحة إستطيقيًا أو جماليًا فحسب ؛ وإنما أن تكون لها تسويغًا أخلاقيًا عميقًا :

إن الشخصيات على خشبة المسرح ينبغي أن تكون بسيطة وإنسيابية، كمثل الملابس في عرض الأزياء : فما تبلغ إليه وتدركه لا ينبغي أن يكون أكثر مما تراه. فالواقعية السيكولوجية تكون بشعة ؛ لأنها تبيح لنا بأن نهرب من الواقع الذي لا يُحتمل عن طريق اتخاذ مأوى لنا في " رفاهية ورخاء " الشخصية، وأن نفقد أنفسنا في

عمق الطابع الفردي. إن مهمة الكاتب هي أن يسد على هذه المناورة، وأن يعدو بنا إلى نقطة يمكننا من خلالها رؤية الرعب والفزع بعين متأنية محايدة.[٣٦]

والخطة نفسها "لإضفاء النزعة الإنسانية" الإيديولوجية (بمعنى الحكمة المأثورة "الخطأ من طبيعة البشر " هي مفتاح جوهري مكون للحضور - الذاتي الإيديولوجي لقوى الدفاع الإسرائيلي. فوسائل الإعلام الإسرائيلية تحب أن تسهب في الحديث عن النقائص والجروح النفسية للجنود الإسرائليين، فلا يقدمونهم بوصفهم آليات عسكرية كاملة ولا بوصفهم أبطالاً تفوق البشر ؛ وإنما بوصفهم بشرًا عاديين ممن، أحدثوا الجروح في التاريخ والحرب، وفي بعض الأحيان يخطئون ويفقدون طريقهم ويضالوه. فعلى سبيل المثال، عندما دمرت قوى الدفاع الإسرائيلي في يناير عام ٢٠٠٣ الاستقرار الأسري لعائلة " إرهابي" مشتبه فيه، فإنهم قاموا - حقًا - بهذا الأمر بعطف، حتى يتحون للأسرة الفرصة أن تُخرج أثاثها قبل تدمير البيت بالبلدوزر. وحادث مماثل كتبت عنه الجرائد الإسرائيلية قبل ذلك بسنوات قليلة : عندما كان يبحث جندي إسرائيلي عن بيت فلسطيني مشتبه فيه، نادت الأم على ابنتها باسمها كي تُهدأ من روعها، وهاهنا يدرك الجندي المندهش المتفاجئ أن اسم البنت المفزوعة كاسم ابنته، وبجيشان عاطفي حساس ومؤثر، أخرج محفظته وعرض صورتها على الأم الفلسطينية. فإنه من السهل أن نُدرك كذب وزيف مثل هذه الإشارة إلى التعاطف : المفهوم الذي - رغم الاختلافات السياسية - نكون فيه جميعًا موجودات إنسانية بشكل رئيس بأشكال الحب والقلق نفسها وتحييد تأثير الفعل الذي قام به الجندي،هو مفهوم منخرط ومندرج بشكلٍ ما في هذا الأمر. وهكذا، كان ينبغي أن يكون الرد الوحيد المناسب للأم : " إذا كنت بالفعل موجودًا إنسانيًا مثلي، فلماذا تقوم بما تقوم به حاليًا ؟ " ومن الممكن أن يتحجج الجندي - إذن - بواجبه فيقول : " أنا لا أحب القيام بهذا الفعل، ولكنه واجبي " وهكذا يُنحي الافتراض الذاتي من واجبه جانبًا.

فإن المغزى في مثل هذه النزعة الإنسانية هي أنها تؤكد على الفجوة بين الواقع المعقد للشخص والدور الذي يجب أن يلعبه في مقابل طبيعته الحقيقية. فكما قال أحد الجنود في أثناء المقابلة الشخصية معه في سياق أحداث فيلم تساهال ***Tsahal***[٣٧] لكلود لانزمان Claude Lanzmann عام ١٩٩٤: " في أسرتي، جيناتنا الوراثية ليست

---

[٣٦] Elfriede Jelinek , ***quoted in Nicholas Spice*** , " Up from the Cellar", London Review of Books , June 5, 2008 , *P.* 6.

[٣٧] "Tsahal" التساهال هي كلمة مركبة من الحروف الأولى لكلمة عبرية تشير إلى قوى الدفاع الإسرائيلي.

عسكرية "، ولكنه تفاجأ بأن وجد نفسه في وظيفة ضابط. وبشكل ساخر، يتبع لانزمان هنا أسلوب إسبيلبرج Spielberg نفسه في إضفاء النزعة الإنسانية، فموضوع لانزمان موضع استهانة واستخفاف تام. ومثلما هو الحال في فيلمه الوثائقي المحرقة ***Shoah***، يعمل لانزمان في فيلم **تساهال** كلية في الوقت الراهن، رافضًا أي رواية أو مشاهد أرشيفية عن الصراع والقتال قد تبرهن على شيء ما من المضمون التاريخي. فمن بداية الفيلم الجوهرية نُلقى في شيء من وسائل الإعلام : حيث يستدعي العديد من الضباط حالة الرعب والفزع التي أنتابتهم في حرب ١٩٧٣، بينما في الخلفية، نرى الآلات - السمعية تعيد إنتاج التسجيلات الأصلية لما حدث واستمر في لحظة الفزع والرعب، للوحدات الإسرائيلية في الضفة الشرقية من قناة السويس عندما عبرها الجنود المصريون. يُستخدم " صوت الهروب " هذا بوصفه مُحَرِّكًا ودافعًا لتحول المقابلة الشخصية مع الجنود السابقين إلى خبرتهم المصدومة : فإنهم يُحيون بأسى الموقف الذي قُتِلَ فيه العديد من رفقائهم في السلاح، وكان رد فعلهم يملأه الخضوع والاستسلام الكامل لضعفهم وزِلتهم وفزعهم وخوفهم الإنساني، فالعديد منهم استسلموا صراحةً لأنهم لم يخافوا على حياتهم فحسب ؛ وإنما خافوا، بالإضافة إلى ذلك، على وجود إسرائيل Israel وكيانها الحقيقي والجوهري نفسه. ووجه آخر لهذه النزعة الإنسانية هو العلاقة الوثيقة " الحيوية " الأليفة مع الأسلحة، وعلى وجه التحديد مع الدبّابات. وكما قال أحد الجنود في المقابلة الشخصية : " إن لهم أرواح. فإذا أعطيت دبابة لحبيبك، لمن تهتم به، فإنه سوف يرُد كل شيء لك ".

إن تركيز لانزمان على خبرة الجنود الإسرائيليين بحالة الطوارئ الدائمة والتهديد بالإبادة يتموضع لتبرير استبعاد منظور الفلسطينيين من مشاهد الفيلم : وفي النهاية، نراهم مختزلين فحسب في الخلفية اللاذاتية للفيلم. فالفيلم يقوم بعرض كيف يُعامل الفلسطينيين في الواقع بوصفهم طبقة أدنى، خاضعة لتحكمات وسيطرة الجيش والشرطة وتعوقهم التصرفات والإجراءات البيروقراطية، ولكن النقد الصريح فقط للسياسة الإسرائيلية في الفيلم قد صاغها الكُتّاب والمحامون الإسرائيليون (من قبيل: أفيجدور فيلدمان Avigdor Feldman، ديفيد جروسمان David Grossman، وعاموس أوز Amos Oz). فعلى مستوى قراءة متعاطفة، قد يكون في وسع المرء أن يدعي (على نحو ما فعلت جانت ماسلين Janet Maslin في نقدها لفيلم **تساهال** في جريدة **نيويورك تايمز**) بأن " لانزمان يتيح لتلك الوجوه التحدث لذاتها "، تاركًا اضطهاد الفلسطينيين يظهر بوصفه حضورًا في خلفية الفيلم، فالكل غرقوا أكثر في صمته. ولكن،

هل الأمر بالفعل على هذا النحو ؟ هنا يكون وصف ماسلين للمشهد الرئيس بقرب نهاية الفيلم، عندما ينخرط لانزمان في نقاش وجدال مع مقاول المبنى الإسرائيلي :

"عندما يعرف العرب بأنه سيوجد يهود هنا إلى الأبد ؛ فإنهم سيتعلمون العيش معهم "، يصر ويشدد هذا الرجل، على أن من يملك البيوت الجديدة يعد بمثابة وجودًا شُيِّد على بلد محتلة. ومثلما يتحدث نرى العمال العرب يعملون بنشاط خلفه. واجهه بتساؤلات شائكة حول أن وظيفة البناء الاستيطاني الاستعماري تبزغ، فالرجل - ببساطة - يناقض نفسه. إنه، بالإضافة إلى ذلك، يحشر كعبيه [أي أنه يستولي على المكان]. "فهذه أرض إسرائيل"، كما يصر الأستاذ لانزمان بانحراف، الذي قد جعل مهمته أن يكتشف علاقة الشعب الإسرائيلي الوثيقة بهذه الأرض، ويثير تساؤلاً من بين العديد من التساؤلات الأخرى التي بلا إجابة. وأخيرًا، يقطع الرئيس في النهاية النقاش، ويبتسم بشكل فلسفي ويلقي ذراعيه حول البَنَّاء. وفي تلك اللحظة، فإنه يعبر عن كل ما يُرى من مشاهد الأسى والحسرة والإخفاق والإحباط في فيلم تساهال بتعبير إيمائي واحد(٢٨) .

ولكن، هل كان لانزمان " سيبتسم - كذلك - بشكل فلسفي ويلقي ذراعيه حول " العامل الفلسطيني في الخلفية، وهل كان هذا الأخير سيعرب عن غضبه وثورته الهدامة ضد الإسرائيلي الذي قد اختزله إلى مجرد أداة مدفوعة لنزع ملكية أرضه الخاصة ؟ وفي ذلك يقطن الغموض الإيديولوجي لفيلم تساهال : فإن الجنود في المقابلة الشخصية يلعبون دور ذواتهم الإنسانية العادية "، فإنهم يجسدون الأقنعة التي قد أسسوها لإضفاء الطابع الإنساني على أفعالهم - فالغموض الإيديولوجي يبلغ لقمة تهكمه غير المقبول عندما يظهر أرييل شارون Ariel Sharon بوصفه فلاحًا مسالمًا.

الشيء المثير للاهتمام هو أن نلاحظ كيف أن عملية "إضفاء الطابع الإنساني" المماثلة والمشابهة هي الحاضرة بشكل متزايد في الموجة المتفجرة مؤخرًا عن الأبطال الخارقين (من قبيل سبايدرمان Spiderman، باتمان Batman، هانكوك Hancock). فلقد كثر حديث النقاد عن كيفية تحرك تلك الأفلام فيما وراء الشخصيات الكوميدية البسيطة الأصلية وتقطن في التفاصيل حول حيرة البطل الخارق، وضعفه، وشكوكه، ومخاوفه وقلقه، وصراعه مع شياطينه وأرواحه الباطنية، ومواجهة جانبه المظلم، وهكذا دواليك، كما لو كان كل هذا يجعل الإنتاج التجاري الفائق بكيفية ما أكثر " فنيًا ".

---

(٢٨) Janet Maslin , " Tsahal ; Lanzmann' smeditation on Israel's defense," *New York Times* , January 27, 1995.

(الاستثناء في هذه السلسلة من الأعمال هو دوام واستمرار فيلم نايت شيامالان M.Night Shyamalan المعنون باسم غير قابل للكسر ***Unbreakable***).

في الحياة الواقعية الفعلية، هذه العملية لإضفاء الطابع الإنساني بلغت بشكل غير قابل للشك فيه أوجها في صحافة كوريا الشمالية التي ظهرت مؤخرًا، والتي نشرت تقرير عن الرئيس المحبوب كيم جونج - الثاني Kim Jong-II البارع، الذي أنهى اللعب تمامًا - في اللعب المفتوح بلعبة الجولف الأولى في البلد ؛ إذ سدد الكرة في ثمان عشرة حفرة بتسع عشرة ضربة. وبوسع المرء أن يتخيل بشكل حسن طبيعة تفكير دعاية البيروقراطي : ليس من أحد قد اعتقد أن كيم قد طوع الحفرة في كل مرة، ولذلك، لجعل الأشياء واقعية، دعنا نُسلم - في يوم ما - بأنه احتاج ضربتين لينجح.

ولسوء الحظ، دمر نمط " إضفاء الطابع الإنساني " نفسه فيلم **جماعة بآدر ماينهوف** ***The Baader Meinhof Complex*** عام ٢٠٠٨، الذي يمثل طريقة تصوير مختلفة مثيرة للاهتمام لمصير الجيل الأول من مجموعة حزب الجيش الأحمر (وهم : إلريك ماينهوف Ulrike Meinhof، وجودرن إنسلين Gudrun Ensslin، وأندرس بآدر Andreas Baader) في ألمانيا Germany. الرؤية الذاتية للفيلم، أن الموضع الضمني المُقدم للمشاهد بوصفه نقطةً إثبات الهوية هو أن ماينهوف، " الإرهابية " التي برغم ذلك تبقى " إنسانية " أحاطها واكتنفها الشكوك والمخاوف، وانخرطَت في التأمل المستمر في أزمتها، وعلى العكس من إنسلين وبآدر اللذان حضرا بوصفهما لا إنسانيين بوحشيةَ في كمالهما " الملائكي ". الفجوة التي تفصلهم عن بعضهم البعض تظهر في أقصى وضوحها في منظور أو بعد انتحاراتهم : فماينهوف شنقت نفسها يأسًا، كشكل من أشكال السقوط بعيدًا عن عالمها السياسي - الأخلاقي الكامل، بينما إنسلين وبآدر اعتبروا حياتهم الخاصة بوصفها نظامًا سياسيًا مخططًا بفتور. (من هذه الوجهة من النظر، فإن ماينهوف هي الوجه المقابل لرئيس التحقيقات في الشرطة المماثل في الرتبة مع مطارد الإرهابيين، الذي لَعِبَ دوره برونو جانز Bruno Ganz : في التقابل مع زملاءه الذين أرادوا فحسب إبادة الإرهابيين، ويتأمل الرئيس، بإضافة إلى ذلك، في أسباب الإرهاب، ويبدي تقديرًا واعتبارًا للمضمون السياسي - الإيديولوجي الأوسع.)

نحن ينبغي علينا أن نمد هذه البصيرة بجراءة إلى إشكالية "إضفاء النزعة الإنسانية" الزائفة لتشمل شكل جماعي رئيس حقيقي وجوهري "في سرد القصص عن أنفسنا"، ولكل مركب رمزي يبرهن على أساس المجتمع (الأخلاقي، وأسلوب الحياة، والجنسي، والديني). إن تمييز كانط بين الاستخدامات العامة والاستخدامات الخاصة للعقل يمكن

أن يُمثل عونًا عظيمًا لنا هنا : إن مفتاح المشكلة مع الأشكال المسماه بـ "هوية السياسة" هو أنهم يركزون على الهويات " الخاصة " - الأفق الرئيس يكون أفق إجازة وامتزاج مثل هذه الهويات، وكل عالمية، وكل الأشكال التي تخترق المجال الكامل، هي تلك التي رُفضت بوصفها أشكالاً جائرة. إن العالمية البولونية - على العكس من ذلك - هي شكلٌ مصارعٌ. فعندما يقول القديس بولس Paul " ليس هناك يونانيين أو يهود، لا رجال ولا نساء"، فهذا لا يعنى أننا جميعًا أسرة واحدة سعيدة ؛ وإنما بالأحرى يعنى أنه هناك قسمًا واحدًا كبيرًا يخترق تلك الهويات الخاصة بأكملها، ويردهم في النهاية إلى شكل غير مقبول : " ليس هناك يونانيين أو يهود، لا رجال ولا نساء هناك فقط المسيحيون وأعداء المسيحية !" أو، كما سيجب علينا أن نقره ونقوله في الوقت الراهن : هناك فحسب أولئك الذين يتصارعون للتحرير وخصومهم الارتكاسيون، الشعب وأعداء الشعب.

لا نندهش من أن موضوع " الذوات السامة " قد ازداد مؤخرًا. تحدد ليليان جلاس Lillian Glass في كتابها المعنون باسم الناس السامة ***Toxic People*** ثلاثين نوعًا منهم، بعضهم يحمل علامات هزلية من قبيل " المنافق سنيكي باك - ستابر Sneaky Back-Stabber "[٢٩]. فهي تُعد لاختبار الناس السامة لتساعد القراء على تحديد أية مقولة عن الأرهاب السام من المتوقع أن تندرج، وتقترح في هذا الصدد عشر أساليب لتناولهم، بما فيها الخلق، والمواجهة المباشرة، والتساؤل الرصين الهادئ، ومنحهم الجحيم والخراب، والحب والعطف، والوهم المُناب، وإلخ. نُسلم - إلى حدٍ ما - بأننا جميعًا سامين، وتقدم جلاس، بالإضافة إلى ذلك،" قائمة مُفصلة لصورة سامة "، التي تُمكننا من تحديد الأشكال المدمرة لسلوكنا الخاص.

يخطو ألبرت بيرنشتاين Albert J.Bernstein خطوة (بلاغية) أبعد من ذلك ؛ إذ يقوم بتفعيل الأساطير المرعبة ويتحدث، على نحو مباشر، عن الوطاويط العاطفية المصاصة للدماء التي تفترسنا بينما يتنكرون بوصفهم بشرًا عاديون - فهم من الممكن أن يتربصوا لك في مكتبك، بين أسرتك، في محيط أصدقاءك، ومن الممكن أن يشاركونك حتى في سريرك[٣٠]. فإنهم بذكاءهم، وموهبتهم، وكرامتهم، يكسبون ثقتك وحبك وتأثرك بهم، ومن ثم يستنزفون طاقتك الإنفعالية. ومقولاتهم الرئيسة تتضمن النرجسيون الذين يخدمون أنفسهم، واللااشتراكيون المتمسكون بتحقيق اللذة، والبرانويا [أو المهوسون

---

[٢٩] انظر : Lillian Glass, ***Toxic People*** , New York : Simon & Schuster 1995.

[٣٠] انظر : Albert J.Bernstein, ***Emotional Vampires : Dealing With People who Drain you Dry*** , New York : McGraw-Hill 2002.

بجنون العظمة والاضطهاد] المنهكون، فضلاً عن قمة الدراما التاريخية للملكات. وكما قد يكون متوقعًا، يقدم بيرنشتاين مجال الخطط الدفاعية الذي يمنع مثل مخلوقات الظلام مصصي الدماء هذه عن مص دمك.

إن موضوع " الذوات السامة " طال وتمدد أكثر من اللازم، فيما وراء إشارته المباشرة على العلاقات بين الأفراد. ففي الأسلوب البراجماتي " فيما بعد - الحداثة " تُغطي صفة " سام " المحمولة على الذوات - حاليًا - سلسلة من الخصائص، التي ربما تتعلق بمستويات مختلفة تمامًا (كالمستوى الطبيعي، والثقافي، والسيكولوجي، والسياسي). ونتيجة ذلك، من الممكن أن تكون " ذات سامة " ذات مهاجرة بمرض مميت بحيث ينبغي أن تُحجر حجرًا صحيًا، أو قد تكون ذات إرهابي يملك خططًا مهلكةً ومميتةً بحيث يستلزم هزيمته، أو قد تكون ذات محبوسة في معتقل جوانتانامو، أو قد تكون ذات إيديولوجي متعصب ينبغي عليه أن يكون صامتًا لأنه ينشر الضغينة، أو قد تكون أبٌ، أو معلم أو قس يُسئ معاملة الأطفال ويفسدهم.

ولكن في الإشارة الهيجلية لنزعة إضفاء الطابع الكلي، ينبغي على المرء أن يكمل هنا المسار من المحمول إلى الذات : فمن وجهة نظر الذات الحرة المستقلة، ألم يكن هناك شيئًا ما " سامًا " في الفكرة الجوهرية عن أب، هذا المُصْلح الطُفيْلي الذي أخضع الذات لسلطانه في ثنايا العملية الجوهرية لتأسيسها بوصفها ذاتًا حرةً ومستقلةً ؟ إذا كان هناك درس إكلينكي نتعلمه عن الأبوية ؛ فأنه لا يمكن أن يكون هناك أبٌ لا سامٌ أو مهذبٌ (أو خالٍ من البذاءة): فبعض البذاءة الشهوانية سوف تلطخ دائمًا الشكل الأبوي المثالي. وينبغي على المرء أن يدفع هذا التعميم إلى النهاية : فما يكون سامًا هو في نهاية الأمر الجار من قبيل ذلك الذي يُطيع رغبتك ومتعتك البذِئة. إن الهدف الرئيس للقواعد المتحكمة في علاقات الأفراد بأكملها - إذن - هو أن نحجر [حجر صحي] أو نُحيد هذا البعد السام ونعزله، وأن نختزل الجار إلى مجرد إنسان تابع. وهكذا، فليس كافيًا أن نبحث عن المكونات السامة العارضة في ذات (أخرى) ؛ وإنما نبحث عن الذات على النحو الذي تكون عليه بوصفها ذاتًا سامةً في شكلها الجوهري، في إطاعتها للآخر - فما يجعلها سامة هو الموضوع التافه الذي تنشغل به الذات ويتوقف عليه قوامها وشكلها. فعندما نفكر في إننا نعرف بالفعل صديق أو قريب حميم، غالبًا ما يحدث ذلك، مصادفةً أو بشكل عارض كليةً، هذا الشخص الذي يقوم بشيء ما - كأن يبدي فجأة ملاحظة صارمة أو مبتذلة، أو يقوم بإيماءة دنيئة، أو يلقي نظرة لامبالية باردة بينما الرحمة والشفقة كانت هي المتوقعة في الموقف، مما يجعلنا مدركين بأننا حقًا لم نعرفه ؛

فإننا نصبح واعين كليةً بالغريب الذي يواجهنا. مـن هـذه الوجهـة مـن النظـر، يتحـول الإنسان التابع إلى جار.

كما لو كنا نقوم بإيماءة تهكمية على نظرية جيورجيو أجامبن Giorgio Agamben عن حالة الاستثناء، ففي يوليو عام ٢٠٠٨ أعلنت الحكومة الإيطالية حالة الطوارئ في كل مكان بإيطاليا Italy للتعامل مع مشكلة الجار ومواجهتها في شكله المثالي المعاصر : الدخول غير الشرعي للمهاجرين من شمال أفريقيا وأوروبا الشرقية. فلنخطو خطوة إيضاحية أبعد في هذا المسار، في أوائل أغسطس، تم نشر ٤٠٠٠ جندي مسلح للسيطرة على المواقع الحساسة في المناطق الكبرى (كمحطات القطار، والمراكز التجارية) ومن ثم، رفع مستوى الأمن العام. وهناك أيضًا خطط راهنة لاستخدام الجيش لحماية النساء من قاطِعي الطرق. من المهم أن نلاحظ هنا أن حالة الطوارئ قُدمت بدون إحداث أي ضجيج هائل : فالحياة تسير بشكل طبيعي ألم تكن هذه الحالة هي الحالة التي نقترب منها في البلاد المتقدمة حول العالم، حيث إن هذا أو ذاك الشكل لحالة الطوارئ (ينتشر ضد التهديد الإرهابي، وضد المهاجرين، وإلخ) يكون ببساطة مقبولاً بوصفه معيارًا ضروريًا لضمان سير الأشياء بشكل طبيعي ؟

ولذلك ما هي حقيقة أو واقع حالة الطوارئ هذه ؟ مصادفة في ٢٠ سبتمبر عام ٢٠٠٧ – عندما قُدم سبعة من الصيادين التونسيين للمحاكمة في سيسيلي Sicily بجريمة إنقاذ أربعة وأربعين مهاجر أفريقي من موت مُحقق في البحر - فهذا يجعل الأمر واضحًا. إذ حُكِمَ عليهم بالسجن فيما بين عامٍ إلى خمسة عشر عامًا أشغال شاقة لأنهم "ساعدوا المهاجرين غير الشرعيين وحرضوهم". حيث إنه في ٧ أغسطس، قد ألقى الصياديون المرساة على بعد ٣٠ ميل جنوب جزيرة لامبدوزا Lampedusa بالقرب من سيسيلي، وناموا. ثم استيقظوا على صرخات، حيث رءوا قرصانًا يحشر المركب بالناس الجائعة، بما فيهم نساء وأطفال، غاصوا في الأمواج العنيفة وكانوا على حافة الغرق. فقرر القبطان أن يجلبهم إلى أقرب ميناء على لامبدوزا، حيث قد قُبِضَ عليه وعلى طاقمه بأكمله. قد اتفق الشهود جميعًا على أن الغرض الحقيقي لهذه المحاكمة السخيفة هو ابعاد سائر طواقم المراكب الأخرى عن القيام بمثل هذا الشيء : بحيث لا يُتخذ أي إجراء ضد الصيادين الآخرين الذين - عندما يجدون أنفسهم في الموقف نفسه - قد قرروا أن يضربوا المهاجرين بالمجاديف، تاركين إياهم يسقطون في البحر بلا مُعين[٣١] . فما يظهر

---

(٣١) : انظر the report by Peter Popham, " Tunisian fishermen face 15 years" jail in Italy for saving migrants from rough seas ," Independent , September 20, 2007, P.30.

بوضوح هو أن مفهوم أجامبن عن الإنسان أو الشخصية المقدسة، الشخص الذي يُستبعد من النظام المدني هو الذي يمكن أن يُقتل من غير أن ينال جزاءه، يكون هذا فعال وعملي تمامًا في قلب أوروبا الحقيقي والجوهري التي ترى نفسها بوصفها شرفة الحصن الرئيس للحقوق الإنسانية والمعاونة الإنسانية، في مقابل الولايات المتحدة الأمريكية وتطرُّفات " حرب الإرهاب ". فالأبطال وحدهم في هذه المسألة كانوا هم الصياديون التونسيون، فلدى قبطان الطاقم، عبد الكريم بايوده Abdelkarim Bayoudh حالة شعورية بسيطة عبر عنها بقوله : " أنا سعيد بما فعلته".

إن عبارة أو صياغة " النزعة المضادة للسامية المعقولة " كانت أفضل ما صاغه روبرت براسيلاش Robert Brasillach في عام ١٩٣٨، الذي رأى نفسه بوصفه معادً للسامية " معتدل " :

لقد أباحنا وأجزنا لأنفسنا أن نُثني على شارلي شابلين Charlie Chaplin، النصف يهودي، في الأفلام، وأن نُعجب بـ بروست Proust ، النصف يهودي، وأن نُثني على اليهودي يهودي مينوهين Yehudi Menuhin، وعلى صوت هتلر المنبعث عبر موجات الراديو التي سميت فيما بعد بالموجة الإذاعية اليهودية إننا لا نريد أن نقتل أحدًا، ولا نريد أن ننظم أي برنامج. ولكننا نفكر كذلك في أن أفضل أسلوب لمنع الأفعال غير المتوقعة دومًا للنزعة المضادة للسامية الفطرية هو أن ننظم نزعة مضادة للسامية معقولة [٣٢].

ألا يعد هذا التوجه هو التوجه المتبع نفسه في أسلوب تعامل حكومتنا مع "تهديد المهاجر"؟ بعد الرفض الشعبي القويم للعنصرية بوصفها منحًا ووهبًا وعطاءً من أسسنا الديمقراطية " غير معقولة " و" غير مقبولة " ؛ فإنم يصدقون ويوافقون بشكل معقول، على معايير حماية العنصرية مثلما حدث في الوقت الراهن للبرازيليين، فبعضٍ منهم، حتى الديمقراطيون الاجتماعيون، يخبروننا : " إننا أباحنا لأنفسنا أن نُثني على الرياضيين الأفارقة وفي شرق أوروبا، والأطباء الآسيويون وبرامج السوفت وَير الهندي. فإننا لا نريد أن نقتل أحدًا، ولا نريد أن ننظم أي برنامج. ولكننا، نفكر، بالاضافة إلى ذلك، في أن أفضل أسلوب لمنع عنف الأفعال وصارمتها غير المتوقعة دومًا لمعترضي على النزعة المضادة للهجرة هو أن ننظم حماية معقولة ضد المهاجر ". هذه الرؤية عن إزالة سموم

---

[٣٢] Quoted by Radbod , " Challenging Mind", available online at http :// www.europalandofheroes.com.

الجار تقدم مسارًا وممرًا واضحًا من البربريَّة المباشرة إلى البربريَّة البرلسكونية بوجه إنساني.

إن شكل برلسكوني Berlusconi بوصفه قائدًا " إنسانيًا، مفرط في الإنسانية " يعد نموذجًا حاسمًا هنا، طالما أن إيطاليا تعد حاليًا بشكل فعال ومؤثر نمطًا من المختبر التجريبي لمستقبلنا. فإذا كان مشهدنا السياسي انقسم فيما بين حكومة التكنوقراط الليبرالية - المُجازة والشعبية* المتعصبة ؛ فإن إنجاز برلسكوني العظيم هو أنه قد وحد بينهما، وقد استولى عليهما معًا وفي الوقت ذاته. فهذا التوحيد والاتحاد الاحتكاري مثيرًا للجدال مما يجعله لا يقهر، على الأقل في المستقبل القريب، إن بقايا " الحزب اليساري " الإيطالي حاليًا يقبله [أي يقبل برلسكوني] بإذعان بوصفه مصيرًا وقدرًا. هذا القبول الصامت لبرلسكوني بوصفه مصيرًا وقدرًا هو -بالطبع - أكثر وجه محزن من حكمه : فديمقراطيته هي ديمقراطية أولئك الذين، كما لو كانوا، ينتصرون بسبب تخلف الآخرين عن الحضور وتقصيرهم وإهمالهم، الذين يسيطرون خلال نزع الطابع الأخلاقي الكلبي.

فما يجعل برلسكوني مثيرًا للاهتمام للغاية بوصفه ظاهرةً سياسيةً هو حقيقة وواقع أنه - شأنه شأن الغالبية العظمى من السياسيين الذين يملكون القوة والسلطة في بلدهم - يقوم بأفعال أكثر فأكثر قبحًا وشناعة : فإنه لم يتجاهل فحسب أو يحيد أي تحقيق قانوني في النشاط الإجرامي الذي قد ساند مصالح أعماله الخاصة ؛ وإنما أيضًا قوض بشكل منظم المقام والشرف الأساس المرتبط لوجود رئيس الدولة. فإن مقام السياسة الكلاسيكية يتأسس في تعاليها على دور الاهتمامات والمصالح الخاصة في المجتمع المدني : السياسة " تتحول وتتغاير" من خلال المجتمع المدني، فإنها تقدم نفسها بوصفها الراعي المثالي للمواطن في مقابل صراع المصالح الذاتية الأنانية التي تعد الطابع المميَّز للبرجوازي. قد محى برلسكوني بشكل مؤثر وفعال هذا التحول والتغاير : ففي إيطاليا المعاصرة، حالة القوة يمارسها أساسًا البرجوازي مباشرةً الذي استغل - صراحةً وبلا رحمة- حالة القوة كأسلوب لحماية مصالحه الاقتصادية، فهو الذي يغسل ملابسه المتسخة وينشرها عن مشكلات زواجه الخاصة بأسلوب عرض اواقع بشع أمام ملايين من المشاهدين على شاشات تليفزيوناتهم.

إن آخر رئيس تراجيدي للولايات المتحدة الأمريكية بشكل حقيقي كان ريتشارد نيكسون Richard Nixon. وكما هو ظاهر في الفيلمين عنه (فيلم نيكسون للمخرج

---

* الشعبية Populism : حركة اشتراكية لمساعدة المزراعين. (المترجم).

أوليفر ستون *Oliver Stone's Nixon*، وفيلم الصقيع الحديث / نيكسون *the recent Frost/ Nixon*) يُظهران أنه كان مخادعًا، ولكنه المخادع الذي سقط ضحية للفجوة بين مثالياته وطموحاته وواقع أفعاله، فهو الذي اختبر - إذن - السقوط التراجيدي بشكل أصيل. أما مع رونالد ريجان Ronald Reagan (وكارلوس منعم Carlos Menem في الآرجنتين Argentina)، شكل مختلف من الرئيس ظهر على الساحة ودخل المسار، رئيس " تفلون Teflon "*، وهو الذي يُغري المرء بسماته المميَّزة بوصفه ما بعد - أوديب Oedip* : لقد أصبح رئيس " ما بعد الحداثة " - الذي لم يعد حتى متوقعًا أن يخلص لبرنامجه الانتخابي ويتعلق به بثبات ورسوخ-غير متأثرًا - إذن - بالنقد (لنستدعي كون رواج وشعبية ريجان تضاءلت بعد كل ظهور عام، عندما سرد الصحافيون أخطائه). هذا نوع جديد من الرئيس يمزج ويخلط (ما يبدو أنه) ثورانات تلقائية ساذجة بأكثر المناورات والمضاربات التي لا ترحم.

إن رهان فظاظات برلسكوني البشعة هو - بالطبع - أن الشعب سوف يحقق هويته معه طالما أنه يجسد أو يمثل الصورة الأسطورية للغالبية العظمى من الشعب الإيطالي : " أنا واحد منكم، فاسدًا إلى حدٍّ ما، يضايقني القانون ويزعجني، وأتشاجر مع زوجتي بسبب أنجذابي لنساء آخريات" حتى فرضه العظيم لسياسي نبيل، جرئ ومقدام، هو أكثر شبهًا بحلم مُضحك لرجل عامل فقير بالعظمة. وبعد، فهذا المظهر لوجوده "كمجرد رجل عادي مثلنا" لا ينبغي أن يخدعنا : إذ يكمن تحت القناع الفظ سر توظيف حالة القوة بفاعلية وقدرة لا ترحم. حتى لو كان برلسكوني مهرجًا بلا مقام أوكرامة وشرف، فإننا لا ينبغي، لذلك، أن نضحك عليه كثيرًا - طالما أنه بالطبع، عن طريق القيام بذلك، فإننا بالفعل نلعب لعبته. فضحكه يشبه أكثر ضحك عدو البطل الخارق باتمان أو سبيدرمان المجنون - البذئ في الأفلام. فلكي تستطيع فهم فكرة طبيعة حكمه وإدراكها، ينبغي على المرء أن يتخيل شيء ما مثل الجوكر Joker الذي في يده السلطة في فيلم باتمان. المشكلة هي أن حكومة التكنوقراط اقترنت واتحدت بواجهة فظة لا تكفي بذاتها : شيء ما مطلوب أكثر، ألا وهو - الخوف. هنا يدخل وحش

---

* Teflon : هي ماركة أو علامة تجارية مسجلة تستخدم في المواد المختومة بالشمع، وتُوظف بوصفها غلافًا لأواني الطهي وفي الأغراض الصناعية لمنع الالتصاق. وغالبًا ما توجد هذه العلامة التجارية في المضامين المجازية المطبوعة أو المنشورة في الجرائد. (المترجم).

* أوديب : اسم ملك طيبة في أساطير الأغريق، وهناك أيضًا ما يُعرف باسم عقدة أوديب : أي عشق الابن لأمه، والبنت لأبيها. (المترجم).

برلسكوني ذو الرأسين، بما فيه المهاجرين و " الشيوعيين " (فالاسم الجامع لأي شخص يشن هجومًا على برلسكوني - بما في ذلك جريدة هيئة الائتلاف اليمني البريطاني الليبرالي - هو " الاقتصادي the Economist ").

كَتَبت أوريانا فالاتشي Oriana Fallaci (التي كانت بالأحرى - بالعكس من ذلك - متعاطفة مع برلسكوني) في يوم ما : " إن القوة الحقيقية لا تحتاج إلى الكبرياء، وإلى لحية طويلة ونُباح*. القوة الحقيقية تتصارع معك بشرائط حريرية، بالافتتان والذكاء ". لفهم برلسكوني، يجب على المرء فحسب أن يُضيف لهذه السلسلة موهبة تكوين المظهر الذاتي الزائف والساخر الأحمق. فقد أصاب فيلم الكرتون **كينج فو باندا** ***Kung Fu Panda*** الذي عرض في عام ٢٠٠٨، حينما أعد للاحْداثيّات الرئيسة لتوظيف الإيديولوجيا المعاصرة. فالباندا السمين يحمل أحلام أن يصبح محارب كينج فو المقدس، وعندما، جاءته الفرصة العمياء (التي تكمن - بالطبع - وراء يد القدر) ؛ فإنه يختار ليكون بطلاً يحمي مدينته، وينجح ومع ذلك، في كل موضع بالفيلم، هذه الروحانية شبه - الشرقية يُقوضها دومًا معنى تهكمي - مبتذل وشائع - للدعابة. والمفاجأة أنه كيف يكون من المستحيل لهذا المظهر الذاتي الزائف والساخر المستمر أن يمنع فعالية وتأثير الروحانية الشرقية - فالفيلم يتناول في النهاية سخرية وأضْحُوكة دُعاباته المستمرة بجدية. وعلى نحو مماثل يحدث الأمر ذاته مع واحدة من الحكايات التي أفضل مشاهدتها، وهي نيلس بور ***Niels Bohr*** : المفاجأة عند رؤية حدوة الحصان على بوابة بيت بور في البلدة ؛ وإذ برفيق العَالِم الذي يزوره يصيح بأنه لا يشارك في الاعتقاد الخرافي بأن حدوة الحصان تحتفظ بالأرواح الشريرة خارج البيت، ويرد بور على كلامه قائلاً : " ولا أنا أعتقد فيها أيضًا. فأنا احتفظ بها هناك لأنني عَلمتُ بأنها ستجدي وتنفع حتى عندما لا يعتقد المرء بها ". وهذا هو -حقًا - النحو الذي تعمل به الإيديولوجيا وتجدي وتنفع في الوقت الراهن : ليس من أحد يتناول الديمقراطية أو العدالة بجدية، جميعنا على وعي بطبيعتهما الفاسدة، ولكننا نشارك فيهما ؛ فإننا نتظاهر باعتقادنا بهما ؛ لأننا نفترض أنهما يجديان وينفعان حتى لو كنا لا نعتقد بهما. وهذا يوضح لنا كون برلسكوني هو كينج فو باندا العظيم عندنا. وبالطبع، فالمثل السائر لأخوة ماركس الكبار يقول، " هذا الرجل يشبه رجل أحمق فاسد ويتصرف كمثل الشخص العادي، ولكن هذا لا ينبغي أن يخدعك - فإنه رجل أحمق فاسد "، هنا يُعثر على حده : بينما برلسكوني هو ما يبدو أنه يكون ؛ فإن هذا الظهور لا يبقى شيئًا خدَّاعًا مُضلّلاً.

---

* أي يعلن بصوت عالٍ شبيه بالنباح. (المترجم).

"الروح الجديدة" للرأسمالية :

إن الخوف من الآخر " السام " هو - إذن - الوجه المقابل (وحقيقة) تعاطفنا مع الآخر - المختزل - إلى كونه مجرد إنسان - تابع - ولكن كيف بَزَغَ هذا التزامن [أي بين التعاطف ـ والخوف من الآخر] ؟ في كتاب بولتانسكي Boltanski وشيابلو Chiapello المعنون باسم الروح الجديدة للرأسمالية ***The New Spirit of Capitalism*** يفحصان هذه العملية بتفاصيلها، وبوجه خاص وعلى نحو شديد الصلة بهذا الموضوع في فرنسا. بأسلوب ويبري Weberian، إن الكتاب يميز بين ثلاثة " أرواح " متتالية للرأسمالية : الأولى، الروح المقاولِة، التي استمرت حتى الكساد الكبير في الثلاثينيات، أما الروح الثانية فاتخذت في شكلها المثالي ليس بوصفها المقاول، ولكن بوصفها المدير المأجور [أي الذي يتقاضى أجرًا] في شركة كبيرة.(فمن السهل أن نرى هنا تناظر قريب للصفحة المعروفة جيدًا من الرأسمالية الأخلاقية - البروتستانتية الفردية مع الرأسمالية الإدارية - المشتركة " لمنظمة الإنسان "[٣٣].) منذ السبعينيات فصاعدًا، ظهر شكلاً جديدًا : إذ بدأت الرأسمالية بالتنحي عن البنية الفوردية Fordist الكهنوتية في عملية الإنتاج وطورت مكانها شبكة عمل تستند إلى شكل من التنظيم القائم على مبادرة واستقلال موظف في مكان العمل. فبدلاً من سلسلة السيادة الكهنوتية - المتمركزة، نرى حاليًا شبكات للعمل بحشود من المشاركين، وبعمل منظم في شكل فرق عمل أو مشروعات، وبالحراك الشامل للعمال بقصد إرضاء العميل بفضل رؤية قياداتهم. وبمثل هذه الأساليب، تتحول الرأسمالية وتصير شرعية بوصفها مشروعًا مساويًا [قائم على تكافؤ الفرص] : فإنها عن طريق التأكيد على التفاعل الشعري - الذاتي والتنظيم - الذاتي التلقائي، قد اغتصبت السلطة من بلاغة الحزب اليساري البعيدة للإدارة - الذاتية للعمال، محوّلة إياها من شعار عدائي ضد - الرأسمالي إلى شعار للرأسمالي.

وطالما أن هذه الروح للرأسمالية فيما بعد ١٩٦٨ تُشكل وحدة ثقافية واجتماعية واقتصادية محددة، أي أنها تشكل وحدة حقيقية وجوهرية تحقق اسم " ما بعد - الحداثة " وتثبتها. فهذا يبين لِمَ - إذن - برغم العديد من الانتقادات المبررة، التي جعلت من ما بعد الحداثة شكلاً جديدًا من الإيديولوجيا ؛ ينبغي على المرء - مع ذلك - أن يسلم بأنه، عندما رَقَّى جان - فرانسوا ليوتارد Jean - François Lyotard، في كتابه المعنون باسم حالة ما بعد الحداثة ***The Postmodern Condition*** ، المصطلح

---

[٣٣] For a detailed description of this passage , see Luc Boltanski and Eve Chiapello , ***The New Spirit of Capitalism*** , London : Verso 2005.

من المعنى البسيط الذي يشير إلى بعض الاتجاهات الفنية الجديدة (وبوجه خاص، في الكتابة وفن العمارة) ليعين به حقبة تاريخية جديدة - كان هناك عنصر تسمية أصيلاً في فعله. وظفت وعملت حاليًا " ما بعد الحداثة " بشكل فعال ومؤثر بوصفها مؤشرًا – رئيسًا جديدًا يقدم نظامًا جديدًا للوضوح والجلاء داخل التعدُّد الغامض والمربك للخبرة والتجربة التاريخية.

أما على مستوى الاستهلاك، فهذه **الروح الجديدة** [وهذه هي الروح الثالثة] هي ما يُطلق عليه اسم " الرأسمالية الثقافية " : " إننا نشتري في الأصل السلع والبضائع ليس بسبب فائدتها ومنفعتها ولا بوصفها وضعًا رمزيًا ومسألة رموز، ولكننا نشتريها كي نبلغ لخبرة ما تكونت منها، فإننا نستهلكها من أجل أن تصير حياتنا سارة وذات مغزى ومعنى. هذا الثالوث لا يمكن إلا أن يستدعى ثالوث لاكان الواقعي والرمزي والتخيلي : **الواقعي** بمعنى واقع المنفعة والفائدة المباشرة (كالطعام الصحي الجيد، وكفاءة سيارة، إلخ.)، والوضع **الرمزي** (من منظور ثورستين فيبلين Thorstein Veblen، أنا اشتري سيارة فعلية لتشير إلى وضعي المالي)، أما **التخيلي** فهو تخيلية الخبرة السارة ذات المغزى والمعنى. ففي ديستوبيا* بول فرهوفن Paul Verhoeven المعنونة باسم **الاستدعاء الكلي *Total Recall***، تُبدي وكالة استعدادها بأن تنصب ذكريات الراحة والإجازة المثالية في العقل – إذ لم يعد يجب على المرء حتى أن يرتحل واقعيًا لمكان آخر، إنها أكثر عملية، وأرخص وأبسط من شراء ذكريات الرحلة. وهناك نسخة أخرى للمبدأ نفسه ستحدث خبرة بها وسنجربها، ألا وهي الإجازة المرغوب فيها في الواقع الحقيقي الفعال – طالما أن الموضوعات الواقعية هي الخبرة، فلماذا لا ننحاز فحسب لاجتياز المنعطف غير الملائم إلى الواقع ؟ يفترض أن يساند الاستهلاك كيفية الحياة وجودتها، ويجب أن يمثل زمانه " كيفية الزمان وجودته " – وليس زمان التحويل والتغاير، زمان الأساليب والنماذج المحاكية التي يفرضها المجتمع، زمان الخوف من عدم القدرة على "الوصول إلى الثراء والنجاح مثل الجيران "، ولكنه زمان التحقق الأصيل لذاتي الحقيقية، زمان اللعب الحسِّي للخبرة والتجربة، وزمان الاهتمام بالآخرين، خلال الصيرورة المنخرطة في الإحسان أو علم البيئة، إلخ. وهاهي حالة نموذجية " للرأسمالية الثقافية " : حملة إعلان ستار بوكس Starbucks " إنه ليس مجرد ما تشتريه. وإنما هو جودة ما تشتريه ". بعد الاحتفاء بجودة القهوة نفسها، استمر الإعلان:

---

* ديستوبيا : يُنظر إليها بوصفها مجتمعًا مثاليًا سلبيًا يعاني من الأمراض والأزدحام والبؤس والشقاء والتعاسة والظلم، فهي الوجه المقابل لليوتوبيا ذلك المجتمع المثالي.(المترجم).

لكن، عندما تشتري ستار بوكس - سواء تُدرك ذلك أو لا تدركه - فإنك تشتري جودة شيء ما أكبر من مجرد فنجان قهوة. أنك تشتري ما هو أخلاقي في قهوة. خلال مشاركة شركتنا ستار بوكس في برنامج الكوكب، فإننا نشتري أكثر تجارة عادلة للقهوة من أية شركة في العالم ؛ إذ تكفل للفلاحين الذين يزرعون البذور تلقي سعر عادل تمامًا نظير عملهم الصعب. ونحن نُحسن ونطور ممارسات متزايدة تتعلق بالقهوة ونستثمرها في المجتمعات حول العالم. فقهوة كارما Karma هي قهوة جيدة آه، يا له من سعر أقل لفنجان قهوة من ستار بوكس يساعد في فرش المكان بالكراسي المُرِيحة والموسيقى الجيدة، والجو الملائم للحلم، والعمل والتسامر فيه. فإننا جميعًا نحتاج أماكن كهذه في تلك الأيام عندما تختار ستار بوكس، فإنك تشتري فنجان قهوة من شركة تهتم بك. لا تندهش من أن مذاقها عجيب وعالي الجودة. [٣٤]

إن الربح " الثقافي " يوضح هنا : أن السعر أعلى من أي مكان آخر منذ أن كان ما تشتريه بالفعل هو " قهوة أخلاقية " تشمل الاهتمام بالبيئة المحيطة بك، والمسؤولية الاجتماعية تجاه المنتجات، وبالإضافة إلى ذلك مكان حيث يمكنك بنفسك أن تشارك في الحياة الاشتراكية (فمنذ البداية، قدمت ستار بوكس محلات قهوتها بوصفها مجتمعًا بديلاً). وإذا كان هذا ليس كافيًا، وإذا كانت احتياجاتك الأخلاقية مازالت غير مشبعة ومكتفية ومازلت مستمر في قلقك بشأن تعاسة العالم الثالث وشقائه، فإن هناك - إذن - منتجات إضافية يمكن أن تشتريها. هاهو وصف ستار بوكس لبرنامجها عن " ماء إيثوس " .

ماء إيثوس علامة على مهمة اجتماعية - لمساعدة الأطفال حول العالم للحصول على الماء النظيف وزيادة الوعي بأزمة الماء في العالم. ففي كل وقت تشتري زجاجة من ماء إيثوس، فإن ماء إيثوس في الولايات المتحدة الأمريكية سيتبرع بنصف دولار من ثمن كل زجاجة (وفي كندا Canada سيتبرع بـ ١٠ دولار كندي) لتحقيق هدفنا لتجميع ١٠ مليون دولار على الأقل في الولايات المتحدة الأمريكية مع حلول عام ٢٠١٠. خلال مؤوسسة ستار بوكس، فإن ماء إيثوس يدعم برامج الماء الإنساني في أفريقيا Africa، وآسيا Asia وأمريكا اللاتينية Latin America. حتى الآن، تجاوزت تبرعات ماء إيثوس

---

[٣٤] Quoted from the full – page advertisement in *USA Today* , May 4, 2009 , P. A9.

٦,٢مليون دولار. فتلك البرامج ستساعد حوالي ٤٢٠,٠٠٠ من البشر للحصول على الماء الآمن، وتعلم قانون الصحة وحفظ الصحة.[٣٥]

(لا نشير هنا إلى حقيقة أن زجاجة ماء إيثوس يزيد سعرها في ستار بوكس بـ٥ سِنْت عن سعرها في الأماكن الأخرى المماثلة)، وهذا هو أسلوب الرأسمالية - على مستوى الاستهلاك - في استكمال إرث عام ١٩٦٨، أي نقد الاستهلاك المغاير : الخبرة الأصلية بالموضوعات. فحملة فنادق هيلتون Hilton التي شاعت مؤخرًا تشتمل على دعوة بسيطة : " إن السفر لا ينقلنا من المكان أ إلى المكان ب فحسب. وإنما ينبغي أن يجعلنا، بالإضافة إلى ذلك، شخصًا أفضل ". فقط في عقد مضى، هل كان بوسع المرء أن يتخيل مثل هذا الظهور الإعلاني ؟ ألا يكون هذا، بالإضافة إلى ذلك، سببًا في أن نشتري الطعام العضوي ؟ فمن يعتقد بالفعل أن التفاح " العضوي " نصف المتعفن وغالي الثمن يكون حقًا أكثر صحية من الأنواع الأخرى غير - العضوية ؟ إن المغزى هو أننا - عند شرائهم - لا نشتري ونستهلك فحسب ؛ وإنما نقوم بشيء ما ذو مغزى ومعنى معًا وفي آن واحد، شيء ما يُظهر ويعرض قدرتنا على الاهتمام وعلى وعينا العالمي، ومشاركتنا في مشروع جماعي إن آخر تعبير علمي لهذه " الروح الجديدة " هو خروج نظام جديد إلى حيز الوجود : " دراسات السعادة ". مع ذلك، كيف تتفجر في عصرنا مع مذهب اللذة الروحانية، عندما يكون هدف الحياة محدد على نحو مباشر بوصفه السعادة، معاناة عددًا من الناس من القلق والتعاسة والشقاء ؟ إنه لغز هذا التدمير - الذاتي للسعادة والسرور الذي يجعل رسالة فرويد أكثر ملائمة وتعلق بالموضوع من ذي قبل.

ومثلما هو الحال غالبًا، إن دولة متطورة من العالم الثالث، وهي بوتان Bhutan، توضح بشكل ساذج النتائج السياسية - الاجتماعية السخيفة والمنافية للعقل لمفهوم السعادة. بالفعل في عقد مضى، قررت مملكة بوتان أن تركز على قياس الناتج القومي للسعادة بدلاً من الناتج القومي الاجمالي، الفكرة كانت واحدة من بنات أفكار الملك السابق جيجمي سينجاي وانجتشوك Jigme Singye Wangchuck، الذي نشد أن يوجه بوتان إلى العالم الحديث بينما يحافظ على هويتها الفريدة المتفردة. فمع تصاعد إلحاح وضغط النزعة المادية والنزعة العالمية، أجرت الدولة الصغيرة جدًا انتخاباتها الأولى التي لم تجريها من قبل، وقد خصص الملك الجديد ذو الشعبية الكبيرة للغاية جيجمي خيسار نامجيل وانجتشوك Jigme Khesar Namgyel Wangchuck - الذي

[٣٥] Quoted from http:// www.starbucks.com.

يناهز ٢٧ عامًا، والذي تلقى تعليمه من جامعة إكسفورد Oxford - مؤسسة حكومية لإحصاء عدد السكان السعداء، وبيان كون ٦٧٠ ,٠٠٠ من الشعب في المملكة سعداء بالفعل. حيث قال المسئولون الرسميون إنهم قد توجهوا بالفعل لمعاينة حوالي ١ ,٠٠٠ من الشعب، وكتبوا قائمة من المعايير للوجود السعيد (على غرار دليل التطوير، المتأثر بالأمم المتحدة). فالاهتمامات الرئيسة تحددت بوصفها الوجود - الحسن سيكولوجيًا، والصحة، والتعليم، والإدارة الجيدة، وأسس الحياة، وحيوية المجتمع، والتنوع البيئي هذه هي الامبريالية الثقافية، إذا كانت هناك في يوم ما من قبل.[٣٦]

في الاحتفاظ بالروح الجديدة للرأسمالية، فإن رواية تاريخية - إيديولوجية كلية مؤسسة تظهر فيها الاشتراكية بوصفها محافظة، وكهنوتية، وإدارية حكومية. إن الدرس المستفاد من عام ١٩٦٨ هو - إذن - " وداعًا مستر اشتراكية "، والثورة الحقيقية هي ثورة الرأسمالية الرقمية - التي تعد في ذاتها نتيجة منطقية، وبالفعل هي " حقيقة " ثورة ١٩٦٨. وعلى نحو أكثر أصالة، أن أحداث ١٩٦٨ مدوَّنة في موضوع عصري ألا وهو " تبديل وتحويل النموذج ". إن التوازي والتناظر بين نموذج العقل في السلوكية والنماذج الإيديولوجية السائدة في المجتمع يكون هنا مبينًا[٣٧]. فهناك أصداء واضحة بين النزعة الإدراكية في الوقت الراهن ورأسمالية " ما بعد الحداثة " : فعندما يستدعي دانيال دينت Daniel Dennett- على سبيل المثال - تحولاً من المفهوم الديكارتي عن الذات بوصفها قوة مركزية متحكمة في الحياة النفسية إلى مفهوم التفاعل الشعري الذاتي للعوامل العديدة المتنافسة، هل هذا التحول ليس صدى التحول من التحكم والتخطيط البيروقراطي المركزي إلى نموذج شبكة العمل ؟ فليس عقلنا فحسب - إذن - يحمل الطابع الاجتماعي - وإنما المجتمع ذاته، بالإضافة إلى ذلك، يطبع على العقل [أي يحمل طابعه ويتسم بسماته][٣٨]، وهذا يوضح لِمَ يكون مالابو Malabou محقًا في تأكيده على الاحتياج لتوجيه السؤال الجوهري : " ما الذي تم القيام به لتجنب وعي العقل المتوافق على نحو مباشر وببساطة مع روح الرأسمالية ؟ "

حتى هارت Hardt ونيجري Negri يوافقان على هذا التوازي والتناظر : بالأسلوب نفسه كما تُعلمنا العلوم العقلية كون أنه ليس هناك ذاتًا مركزية، ولذلك فالمجتمع الجديد للشعب الذي ستكون فيه القواعد ذاتها شأنها شأن المفهوم الإدراكي في الوقت

---

[٣٦] " Bhutan tries to measure happiness ", ABC News , March 24, 2008.

[٣٧] : انظر Catherine Malabou , *Que faire de notre cerveau*? Paris : Bayard 2004.

[٣٨] Ibid., *P*. 88.

الراهن عن الأنا أو الذات بوصفها مقرًا للعوامل المتفاعلة بلا سلطة مركزية تُدير وتجري العرض لا نندهش من أن مفهوم نيجري عن الشيوعية يقترب على نحو غريب من مفهوم الرأسمالية الرقمية " فيما بعد الحداثة."[٣٩]

حدث هذا التحول إيديولوجيًا - وهنا نبلغ إلى النقطة الحاسمة - بوصفه استجابةً على ثورات فترة الستينيات (من مايو ١٩٦٨ في باريس، إلى حركة الطلبة في ألمانيا، والهيبز في الولايات المتحدة الأمريكية). مع الموضوعات الجديدة للنقد الثقافي، أكملت الاعتراضات المضادة للرأسمالية في الستينيات النقد الرئيس للاستغلال الاقتصادي - الاجتماعي وأتمتها : من قبيل التحويل والتغاير في الحياة اليومية، وسلعة الاستهلاك، وزيف مجتمع شعبي نجبر فيه على أن " نرتدي أقنعة " واعتراضنا على الاضطهادات الجنسية وسائر الاضطهادات الأخرى، إلخ. إن الروح الجديدة للرأسمالية استعادت بانتصار مبدأ المساواة والبلاغة المضادة - لتراتبية هيراركية طبقية [أو للتفاوت الطبقي] لعام ١٩٦٨، مقدمة ذاتها بوصفها ثورة تحريرية ناجحة ضد التنظيمات الاجتماعية الجائرة المميَّزة لكلٍ من الرأسمالية التشاركية والاشتراكية الموجودة بالفعل - إن روح تحريرية جديدة يُلخصها الرأسماليون " الرُزناء " العاملون بصرامة من أمثال بيل جيتس Bill Gates ومؤسسي أيس كريم بن وجيري.

يمكننا أن نفهم حاليًا سبب وجودَ تأكيدات عديدة على أن تشي جيفارا Che Guevare، واحدًا من رموز عام ١٩٦٨، قد أصبح " أيقونة جوهرية فيما بعد الحداثة " يدل على كل شيء ولاشيء معًا - أو بتعبير آخر، أنه يدل على أي معنى يريده المرء : ثورة الشباب ضد الفاشستية، التضامن ضد الفقر والاستغلال، والقداسة، والانهماك في روح العمل المقاولة الشيوعية - الليبرالية لتحقيق الصالح العام. فمنذ عامين مضيا، حتى أعلى نائب فاتيكاني زعم أن الاحتفال بتشي يُفهم بوصفه تعبيرًا عن الإعجاب برجل خاطر بحياته ووهبها لأجل صالح الآخرين. وكالمعتاد، فالغبطة الأليفة غير المضرة تختلط بما يقابلها، أي بالسلعة البدائية - فمثلاً شركة آسترالية سوقت مؤخرًا أيس كريم " شيري جيفارا "، مركزة ترويجها للمنتج على " خبرة تناول الطعام "، وبالطبع : إن " صراع شركة شيري الثوري سطع بوصفه شركًا بين طبقتيْن من الشيكولاته. " لعل ذاكرتهما تحيا في فمك !"[٤٠] ومع ذلك، هناك شيئًا ما متهورًا في هذا الاصرار على أن تشي قد أصبح لوجو أو علامة تجارية للسلع والبضائع المحايدة - فلقد شهدنا سلسلة من النشرات التي

---

(٣٩) : انظر Michael Hardt and Antonio Negri, Multitude , London : Penguin Press 2004.

(٤٠) : انظر Michael Glover, "The marketing of a Marxist", Times (London), June 6,2006.

ظهرت مؤخرًا تحذرنا من أنه كان، بالإضافة إلى ذلك، قاتلاً باردًا قام بعمليات تطهير في كوبا عام ١٩٥٩، وهكذا دواليك. وعلى نحو دال، تفاقمت هذه التحذيرات على وجه التحديد بوصفها ثورات ضد الرأسمالية الجديدة بدأت أن تتخذ جميعها مكانًا حول العالم، جاعلة من إيقونته بمثابة خطر كامن مرة أخرى. فتحت عنوان " الوزير البولندي يريد أن يعلن عن لينين، تي - شيرتات جيفارا "، كتبت جريدة يورب نيوز ***Europe News*** في ٢٣ أبريل عام ٢٠٠٩ أن " وزير الموازنة في بولندا Poland يريد أن يوسع من نطاق الإعلان عن حملة دعاية (أو بروباجنده) الفاشستي أو المستبد بالسلطة لتشتمل على الكتب، والملابس، وأشياء أخرى".

تريد الوزيرة إليزبيث رادزبيسزفسكا Elzbieta Radziszewska أن توسع من نطاق قانونًا يمنع إنتاج حملة دعاية أو بروباجنده الفاشستي أو المستبد بالسلطة. فالقوانين والتشريعات سوف تمنع صور تشي جيفارا، من التداول العام في العالم على : الـ " تي- شيرتات، والبوسترس أو لوحات الحائط والحوائط ". " أنا أؤيد مثل هذا الحل، فكما أخبر دكتور فوجسيش روسزكوفسكي Wojciech Roszkowski جريدة الجمهورية *Rzeczpospolita* اليومية إن : " الشيوعية كانت تعد نظامًا فتاكًا ومرعبًا، ومسؤولة عن مليون ضحية. إنها تشبه كثيرًا الاشتراكية المحلية. فليس هناك سببًا لمعالجة الأنظمة – ورموزها – بأية طريقة مختلفة ".

فما نجى من التحرير الجنسي في الستينيات كان مذهب اللذة الإباحية المندرج على نحو يسير في داخل إيديولوجيتنا المهيمنة باقيًا تحت رعاية الأنا العليا. ولذلك فما هي الأنا العليا؟ لقد قرأت مؤخرًا في دليل المعلومات بفندق نيويورك New York :

" عزيزي العميل ! نضمن لك الاستمتاع الكامل بإقامتك معنا، فهذا الفندق مسموح فيه بالتدخين وبلا مقابل. وأي نقض أو مخالفة لهذا النظام، سوف تتعهد بدفع ٢٠٠ دولار". إن جمال هذه الصياغة – تُفهم بمعناها الحرفي - هي أنك سوف تجبر وتدفع على رفض الاستمتاع الكامل بإقامتك، فاستمتاع الأنا العليا يعمل قطعيًا هكذا بوصفه قلبًا ونقضًا لعبارة كانط " أنت تستطيع ؛ لأنك يجب عليك ذلك ! " ؛ إذ إنها تستند على " أنك يجب عليك ؛ لأنك تستطيع ذلك ! " ولهذا نقول، إن وجه الأنا العليا في الوقت الراهن هو مذهب اللذة " اللا – كبحي " (إن السخط والإثارة المستمرة التي نُبديها، تحتم علينا أن نتوجه نحو النهاية، وأن نكتشف أساليب المتعة بأكملها) إذ يتحول البقاء في الأسلوب المباح للمتعة – على نحو ضروري - إلى متعة إجبارية. وهذا يصل بنا إلى المتعة المتوحدة الخالصة (من خلال المخدرات أو السبل الأخرى التي تُحدث النشوة)، والتي تظهر في اللحظة السياسية

الدقيقة : عندما استنفدت النتيجة المحررة لعام ١٩٦٨ قوتها الكامنة. وعند هذه النقطة الحاسمة (أي في منتصف السبعينيات) فإن الاختيار الوحيد المتروك كان هو اجتياز مباشر وفظ إلى الفعل، الاندفاع – تجاه – الواقعي، الذي افترض أشكال ثلاثة رئيسة : البحث عن الأشكال القصوى للمتعة الجنسية، والإرهاب السياسي اليساري (أي سلاح الجو الملكي في ألمانيا، والجسور الحمراء في إيطاليا Italy، إلخ، التي رهانها كان، في الحقبة التي قد يصبح الشعب فيها غارقًا تمامًا في المستنقع الإيديولوجي الرأسمالي، هو النقد الرئيس للإيديولوجيا بأنها لم تعد فعالة ومؤثرة ؛ وإنما تلتجأ فحسب إلى الواقع الغفل للقوة المباشرة – أي الفعل المباشر – الذي سوف يُوقظ الشعب)، وفي نهاية الأمر، التوجه نحو واقع الخبرة الباطنية (المذهب الصوفي الشرقي). فما يتشارك فيه الأشكال الثلاثة معًا كان هو الانسحاب من الانخراط السياسي – الاجتماعي العيني إلى اتصال مباشر بالواقع.

يعد – بالطبع – أفضل تمثيل لهذا التحول من الانخراط السياسي إلى واقع ما بعد السياسي في أفلام برناردو برتولوتشي Bernardo Bertolucci، ذلك المعماري – الملحد، الذي يمتلك سلسلة من الأعمال بدءًا من انجازاته الفنية المبكرة من قبيل **ثورة البطلة** ***Prima della rivoluzione*** حتى آخر انهماك واستغراق ذاتي للروحانية – الجمالية في فيلمه الأقل شهرة **بوذا الصغير** ***Little Buddha*** [الذي عرض في عام ١٩٩٣]. وهذا الاستغراق أتم دائرة كاملة بفيلم **الحالمون** ***The Dreamers***، فيلم برتولوتشي الأخير عن باريس عام ١٩٦٨، الذي نجد فيه طالبان فرنسيان (أخ وأخت) تصادقان مع طالب أمريكي شاب في أثناء زوبعة الأحداث. ومع ذلك، في نهاية الفيلم قد تفرق الأصدقاء، بعدما أصبح الطلبان الفرنسيان ملتحقان بالقوة السياسية، بينما يظل الطالب الأمريكي مؤمنًا برسالة الحب والتحرير الانفعالي.

فقد كان جان – كلود ميلنر Jean – Claude Milner واعيًا بشدة كون أن التأسيس نجح في عدم تفعيل كل النتائج التهديدية لعام ١٩٦٨ عن طريق الاتحاد بما يسمى " روح " " ٦٨ " ؛ ولذلك تحويلها ضد المسار الواقعي للثورة. إن المطالبات بالحقوق الجديدة (التي يفترض أن تعني إعادة التوزيع الحقيقي للقوة) تُمنح، ولكن بشكل خالص في زي " الإجازات " – فوجود " المجتمع المُجيز " هو على وجه التحديد إحدى المجتمعات، التي توسع من مجال الموضوعات المباحة أو المُجازة للقيام بها بدون أن يهبهم أي قوة إضافية على نحو فعلي وواقعي :

إن أولئك الذين يملكون القوة يعرفون جيدًا الاختلاف بين الحق والإجازة، فالحق بالمعنى الدقيق للكلمة يمنح مدخلاً لممارسة قوة، على قدر القوة الأخرى. أما الإجازة فلا

تقلل من قوة الشخص الذي يمنحها، ولا تزيد من قوة المرء الذي يحصل عليها. إنها تجعل حياته أيسر وأسهل، تلك التي ليست شيئًا.[٤١]

وهذا يوضح لِمَ يبلغ بالحق إلى درجة التطليق، والإجهاض، وزواج الشاذ جنسيًا، وهكذا دواليك - كل تلك الإجازات مقنعة بوصفها حقوقًا، إنها لا تغير بأية حال توزيع القوى. وحال كهذا كان تأثير " روح " " ٦٨ " : إنها أسهمت بفاعلية وتأثير لجعل الحياة أيسر وأسهل. فهذا كثير، ولكنه ليس كل شيء. لأنها لم تتعدِ على القوى" [٤٢]. وفي ذلك يقطن " سر الطمأنينة التي قد سادت في فرنسا منذ أكثر من أربعين سنة مضت " :

إن روح ٦٨ صنعت بنفسها أفضل حليف للتجديد والإحياء. هاهنا يكمن سر القوة التي حدثت بشكل متزايد على هوامش المدن : تتشبث روح ٦٨ حاليًا فحسب بأولئك الذين يقيمون في المدن. فالشاب الفقير لا يعرف ما الذي يفعله معها".[٤٣]

بينما في مايو ١٩٦٨ استهدفت " روح " " ٦٨ " النشاط الكلي (وذو الطابع السياسي كليةً)، حيث غيرته إلى شبه - نشاط منزوع من الطابع السياسي (أساليب - الحياة الجديدة، إلخ.)، الشكل الحقيقي والجوهري للسلبية الاجتماعية. وإحدى النتائج قد كانت هي تفشي القوة مؤخرًا في الضواحي، بحيث حولت وغيرت أي مضمون تحريري أو يوتوبي. إن استنتاج ميلنر الصارم الأليم هو على النحو التالي : " ألا تحدثني بعد الآن عن أشياء أخرى من قبيل الإجازات، والتحكم، والمساواة. فأنا أعرف فحسب القوة. وعند هذا الحد يكون سؤالي هو : في مواجهة التوفيق بين الوجهاء أو الشخصيات العامة في المجتمع وتماسك الأقوى، فكيف ستجعل هذا الضعيف يملك قوى ونفوذ ؟ "[٤٤]

إذا كان الحزب اليساري قد انسحب من ألفة الواقع الروحي والجنسي، فماذا حدث مع شكل التنظيم السياسي الراديكالي، هل أصبح مجرد مجموعات شبه - غير شرعية تهيئ للصراع السري العجيب الأخير في فترات حالة القوة ؟ على أية حال، تلك السجون قد أعيد ظهورها على السطح من جديد في شكل الجماعات الباقية في الولايات المتحدة الأمريكية، رغم أن رسالتهم الإيديولوجية هي إحدى أشكال العنصرية الدينية، وأسلوبهم السليم في التنظيم (كمثل الجماعات الشرعية الصغيرة التي تتصارع مع

---

(٤١) Jean - Claude Milner, *L 'arrogance du present. Regards sur une decennie : 1965-1975* , Paris : Grasset 2009 , *P*. 233.

(٤٢) Ibid., *P*. 236.

(٤٣) Idid., *P*. 237.

(٤٤) Ibid., *P*. 241.

المباحث الفيدرالية وسائر الوكالات الفيدرالية الأخرى) جعلتهم يظهرون بوصفهم الأزدواج الغريب للنمور السوداء منذ الستينيات. تلك الأصوات الغريبة للكلمات التي نطقها هارت – و- نيجري كانت منبعثة من أغنية مصاحبة لتسجيل فيديو عن تجنيد متعصب – صامد منذ عام ١٩٨٢ :

الحشود، الحشود في وادٍ القرار

لأن زمن اللورد وشيك في وادٍ القرار

إن الأمر الساخر في الموقف هو أن – فيما يتعلق بالشكل التنظيمي السري العجيب لحالة الطوارئ (الوعي الجمعي بأنهم " يعيشون في الأيام الأخيرة ") - المتعصبين الصامدين يكونوا على حق. ولكنهم مخطئون في منطقهم الشعبي. فالشعبية مستمرة دومًا بشكل رئيس عن طريق سخط الناس العاديين الذي بلا جدوى، وعن طريق البكاء والنحيب " أنا لا أعرف ما الذي يحدث، ولكن قد كان لدي فحسب ما يكفي منه ! إنه لا يمكن أن يحدث ! ويجب أن يتوقف ! " فمثل هذه الثورانات المتهورة أفصحت عن رفضهم أن يفهموا تعقد الموقف أو ينخرطوا فيه، وتظهر كذلك قناعتهم بأنه يجب أن يكون هناك شخصًا ما مسؤول عن هذه الحيرة والبلبلة – بحيث توضح لِمَ يقتضي وجود عامل ما بلا تغيير يتوارى خلف المشاهد والأحداث. وفي ذلك - أي في هذا الرفض بأن يعرفوا - يقطن البعد الفتشي للشعبية على نحو ملائم. ولذا نقول، برغم أنه على مستوى رسمي للفتشية على نحو خالص – تنطوي على إيماءة التحويل والنقل (إلى موضوع – فتشي)، فإنها تعمل بوصفها تحوّل وقلب دقيق من الصياغة الرئيسة للتحويل والنقل (عن طريق ذاتٍ أُفترض أن تعرف ") : فما تقدمه الفتشية للمرء هو، على نحو دقيق، إنكاري للمعرفة، رفضي للإدعاء ذاتيًا لما أعرفه. وهذا يبين لِمَ يعد - ولنعبر عن ذلك بمصطلحات نيتشوية التي تكون ملائمة هنا للغاية - الاختلاف الرئيس بين سياسة تحررية راديكالية على نحو حقيقي وسياسة شعبية هو أن المُشكل يكون نشيطًا، فإنه يفرض رؤيته ويقويها، بينما الشعبية تستعيد نشاطها بشكل رئيس، نتيجة تصور دخيل مزعج ومربك. أو بتعبير آخر، تبقى الشعبية نسخة من سياسة الخوف : إنها تُحرك العامة عن طريق إشعال الخوف من العامل الخارجي الفاسد.

وهذا يجلبنا إلى موضوع مهم عن العلاقة الوثيقة المموهة بين القوة والمعرفة في المجتمعات الحديثة. فيما أطلق عليه لاكان في المحاضرة التي ألقاها في الجامعة، السلطة تُمارس عن طريق المعرفة (أو الخبير). فقد كان جاك آلان ميلر Jacques Alain Miller محقًا في إظهاره مدى أصالة لاكان في التعامل مع ثنائية المعرفة / والقوة التي قلما لوحظت

في زمانه. في مقابل فوكو Foucault - الذي غير على نحو دائم مسألة إلتحامهما (المعرفة ليست محايدة، إنها في حد ذاتها آلة القوة والتحكم) - ينصب لاكان " مكانًا – في العصر الحديث - للانفصال بين المعرفة والقوة، وتمزقهما، ونزاعهما إن التمييز الوصفي الذي يقيمه لاكان لقلق وإنزعاج الحضارة يتمثل في أن المعرفة كانت تدعي " نمو متباين في علاقتها الوثيقة مع تأثيرات القوة "[٤٥]. ففي خريف ٢٠٠٧، برغم الجدال والمباحثة العامة التي ثارت في الجمهورية التشيكوسلوفاكية Czech Republic حول جهاز رادارات جيش الولايات المتحدة الأمريكية على المقاطعة التشيكية، رغم أن القاعدة العريضة من الشعب (تبلغ حوالي ٧٠ % تقريبًا) كانت معارضة له، فإن الحكومة دفعت هذا المشروع وحثت عليه. واعترضت الحكومة النيابية على استفتاء الشعب مبرهنة على أن الفرد لا يتخذ قرارات بشأن مثل هذه المسائل الحساسة المتعلقة بالأمن القومي على نحو خالص عن طريق التصويت – فإنهم يجب أن يتركوا هذه المسائل للخبراء العسكريين[٤٦]. وإذا اتبع المرء هذا المنطق إلى النهاية، فإنه سيبلغ إلى نتيجة غريبة : فما الذي تُرك – إذن –للتصويت بشأنه ؟ ألا ينبغي أن تترك القرارات الاقتصادية – على سبيل المثال- للخبراء الاقتصاديين، ويجب أن ينطبق ذلك على سائر المجالات الأخرى ؟

هذا الموقف يجلبنا إلى ركود " مجتمع الاختيار " المعاصر وتجمده في شكله الراديكالي الحقيقي والجوهري. فهناك استثمارات إيديولوجية عديدة في موضوع الاختيار في الوقت الراهن، حتى وإن كانت عقل العلماء تظهر أن حرية الاختيار هي مجرد وهم وخداع – فإننا لدينا خبرة بأنفسنا بوصفنا " أحرار " ببساطة عندما نكون قادرين على أن نعمل بالاسلوب الذي قد تحدد به تركيبنا العضوي، بلا عقبات خارجية تعترض ميولنا ورغباتنا الباطنية[٤٧]. إن علماء الاقتصاد الليبراليين يؤكدون بشدة على

---

(٤٥) Ibid.,

(٤٦) بشكل مثير للاهتمام، التمثلات نفسها استدعت العقل السياسي بشكل خالص لأجل القرار : فالولايات المتحدة الأمريكية قد ساعدت التشيكيين على تحقيق الحرية ثلاث مرات في تاريخهم (في ١٩١٨، و١٩٤٥، و١٩٨٩) ؛ ولذلك ينبغي على التشيكيين حاليًا أن يردوا المعروف للأمريكان عن طريق إنكارهم لهذه الحرية الخاصة بأنفسهم.

(٤٧) إن البحث الحديث قد توجه بالفعل لأبعد من التجارب الكلاسيكية لــ بنجامين ليبت منذ الثمانينيات، التي أظهرت أن عقولنا تصنع قرارًا في حوالي أجزاء ثلاثة من العشرة في الثانية قبل ما يكون صاحب العقل واعيًا به. فعن طريق قياس نشاط العقل أثناء ممارسته حل – المشكلة المعقدة، فإن المرء يستطيع أن يقرر بأن المغامر سيكون لديه بصيرة لحظية سحرية التي تحل المشكلة في عشرة ثوان كاملة قبل أن تحدث له بالفعل البصيرة.

حرية الاختيار بوصفها المفتاح الرئيس لاقتصاد السوق : فعن طريق شراء الأشياء، بأسلوب محدد، فإننا نصوت باستمرار بنقودنا. فالمفكرون الوجوديون " ذو الرؤية العميقة " يحبذون أن ينشروا التنوعات والتباينات على أطروحة الاختيار الوجودي "الأصيل"، حيث يكون جوهر وقلب وجودنا الحقيقي والجوهري على حافة الخطر - الاختيار الذي ينطوي على ارتباط وجودي كامل، بوصفه مقابلاً للاختيارات السطحية لهذه أو تلك السلعة أو البضاعة. ففي النسخة " الماركسية " لهذه الأطروحة، فإن تعددية الاختيارات التي معها يُطلقنا السوق ليعَتِّم فحسب على غياب أي اختيار راديكالي واقعي يتعلق بالبنية الرئيسة لمجتمعنا. ومع ذلك، هناك شكلٌ ما مفقودٌ على نحو واضح من خلال هذه السلسلة : أي، التوصية بأن نختار عندما نفتقر إلى المماثلات المعرفية الرئيسة التي تطلبت صنع اختيار عقلي. فكما قال ليوناردو بادورا Leonardo Padura:"ليس مفزع أن نعرف الماضي ثم نكون قادرين على التصادم مع المستقبل"[٤٨]، فكوننا نجبر على اتخاذ قرارات في موقف يظل غامضًا هو حالتنا الرئيسة. إننا نعرف الموقف الرئيس للاختيار الجبري الذي أكون فيه حرًا في أن اختار بشرط أن أصنع اختيارًا صائبًا ؛ لذلك فالشيء الوحيد المتروك لي لأفعله هو أداء إيماءة فارغة للإدعاء والتظاهر بأنني أكمل وأنجز بحرية معرفة الخبير التي قد فُرضت عليّ. ولكن، ماذا لو كان الاختيار الواقعي - على العكس من ذلك - حرًا، ولهذا السبب الحقيقي والجوهري، نختبره حتى بوصفه إحباطًا وفشلاً إلى حدٍّ بعيد ؟ وهكذا، فإننا نجد أنفسنا باستمرار في موضع امتلاك القدرة على اتخاذ قرار بشأن المسائل التي ستؤثر على نحو رئيس على حيواتنا، ولكن بدون أساس ملائم في المعرفة. ولنقتبس مرة أخرى قول جون جراى :

" لقد قُذِفَ بنا في زمان يكون فيه كل شيء وقتيًا. حاليًا يحول التكنولوجيون ويغيرون حيواتنا دائمًا. إن تقاليد الماضي لا يمكن أن تُستعاد. وفي الوقت ذاته إننا لدينا فكرة زهيدة عن ما المستقبل الذي سيأتي. إننا أجبرنا على أن نحيا كما لو كنا أحرارًا."[٤٩]

إن الالحاح المستمر على أن نختار لا ينطوي فحسب على تجاهل موضوع الاختيار؛ وإنما - حتى على نحو أكثر أصالة وأساسية - ينطوي، بالإضافة إلى ذلك، على الاستحالة الذاتية للإجابة عن سؤال الرغبة. فعندما يحدد لاكان موضوع الرغبة بوصفه مفقودًا في

انظر: "Incognito ," *Economist*, April 18-24, 2009, *PP*. 78-9.

(٤٨) Leonardo Padura , ***Havana Gold*** , London : Bitter Lemon Press 2008 , ***PP***. 233-4.

(٤٩) Gray, ***Straw Dogs***, ***P***. 110.

جوهره، فإن مغزاه ليس ببساطة أننا لا نعرف أبدًا ما الذي نرغب فيه ونقضي على بحث دائم عن الموضوع " الحقيقي " - الذي يمثل تجرد الرغبة بالنحو الذي يكون عليه، بينما الموضوعات الإيجابية بأكملها تكون على نحو خالص بديله الرمزي. يعد مغزاه أكثر مغزى راديكالي : فالموضوع المفقود هو أساسًا الذات نفسها، الذات بوصفها موضوعًا، التي تعني أن سؤال الرغبة، في لغزه الأصلي، ليس في الأصل " ما الذي أريده ؟ " وإنما هو " ما الذي يريده الآخرون مني ؟ " ما الموضوع الذين يرونه فيّ ؟ وهذا هو سبب طرح السؤال الهستيري- الذي يُطرح في وقته - : " لماذا أكون بذلك الاسم ؟ " (مثلما يطرح السؤال، أين تتولد هويتي الرمزية، وما الذي يُحققها ؟)، يشير لاكان إلى أن الذات بالنحو الذي تكون عليه تكون هستيرية. فهو يحدد الذات تكرارًا بلا معنى بوصفها " ذلك الذي لا يكون موضوعًا "، فالمغزى من ذلك هو استحالة تحقيق هوية المرء بوصفه موضوعًا مكونًا للذات (بمعنى، استحالة معرفة ما الذي أمثله من حيث الشهوة الجنسية بالنسبة للآخرين). وبهذا الأسلوب، يولد لاكان التنوع الكلي للمواضع الذاتية "الباثولوجية"، ويقرأها بوصفها تنوع الإجابات عن الأسئلة الهستيرية : الهستيري والاستحوذي يشرعان طريقتيْن من السؤال - فالذهاني (*) يُعرف نفسه بوصفه موضوعًا لمتعة الآخر، بينما المنحرف جنسيًا يموضع ذاته بوصفه أداةً لمتعة الآخر.

وهنا يقطن المنظور الإرهابي للإلحاح على أن تختار - فما يدوي حتى في أبسط تساؤل وأكثرهم سذاجة عندما يحجز المرء غرفة في فندق ("هل تريد وسادات ناعمة أم خشنة ؟ وهل تريد غرفة مزدوجة لشخصين أم بسريرين ؟ ") هو أكثر التساؤلات الراديكالية التي تسبر أغوارك إلى حدٍّ بعيد : " أخبرني من تكون ؟ ما نوع الموضوع الذي تريد أن يكون ؟ ما الذي سيملأ الفجوة في رغبتك ؟ " وهذا يبين لِمَ يكون إدراك فوكو وفهمه " المضاد - للماهوي " عن طريق " الهويات الثابتة " - الدافع المستمر على أن يمارس عملية " الاهتمام بالذات "، وأن يعيد - ابتكار ويعيد - إبداع الذات من جديد دومًا - يجد صدى غريب في دينامية رأسمالية " ما بعد الحداثة ". بالطبع، إن الوجودية القديمة الجيدة قد زعمت بالفعل بأن أهمية ومغزى وجود الإنسان فيما يصنعه ويحققه بذاته، وقد ارتبطت هذه الحرية الراديكالية بالقلق الوجودي. كان هنا القلق من خبرة المرء بحريته ونقص عزيمته الجوهرية، يمثل لحظة أصيلة، التي عندها تكامل الذات يكون في ثبوت عالمها الإيديولوجي المُحطم. ولكن، ما ليست الوجودية قادرة عليه هو أن تتصور ما حاول أدرنو أن يغلفه ويكبله بعنوان كتابه عن هيدجر

(*) الذهاني : اضطراب عقلي رئيس موصول يتسم باختلال الصلة بالواقع أو انقطاعها. (المترجم).

Heidegger المعنون باسم، رطانة الأصالة ***jargon of Authenticity*** ، أي أنها ليست قادرة على تصور كيف أن الإيديولوجيا المهيمنة تحرك على نحو مباشر- ولم يعد ذلك ببساطة عن طريق كبت نقص الهوية الثابتة - الشعور بالافتقار إلى استمرار وبقاء العملية الدائمة " لإعادة الإبداع - الذاتي للمستهلك ".

بين الفتشيتين :

كيف يكون هذا المظهر للإيديولوجيا بوصفها ما يقابلها، بوصفها اللا- إيديولوجيا، ممكنًا ؟ إنه يتوقف على تغير الأسلوب السائد للإيديولوجيا وتحويله : يفترض في عصرنا "ما بعد - الإيديولوجية "، أن تعمل الإيديولوجيا أكثر فأكثر بأسلوب فتشي بوصفها مقابلة للأسلوب الإشاري أو العلامي التقليدي. ففي الأسلوب الأخير، إن الزيف والكذب الإيديولوجي الذي يؤوسس إدراكنا للواقع يهدده إشارات وعلامات " الارتدادات إلى حالة الكبت " - إذ يُحدث قطعًا في نسيج الزيف والكذب الإيديولوجي - بينما الأسلوب الفتشي يكون على نحو فعال ومؤثر نوعًا من الضد أو الوجه المقابل للإشارة أو العلامة. ولنقول إن هذه، الإشارة أو العلامة هي حالة الاستثناء التي تعكر وجه المظهر الزائف، والإشارة إلى مشهد ثوران الآخر المُكبت، بينما الأسلوب الفتشي هو تجسيد للزيف والكذب الذي يُمكننا من أن نساند ونثبت الحقيقة غير المحتملة. فلنتناول حالة موت لشخص عزيز علينا : في حالة إشارة أو علامة، فأنا " أكبت " هذا الموت، ليس عن طريق محاولتي لعدم التفكير فيه ؛ وإنما عن طريق تحويله في الإشارة أو العلامة إلى جرح مكبت، أما في حالة فتشي، فعلى العكس من ذلك، " فأنا أقبل الموت تمامًا " بشكل عقلاني "، ومن ثم تعلقي بالأسلوب الفتشي يعني تمسكي بشكل ما بأن يجسد بالنسبة لي التنصل من الموت وإنكاره. وبهذا المعنى، يمكن أن يلعب الأسلوب الفتشي دورًا بنائيًا حقيقيًا وجوهريًا في الإتاحة لنا بالتعامل مع الواقع العنيف القاسٍ ومواجهته : فليس الفتشيون حالمون يُفقدون في عوالمهم الخاصة ؛ وإنما هم " واقعيونٌ " متطرفون قادرون على قبول الأسلوب الذي تكون عليه الأشياء لأنهم عن طريق التعلق بأسلوبهم الفتشي يكونوا قادرين على التلطيف من حدة التصادم الكامل مع الواقع.

وبهذا المعنى الدقيق، المال، بالنسبة لماركس، فتشي : فأنا أتظاهر بأنني ذاتٌ عقلانيةٌ، ونفعية، وأعي جيدًا الوضع الحقيقي للأشياء، ولكنني أجسد اعتقادي المنكر والمتنصل بأسلوب فتشي - يتعلق بالمال - ففي بعض الأحيان يكون الخط الفاصل بين الأسلوبين يكون غالبًا متعذر تمييزه : فموضوع يمكن أن يعمل بوصفه علامة أو إشارة

(على رغبة مكبوتة مثلاً) و يعمل غالبًا بوصفه فتشيًا (أي تجسيد الاعتقاد الذي ننكره فعليًا) معًا وفي الوقت ذاته. فإن بقايا شخص ميت على سبيل المثال، ملابسه مثلاً، يمكن أن يعمل بوصفه كلاً من فتشي (الذي يبقى فيه الشخص حيًا على نحو ساحر)، وبوصفه علامة أو إشارة (طالما أن التفاصيل المزعجة المقلقة تذكرنا بموته أو موتها). ألا يكون هذا الصراع الغامض متناظرًا مع ذلك الصراع بين الموضوع الفتشي والموضوع الفوبيائي ؟ إن الدور البنائي في كلتا الحالتين واحد ويمثل الشيء نفسه : إذا كان هذا العنصر الاستثنائي مربكًا ومزعجًا، فإن النظام بأكمله ينهار. وبالتالي، إذا أجبرت الذات على مواجهة معنى إشارتها أو علامتها ؛ فإنه لا ينهار عالم الذات الزائف فحسب؛ وإنما ينسحب الأمر كذلك على الوجه المقابل له، بحيث يتلاشى ويتبدد قبول الذات "العقلاني" للأسلوب الذي تكون عليه الأشياء عندما تُبعد عن أسلوبها الفتشي.

إن " البوذية الغربية " شأنها شأن أسلوب فتشي : تُمكنك من المشاركة الكاملة في اللعبة الرأسمالية المتهورة بينما يظل الإدراك بأنك لست بالفعل فيها، وأنك تكون على وعي جيد إلى أي مدى يعد المشهد بأكمله باطلاً وعديم الجدوى أو الأهمية، منذ أن كانت الموضوعات الواقعية هي سلام وراحة الذات الباطنية ؛ إذ تعرف بأنك يمكنك دومًا الانسحاب، وبمعنى أدق، ينبغي على المرء أن يضع يده على أن فتشي يمكن أن يعمل بأسلوبين متقابلين : فمن جهة بالإمكان أن يبقى دوره غير مدرك، ومن جهة أخرى، ربما يعتقد المرء بأن الفتشي هو ما يمثل الموضوعات الواقعية، مثلما في حالة البوذي الغربي غير الواعٍ والمدرك بأن " حقيقة " وجوده تكمن في العلاقات الاجتماعية الحقيقية والجوهرية التي يقصد إقصاءها بوصفها لعبةً خالصةً.

تمييز أخر أكثر أهمية بين الأسلوبين المختلفين للفتشية : الفتشية الكلبية المُجازة المذكورة آنفًا، والتي ينبغي أن تقابل الفتشية الفاشستية الشعبية. دعنا نشرح ونفسر هذا الأسلوب المشكل – مرة أخرى – عن طريق تقابل الغموض الإيديولوجي الذي ينطوي على الغموض الفاشستي – الشعبي. الأول، ينطوي على العالمية الزائفة : الذات تدافع عن الحرية أو المساواة وتدعو إليهما، بينما تكون غير واعية بمؤهلات تحقيقهما، بحيث تُضيق – في شكلها الخاص – من مجال نظرها (حيث تهتم بتميز طبقات اجتماعية معينة : مثل كونه ثريًا، أو ذكرًا، أو ينتسب لثقافةٍ معينةٍ، إلخ). أما الثاني، فيتضمن تحديد زائف لكلٍ من طبيعة الخصومة والخصم : فالصراع الطبقي يحل محله - على سبيل المثال - الصراع ضد اليهود ؛ ولذلك فالثورة الشعبية تُستغل بحيث يُعاد توجيهها من العلاقات الرأسمالية بالنحو الذي تكون عليه إلى ثورة ضد " المؤامرة

اليهودية ". ومن ثم، فلنعبر عن هذا الأمر في حدود هيرمينوطيقية [تفسيرية تأويلية] بسيطة، ففي الحالة الأولى، " عندما تنادي الذات " بالحرية والمساواة " فإنها تعني بالتأكيد " حرية التجارة، والمساواة أمام القانون، إلخ ". وفي الحالة الثانية، " عندما تقول الذات إن " اليهود هم سبب تعاستنا وشقاءنا، فإنها تعني بالفعل أن " الرأسمال الضخم هو سبب تعاستنا وشقاءنا ". اللاتماثل واللاتناسق واضحًا. فلنعبر عن ذلك الأمر مرة أخرى بأسلوب بسيط : في الحالة الأولى، المضمون " الجيد " الواضح (أي الحرية، والمساواة) يحجب المضمون " السيئ " (كالطبقة والمميزات والاستثناءات الأخرى)، بينما في الحالة الثانية، المضمون " السيئ" الواضح (أي النزعة المضادة للسامية) يزيل الستار من على المضمون " الجيد " المنطوي بداخله (كالصراع الطبقي، وضغينة الاستغلال).

وكما بالإمكان أن نرى بوضوح، أن البنية الداخلية لغموضهما الإيديولوجي هو مرة أخرى غموض ثنائية العلامة / الفتشي : إن التحديدات الضمنية (عن الحرية / والمساواة) هي علامات على مبدأ المساواة الليبرالي (الارتدادات الفردية للحقيقة المكبوتة)، بينما " اليهودي " هو فتشي الفاشستين المضادين للسامية (الشيء الأخير الذي تراه الذات إزاء مواجهة الصراع الطبقي). لدى هذا اللاتماثل نتائجًا حاسمةً في إزالة الغموض من العملية الإيديولوجية - النقدية : فيما يتعلق بمبدأ المساواة الليبرالي، ليس كافيًا أن نقيم وجهة النظر الماركسية القديمة عن الفجوة بين المظهر الإيديولوجي للشكل القانوني العالمي والاهتمامات والمصالح الخاصة التي تُبقى عليه وتثبته بشكل فعال ومؤثر، بوصفها واحدة من الانتقادات العامة أو المشتركة الصائبة سياسيًا على الحزب اليساري المعارض. فالحجة - المقابلة بأن ذلك الشكل الذي لا يكون أبدًا " شكلاً خالصًا "، ولكن له ديناميته الخاصة الذي ينطبع تأثيره في ماديّة الحياة الاجتماعية - كما طوره المنظرون من أمثال كلود لوفور Claude Lefort[٥٠] وجاك رانسيبار Jacques Rancière[٥١]، بحيث يكون شرعيًا تمامًا - كانت هي " الحرية الشكلية " البورجوازية التي تشير إلى عملية المطالب والممارسات السياسية " المادية "، بدءًا من نقابات العمال والاتحاد التجاري إلى النزعة النسوية. ينبغي على المرء أن يقاوم الإغراء الكلبي كي يختزلها إلى كونها مجرد وهم وخداع خالص يحجب واقعًا فعليًا مختلفًا ؛ إذ يفترض هذا الأمر السقوط في شرك التظاهر والرياء الستاليني القديم الذي سَخِرَ من الحرية

---

[٥٠] : انظر Claude Lefort , *The Political Forms of Modern Society : Bureaucracy, Democracy, Totalitarianism*, Cambridge : MIT press 1986.

[٥١] : انظر Jacques Rancière , *Hatred of Democracy*, London : Verso Books 2007.

البورجوازية " الشكلية على نحو خالص " - ولكن إذا كانت هذه الحرية شكلية على نحو خالص كما أنها غير قادرة على إحداث حالة من الإرباك والتشتت في علاقات القوة الحقيقية، فلماذا - إذن - لم يسمح الحكم الستاليني بمثل هذه الحرية ؟ ولماذا كان خائفًا منها للغاية ؟

وهكذا، فإن إزالة الغموض التفسيري يكون هنا أمرًا سهلاً نسبيًا، حيث إنه يحرك الصراع بين الشكل والمضمون : أن تكون ثابتًا ومتماسكًا، وأن تكون ديمقراطيًا ليبراليًا "مخلصًا" فسيجب عليك أن تسلم بمضمون فرضه الإيديولوجي الذي يناقض شكله، وهكذا ستضفي على الشكل الطابع الراديكالي (أي مبدأ المساواة) عن طريق أسلوب إنجاز وإتمام المضمون كليةً. (إن الخيار الرئيس هو الانسحاب والتراجع عن المذهب الكلبي : " إننا نعرف مبدأ المساواة بأنه حلم مستحيل ؛ ولذلك دعنا نتظاهر بأننا متساون بينما نقبل بصمت التقيدات والتحديدات الضرورية").

في حالة "اليهودي" بوصفه الفتشي الفاشيستي، فإن إزالة الغموض التفسيري يكون أكثر صعوبة إلى حدٍّ بعيد (وبذلك تُثبت البصيرة التحليلية بأن الفتشي لا يمكن أن يقوَّض بتفسير " معنى " فتشيته - فالفتشيون يشعرون بالرضا في فتشيتهم، وخبرتهم لا تحتاج التحرر منها). على مستوى الحدود السياسية العملية، يعني هذا بأنه غالبًا من المستحيل أن " تحدث حالة من التنوير " لذلك العامل المستغل الذي يلوم " اليهود " على شقائه وتعاسته - بأن يُفسر ويُشرح له كون " اليهودي " هو العدو الخاطئ، وبالتالي يبلغ إلى عدوه الحقيقي (أي الطبقة الحاكمة) من أجل حجب الصراع الحقيقي - وهكذا ينأى بتركيزه عن "اليهود"، ويتجه نحو " الرأسماليين ". (وحتى عمليًا، بينما العديد من الشيوعيين ارتبطوا بالنازيين في ألمانيا في العشرينيات والثلاثينيات، وبينما العديد من الناخبين الشيوعيين المخيب أملهم في فرنسا في العقود القليلة الأخيرة قد ارتدوا إلى جبهة لوبن القومية، فإن العملية المقابلة قد كانت نادرة إلى أقصى حد) ولنعبر عن ذلك في حدود سياسية فجة، يكون التناقض على النحو التالي : بينما الذات في الغموض الأول هي في الأصل العدو (أي ذلك " البرجوازي " الليبرالي الذي يعتقد بأنه يتصارع من أجل المساواة والحرية العالمية)، وبينما الذوات في الغموض الثاني هم في الأصل " ذواتنا الخاصة " (أي هؤلاء الفقراء المعدومون أنفسهم، الذين يخطئون في توجيه ثورتهم نحو الهدف الخاطئ)، نقول بينما ذلك فإن " إزالة الغموض" العملي والمؤثر يكون أمرًا أكثر سهولة ويسرًا في الحالة الأولى منها في الحالة الثانية.

إن المشهد الإيديولوجي المسيطر المعاصر يسقط هكذا بين أسلوبي الفتشية، أي الأسلوب الكلبي والأسلوب المتعصب، وكلاهما غير متقبل للنقد " العقلاني " القائم على الحجة. بينما المتعصب يتجاهل (أو على الأقل يرتاب من) الحجة، ويتعلق تعلقًا أعمى بفتشيته، فإن الكلبي يتظاهر بقبول الحجة، ولكنه يتجاهل فاعليته الرمزية. أو بتعبير آخر، بينما المتعصب (لا يعتقد بدرجة كبيرة) بأنه " يعرف " على نحو مباشر الحقيقة المتجسدة في فتشيته، فإن الكلبي يمارس منطق الانسحاب "أنا أعرف جيدًا، ولكن". بالإمكان – هكذا - أن نكوّن رحمًا يحتوي على مواضع أربعة (أو توجهات إزاء الإيديولوجيا) : ١- الليبرالي، ٢- الفتشي الكلبي، ٣- الفتشى المتعصب، ٤- الإيديولوجي – النقدي. وعلى نحو مألوف، فإنهم يشكلون مربع شبه – سمعي الذي تعد فيه المواضع الأربعة مربكة ومحيرة على طول المحورين : أي محور العلامة أو الإشارة في مقابل محور الفتشي، ومحور إثبات الهوية في مقابل المسافة. وكلٌ من الليبرالي وناقد الإيديولوجيا ينتقل إلى المستوى العلامي أو الإشاري : الأول لحق به، أما الثاني فقوّضه عن طريق أسلوب التحليل التفسيري. وكلٌ من الفتشي الشعبي والفتشي الكلبي يتعلقان بفتشيتهما : الأول يتعلق على نحو مباشر بها، أما الثاني فيتعلق بها بأسلوب إنكاري. فكلٌ من الفتشي الشعبي والليبرالي تتحقق هويتهما على نحو مباشر بمكانتهما (أي عن طريق التعلق بفتشيتهما، واتخاذ الحجج بجدية لإدعاءاتهم الإيديولوجية العالمية)، في حين يبقى كلٌ من الكلبي وناقد الإيديولوجيا في ذاتهما على مسافة من مكانتهما (سواء المتمثلة في الإنكار الفتشي، أو التفسير النقدي).

وفيما يتعلق بالصراع الإيديولوجي، فهذا يعني – إذن – أنه ينبغي على المرء على الأقل أن ينظر بريبة عميقة لأولئك اليساريين الذين يبرهنون على أن الحركات الشعبية للمسلم المتعصب، بوصفها تحررية ومضادة للإمبرالية - ترتكز أساسًا "علينا"، وحقيقة أنهم صاغوا برامجهم على نحو مباشر في حدود ضد التنوير وضد العالمية، وفي بعض الأحيان يقتربون بوضوح من الاتجاه المضاد للسامية، فإن هذا الصراع الإيديولوجي لا يعد أكثر من كونه نتاجًا محيرًا من وجودهم الذي لحق ببداهة الصراع. (" فعندما يقولون إنهم ضد اليهود، فما يقصدونه بالفعل هو أنهم فحسب ضد الاستعمار الصهيوني "). ينبغي على المرء أن يقاوم بلا تحفظ إغراء " فهم وإدراك " العرب بأنهم ضد – السامية (حيث إننا واجهنا هذا بالفعل) بوصفه تصورًا " طبيعيًا " لحالة الفلسطينيين المحزنة : لا ينبغي أن يكون هناك " فهمًا " لحقيقة أنه مازال يعتبر العديد من الناس في كثير من البلدان العربية هتلر بوصفه بطلاً، أو فهم حقيقة أن مناهجهم

الدراسية في المرحلة الابتدائية تتضمن الأساطير التقليدية المضادة للسامية جميعها، بدءًا من التزيف المُشهر لبروتوكول زعماء الصهيون حتى فكرة أن اليهود استخدموا دماء الأطفال المسيحيين (أو العرب) كضحية لتحقيق أغراضهم ومطامعهم. وأن ندعي بأن مثل هذه المقولات المضادة للسامية بأسلوب الاستبدال هي شكل من مقاومة الرأسمالية بأسلوب من المستحيل تسويغه وتبريره : فالاستبدال عند هذا الحد ليس عملية ثانوية عارضة، ولكنه شكل رئيس للغموض الإيديولوجي. ومع ذلك، ما يتضمنه هذا الإدعاء بالفعل هو فكرة أنه على المدى الطويل الأسلوب الوحيد لمكافحة النزعة المضادة للسامية والتصارع معها لا يكمن في أن توعظ بالسماحة الليبرالية والحب ؛ وإنما يتمثل في أن تفصل وتوضح دافعها المضاد للرأسمالية المباطن فيها بأسلوب مباشر وغير استبدالي. وأن تقبل المنطق الخاطئ لمذهب التعصب المذكور آنفًا، يعني أن تخطو أول خطوة على طريق الاستنتاج " المنطقي " - إلى حدٍّ ما – طالما أن هتلر، بالإضافة إلى ذلك، " قصد بالفعل " الرأسماليين حينما تحدث عن " اليهود"؛ إذ ينبغي عليه أن يكون حليفنا الاستراتيجي في صراع النزعة المضادة للإمبرالية العالمية، مع الامبراطورية الأنجلو – أمريكية بوصفها العدو الرئيس. (ومسار التعقل هذا ليس مجرد ممارسة بلاغية خالصة : النازيون قاموا بالإعلاء من شأن الصراع ضد – الاستعمار الاستيطاني في البلدان العربية وفي الهند، والعديد من النازيين الجدد أبدوا تعاطفهم مع الصراع العربي ضد دولة إسرائيل)[٥٢]. إنه سيكون خطأ حاسمًا أن نفكر بأننا – في مرحلة ما في المستقبل – سوف نقنع بالفاشستين الذي يعد عدوهم " الحقيقي " هو الرأسمالي، وأنهم ينبغي عليهم أن يتنحوا عن الشكل العنصري / الجنسي / الديني الخاص لإيديولوجيتهم لربط القوى بالعالمية القائمة على مبدأ المساواة.

وهكذا ينبغي على المرء أن يرفض بوضوح الشعار الخطير " عدو عدوي هو صديقي"، الذي يقودنا إلى إدراك النزعة المضادة للإمبريالية " التقدمية المتزايدة " الكامنة في الحركات الإسلامية المتعصبة. فعالم التنظيمات الإيديولوجي من قبيل حزب الله Hezbollah، يرتكز على تلطيخ التمييزات بين الإمبريالية الرأسمالية الجديدة والتحرير المدني التقدمي : ففي داخل الحيز الإيديولوجي لحزب الله، نجد تحرير المرأة، وحقوق الشاذ، إلخ. لا تمثل شيئًا إلا أوجه أخلاقية " منحطة " للإمبريالية الغربية فقد سلم باديو بأنه " هناك حدٌّ باطني لتلك الحركات، مرتبط بالنحو الذي يكونوا عليه في

---

[٥٢] إن ما يجعل من جاك فرجيه شكلاً فريدًا، هو " الدفاع عن الإرهاب "، ظاهرة عالمية هي أنه يجسد هذا " الاتحاد " بين الفاشية والنزعة المضادة للاستعمار الاستيطاني.

خصوصيتهم الدينية - ولكن هذا الحد يكون فقط حدًا مؤقتًا - على ما يبدو من قصد باديو- فحد تلك الحركات سوف (يجب) تجاوزه في المرحلة " الثانية، الأعلى " لتطورها التي غَدَتْ مَضْرِبَ الأمثَالِ، فمتى سوف (يجب أن) يضفوا على أنفسهم الطابع العالمي؟ فباديو محقًا في ملاحظته أن المشكلة هنا ليست مشكلة دينية بالنحو الذي تكون عليه ؛ وإنما تكمن في خصوصيتها -ولكن هل هذه الخصوصية ليست صائبة حاليًا كحد قدري لتلك الحركات، فمن يمتلك إيديولوجيا يكون على نحو مباشر ضد - التنوير؟

وبمعنى أدق، ينبغي على المرء أن يحدد أن الحد الباطني لا يتعلق بطابعهم الديني بالنحو الذي يكون عليه ؛ إذ لا يعنينا النحو الذي يكون عليه " المتعصب " ؛ وإنما ما يهمنا هو توجههم الإيديولوجي - العملي تجاه المشروع التحرري العالمي المرتكز على مبدأ المساواة. ولنجعل المغزى الجوهري لهذه الفكرة واضحًا، دعنا نستدعي الحالة التراجيدية لمجتمع الكندوس Canudos في البرازيل Brazil في نهاية القرن التاسع عشر : فقد كان مجتمعًا " متعصبًا " إلى درجة لم توجد من قبل، يسير بواسطة " عضوٍ " متعصب مؤيد للتيوقراطية' والارتداد إلى الحكومة الملكية. ولكن في الوقت ذاته نشد هذا المجتمع أن يبدع يوتوبيا شيوعية بملكية عامة أو مشتركة، لا أموال ولا قوانين، الاتحاد المرتكز على مبدأ المساواة الكامل، المساواة بين الرجال والنساء، وحق الطلاق، إلخ. إن هذا هو البعد الذي يفتقر إليه " التعصب " الإسلامي، فلا يعنينا النحو الذي يبدو عليه " المضاد - للإمبريالية ".

ورغم ذلك، حتى في حالة الحركات المتعصبة " بوضوح "، ينبغي على المرء أن يكون حذرًا بحيث لا يثق في وسائل الإعلام البرجوازية، فحركة طالبان Taliban تُقدم بانتظام بوصفها مجموعةً إسلاميةً متعصبةً تفرض بالقوة قانونها باستخدام الإرهاب. ومع ذلك، عندما استولوا في ربيع عام ٢٠٠٩ على وادي سوات Swat في باكستان Pakistan، كتبت **جريدة نيويورك تايمز** تقريرًا أنهم دبروا " ثورة طبقية تكشف عن الانشطارات العميقة بين مجموعة الملاك الأثرياء الصغيرة ومستأجريهم الذين لا يملكون عقارًا :

في سوات، إن التقارير عن أولئك الذين هربوا تبين حاليًا بوضوح أن طالبان أمسكت بزمام الأمور، وتحكمت فيها عن طريق إخراجها لحوالي أربع دست من الملاك الذين يملكون معظم القوة. وللقيام بهذا الأمر، فلقد نَظَمَ المجاهدون الفلاحين في فرق مسلحة بحيث أصبحوا بمثابة جنود صدام لهم.

إن قدرة طالبان على استغلال التقسيمات الطبقية يضيف بعدًا جديدًا للتمرد والعصيان ويدق ناقوس الخطر في باكستان، التي تبقى إقطاعية على نطاق واسع.

قال محبوب محمود Mahboob Mahmood، محامي أمريكي - باكستاني ورفيق الدراسة السابق للرئيس أوباما: " إن شعب باكستان مستعد سيكولوجيًا لقيام ثورة ". إن الجهاد السُنّي يتخذ ميزته من التقسيمات الطبقية العميقة التي تفشت منذ أمد طويل في باكستان، كما قال إن " المجاهدين، من جانبهم، يوعدون بأكثر من مجرد تحريم الموسيقى والتدريس والتثقيف والتنوير ". وإنما هم يوعدون، بالإضافة إلى ذلك، بالعدالة الإسلامية، وبحكومة فعالة، وبإعادة التوزيع الاقتصادي من جديد ".[٥٣]

يوضح توماس ألتيزر Thomas Altizer[٥٤] التضمنات والنتائج لهذا التاريخ الجديد (لعصورنا الغربية) :

حاليًا، أظهر هذا الوضع الكائن في نهاية الأمر أن طالبان هي القوة الحرة الحقيقية، التي تشن هجومًا على القانون الإقطاعي القديم في باكستان وتحرر السواد الأعظم من الفلاحين من ذلك القانون ونأمل أن نسمع نقدًا حقيقيًا لحكومة أوباما، التي تعد أكثر خطورة بكثير من حكومة بوش الأب والابن؛ لأنها وجود مُنِحَ مثل هذه اليد الحرة ولأنها حكومة قوية إلى حدٍّ بعيد.

إن الغرض الإيديولوجي من مقالة جريدة نيويورك تايمز يكون مُدركًا في كيفية تحدثها عن " قدرة طالبان على استغلال التقسيمات الطبقية " كما لو كانت أجندة طالبان "الحقيقية" تكمن في مكان آخر - أي في التعصب الديني - و" الاستفادة " على نحو خالص من أزمة الفلاحين الفقراء، الذين لا يملكوا الأرض. ولهذا، ينبغي على المرء أن يضيف ببساطة أمرين. الأول، هذا التمييز بين الأجندة " الحقيقية " والمضاربة والمناورة المفتعلة الأداتية هو إحدى التمييزات المفروضة من الخارج : كما لو كان الفلاحون الفقراء أنفسهم الذين لا يملكوا الأرض ليس لديهم خبرة بأزمتهم في الحدود " الدينية المتعصبة " ! أما الأمر الثاني، فهو، إنه إذا كان عن طريق " الاستفادة " من أزمة الفلاحين " يدق طالبان ناقوس الخطر في باكستان، التي تبقى إقطاعية على نطاق واسع ". فما الذي يمنع الديمقراطيين الليبراليين في باكستان مثلما هو الحال في الولايات المتحدة عن " استفادة " مماثلة للموقف، ومحاولتهم أن يساعدوا الفلاحين الذين لا يملكوا الأرض ؟ فالحقيقة المحزنة وراء الحقيقة الواقعية هي هذا السؤال الواضح الذي لم يبزغ في تقرير جريدة نيويورك تايمز ألا وهو أن القوى الإقطاعية في باكستان هي نفسها " الحليف الطبيعي " للديمقراطية الليبرالية، واحدة من

[٥٣] Jane Perlez and Pir Zubair Shah , " Taliban exploit class rifts to gain ground in Pakistan," New York Times, April 16,2009.

[٥٤] Thomas Altizer , quoted from personal communication.

النتائج السياسية لهذا الموقف المتناقض هي الصراع الجدلي بشكل ملائم بين الخطة طويلة المدى والتحالفات التكنيكية قصيرة المدى. ورغم أن نجاح الصراع التحرري الراديكالي – على المدى الطويل – يعتمد على تحريك الطبقات الأدنى التي تكون - غالبًا - في الوقت الراهن في عبودية الشعبية المتعصبة، فالمرء ينبغي عليه ألا يكون في حالة غثيان مما تتضمنه التحالفات قصيرة المدى مع الليبراليين المناديين بالمساواة بوصفه جزءًا من الصراع المضاد للعنصرية والجنسية.

إن أطروحة والتر بنيامين Walter Benjamin القديمة عن أن " كل بزوغ للفاشية يشهد على الثورة الفاشلة " مثلما هو الحال في ظاهرة بزوغ تظاهر طالبان، لم تحتفظ اليوم بصحتها فحسب؛ وإنما هي بالطبع أكثر ملائمة وارتباط بالموضوع من أي وقت مضى. يفضل الليبراليون أن يشيروا إلى التمثلات والتشابهات بين " تطرفات " الائتلاف اليمني الحاكم والحزب اليساري المعارض : فأرهاب هتلر وموته حاكى إرهاب البولشفيك Bolshevik ومعسكرات العمل the Gulags، فالشكل اللينيني للحزب احتفظ ببقائه في الوقت الراهن وانتعش في تنظيم القاعدة al – Qaeda – نعم، ولكن ماذا يعنى كل هذا ؟ بالإمكان أن يقرأ، بالإضافة إلى ذلك، بوصفه علامةً على كون الفاشية حلت محل أو بمعناها الحرفي (اتخذت مكان) الثورة اليسارية : فخروجها إلى حيز الوجود هو إخفاق الحزب اليساري المعارض، ولكنها برهان على أنه كان هناك سخطًا واستياءًا، وثورة كامنة ليس بإمكان الحزب اليساري تحريكها وإثارتها معًا وفي الوقت ذاته. ولكن، ألا يصدق الأمر نفسه على ما يسمى " بالفاشية – الإسلامية " ؟ أليس خروج النزعة الإسلامية الراديكالية إلى حيز الوجود ملازمًا ومتصلاً، على نحو دقيق، باختفاء الحزب اليساري المدني في البلاد الإسلامية ؟ في الوقت الراهن، عندما صُورت أفغانستان Afghanistan بوصفها مثالاً أو صورةً مصغرةً من الدولة الإسلامية المتعصبة، فمن الذي مازال يتذكر أنه، منذ ثلاثين سنة مضت فحسب، كانت دولة بتقاليد مدنية قوية، تشتمل على حزب شيوعي قوي أكتسب قوته بشكل مستقل عن الاتحاد السوفيتي the Soviet Union ؟ أين ذهبت هذه التقاليد المدنية ؟ ففي أوروبا Europe، حدث الأمر نفسه، على نحو دقيق، للبوسنا Bosnia : فبالارتداد إلى السبعينيات والثمانينيات، البوسنا والهيرسيك Herzegovina كانتا من البلدان متعددة الثقافات وكانتا أكثر جمهورية مثيرة للاهتمام وحيوية من الجمهوريات اليوغوسلافية Yugoslav republics بأكملها، وبمعهد سينمائي مميز عالميًا وأسلوب فريد من موسيقى الروك. أما البوسنا في الوقت الراهن، فعلى العكس من ذلك، تتميز بالقوى المتعصبة الضخمة، من قبيل

الجماعة الإسلامية التي هاجمت بشكل مؤلم عرض الشواذ بساريفو Sarajevo في سبتمبر عام ٢٠٠٨. إن السبب الجذري لهذا النكوص والارتداد يكمن في الموقف المتهور اليائس للنزعة الإسلامية في البوسنا في أثناء الحرب فيما بين سنتي ١٩٩٢-١٩٩٥، عندما تخلت أساسًا القوى الغربية عنها بحيث أصبحت عرضة للمدافع الصربية Serb.

فضلاً عن ذلك، هل هذه المصطلحات " الفاشية - الإسلامية " أو " النزعة الإسلامية - الفاشية "، التي اقترحها (من بين المصطلحات الأخرى) فرانسيس فوكوياما وبرنارد هنري ليفي Bernard – Henri Lévy، مبررة ؟ فما يترجم لهم تلك الإشكالية لا يتمثل فحسب في الجدارة والأهلية الدينية (فهل هو – إذن - شكل واحد مستعد، بالإضافة إلى ذلك، لوصف الأشكال الغربية للفاشية بوصفها " فاشية – مسيحية " ؟ - الفاشية في حد ذاتها كافية، إنها لا تحتاج إلى كفاءات ؛ وإنما تحتاج إلى تعيين وتمييز حقيقي وجوهري للحركات الإسلامية " المتعصبة " المعاصرة، وتموضعها بوصفها " فاشية ". بالإمكان أن تكون حقيقة أن النزعة المضادة – للسامية (المنفتحة بدرجات متفاوتة) تقدم في تلك الحركات والحالات، وأنه هناك ارتباطات تاريخية بين القومية العربية والفاشية الأوروبية والنازية. ومع ذلك، لا تلعب النزعة المضادة – للسامية دورًا في التعصب الإسلامي على نحو الدور الذي تلعبه بالضبط في الفاشية الأوروبية – طالما أن التشديد يكون على الاعتداء الخارجي المسؤول عن تحطيم مجتمع المرء الخاص "المنسجم والمتوافق" وانحلاله (فجأة). فهناك على الأقل اختلاف واحد كبير ليس بالإمكان إلا الالتفات له وجذب انتباهنا. لأن النازي، واليهودي كانا بشر رَحَّالة بلا أصل / وبلا وطن ينشرون الفساد في المجتمعات التي عاشوا فيها، فعلى سبيل المثال – من منظور نازي – دولة إسرائيل التي كانت حلاً ممكنًا – لا نندهش من أن النازي – قبل أن يقرر إبادتهم – لَعِبَ بفكرة منح اليهود أرضًا ليشيدوا دولة (تمتد من مدغشقر Madagascar إلى فلسطين ذاتها). أما بالنسبة للعرب المعاديين أو " ضد – الصهيونية " في الوقت الراهن – فعلى العكس من ذلك – يرون أن دولة إسرائيل تمثل مشكلة، مع المطالبة بهدم تلك الدولة وعودة اليهود إلى حالة ترحالهم / بلا وطن.

جميعنا يعرف أن الطابع المميَّز للماركسية المضادة للشيوعية بوصفها " إسلام القرن العشرين "، وبوصفها إضفاءًا للطابع المدني على تعصب الإسلام المجرد. قد حوَّل وقلب بيير – أندريه تاجيف Pierre- André Taguieff – المؤرخ الليبرالي المعادٍ للسامية – هذا الطابع المميَّز بصورة تقريبية القول بأن : الإسلام ينقلب ليكون " ماركسية القرن الواحد – والعشرين "، ويضيف قائلاً وذلك بعد زوال الشيوعية، ومعاداتها العنيفة

للرأسمالية. وإذا وضعنا في اعتبارنا فكرة بنيامين عن الفاشية التي تعتلي مكان الثورة الفاشلة، فإن " اللب العقلي " لمثل هذه الانقلابات يمكن أن يقبله الماركسيون على نحو يسير. ومع ذلك، يفترض أنه من الخطأ كليةً أن يسحبنا هذا الاستنتاج إلى أن أقصى ما في إمكان الحزب اليساري المعارض القيام به هو الأمل في أن تغدو الأزمة محدودة، وأن الرأسمالية ستستمر في أن تكفل وتضمن مستوى عالٍ نسبيًا من المعيشة لعدد متزايد من الناس - فسياسة راديكالية غريبة أملها الرئيس هو أن الظروف ستستمر، تصير سياسة عديمة الفائدة وهامشية وهذا يبدو أنه استنتاج صوره بعض اليساريين مثل موش بوستون Moishe Postone وزملاؤه : طالما أن كل أزمة تفسح مكانًا للحزب اليساري الراديكالي فإنها تتيح للنزعة المضادة للسامية، بالإضافة إلى ذلك، أن تخرج إلى حيز الوجود؛ فإنه من الأفضل لنا أن نساند الرأسمالية الناجحة وتدعمها ونأمل في عدم وجود أزمة. وإذا تناولنا استنتاجه المنطقي، فإن هذا التعقل للأمر يعني - في النهاية - أن النزعة المضادة للرأسمالية تكون شأنها شأن النزعة المضادة للسامية. ولكن، في مقابل هذا التعقل يجب على المرء أن يقرأ شعار باديو " الكارثة أفضل من اللاوجود " : إذ يجب على المرء أن يأخذ مخاطرة الإخلاص لحادث ما، حتى لو كان الحادث سينتهي إلى " كارثة مظلمة ". إن " أفضل مؤشِّر على افتقار الحزب اليساري للثقة في ذاته هو خوفه من الأزمة، كمثل خوف الحزب اليساري على مكانته المريحة بوصفه صوتًا ناقدًا اكتمل تمامًا داخل النظام، وليس مستعدًا للمخاطرة بأي شيء. الذي يكون ملائمًا - لذلك - في الوقت الراهن، أكثر من أي وقت مضى، شعار ماوتسي تونج Mao Zedong القديم : "حينما يكون كل شيء تحت السماء في حالة فوضى تامة، فالموقف يكون ممتازًا ".

إن اليساري الحقيقي يتناول الأزمة بجدية، وبدون أوهام، ولكن بوصفها شيئًا محتمًا لامفر منه، بوصفها فرصةً لتستثمر وتُستغل تمامًا. إن البصيرة الرئيسة للحزب اليساري الراديكالي هي أنه برغم أن الأزمات تكون مؤلمة وخطيرة فإنها حتمية، فإنها الحقل الذي يجب أن تقام الصراعات عليه وتنتصر. إن الاختلاف بين الليبرالية والحزب اليساري الراديكالي هو أنه، رغم أنهما يشيران إلى العناصر الثلاثة نفسها (المركز الليبرالي، والحق الشعبي، والحزب اليساري الراديكالي)، إلا أنهما يموضعوهما في طوبولوجيا مختلفة جذريًا : فبالنسبة للمركز الليبرالي، أن الحزب اليساري الراديكالي والحق الشعبي هما شكلان للتجاوز " الديكتاتوري " نفسه، بينما بالنسبة للحزب اليساري، الخيار الحقيقي الوحيد هو أحد الخيارات فيما بين ذاته والاتجاه الليبرالي السائد، لا يمثل وجود الحق " الراديكالي " الشعبي شيئًا إلا علامة على قصور وعجز الليبرالية في التعامل مع

التهديد اليساري. فعندما نسمع في الوقت الراهن سياسي أو إيديولوجي يعرض علينا اختيارًا فيما بين الحرية الليبرالية والاضطهاد التعصبي، ويطرح منتصرًا التساؤلات (بأسلوب بلاغي على نحو خالص) من قبيل " هل تريد أن تستبعد المرأة من الحياة العامة وحرمانها من حقوقها الرئيسة الأوّلية ؟ هل تريد أن يعاقب كل ناقد للدين وساخر منه بالموت ؟ " فما ينبغي أن يجعلنا مرتابين هو الإجابة الجوهرية البديهية والواضحة بذاتها، من الذي قد يريد ذلك ؟ المشكلة هي أن عالمية ليبرالية بسيطة كهذه فقدت منذ فترة طويلة مضت براءتها. وهذا يبين لِمَ - بالنسبة لليساري الحقيقي - الصراع بين السماح والإجازة الليبرالية والتعصب يكون في نهاية الأمر صراعًا زائفًا - دورة فاسدة، يولد فيها القطبان المتقابلان ويفترض مقدمًا كلٌ منهما الآخر. وعند هذا الحد ينبغي على المرء أن يخطو خطوة هيجلية للوراء، ويتساءل عن المعيار الحقيقي والجوهري الذي يظهر من خلاله التعصب كليةً في رعبه. فالليبراليون قد فقدوا منذ فترة طويلة مضت حقهم في الحكم. قد قال هوركهايمر Horkheimer في يوم ما أنه ينبغي أيضًا أن ينطبق ذلك على التعصب في الوقت الراهن : طالما أن أولئك الذين لا يريدوا أن يتحدثوا (نقديًا) عن الديمقراطية الليبرالية ومبادئها الشهيرة البارزة ينبغي، بالإضافة إلى ذلك، أن يلتزموا الصمت بشأن التعصب الديني. و، حتى على نحو أكثر وضوحًا وتحديدًا، ينبغي على المرء أن يؤكد بشدة على أن الصراع بين دولة إسرائيل والعرب هو صراعٌ زائفٌ : حتى لو كنا جميعًا سوف نُباد ونُهلك بسببه، إنه الصراع الذي يخفي فحسب القضايا والمسائل الحقيقية.

كيف نفهم هذا القلب والتحول من دفع تحرري إلى الحزب الشعبي المتعصب؟ ففي الماركسية الأصيلة، لا يعد التكتل والشمول مفهوم مثالي، ولكنه مفهوم حاسم نقدي - أن تموضع ظاهرة في تكتلها وشمولها لا يعني أن ترى الانسجام والتوافق الخفي للكل، ولكن يعني أن تستوعبها في داخل نظام بكل " علاماته " - تتناقض وتنقلب - بوصفها أجزءًا كاملةً. ومن ثم، يشكل بهذا المعنى كلٌ من الليبرالية والتعصب " تكتلاً وشمولاً " ؛ لأن تقابلهما يكون مؤسسًا ولذلك فالليبرالية نفسها تولد ما يقابلهما. أين ينتصب - إذن - لب قيم الليبرالية - كالحرية، والمساواة، إلخ؟ التناقض هو أن الليبرالية نفسها ليست قوية بدرجة كافية لتحمي لب قيمها الخاصة من الهجوم المتعصب. فمشكلتها هي أنها لا تستطيع أن تواصل السير والتقدم بذاتها : هناك شيئًا ما مفقودًا في الصرح الليبرالي. الليبرالية تكون - في مفهومها الحقيقي والجوهري - " طفيلية "، وتعتمد كما تفعل على الشبكة المفترضة مسبقًا للقيم المشتركة التي تقوض مسار

تطورها الخاص. أما التعصب فهو تصور- تصور غامض، زائف بالطبع - ضد صدع حقيقي وواقعي في داخل الليبرالية، وهذا يبين لِمَ يتولد التعصب، مرارًا وتكرارًا، من الليبرالية. فبالعودة إلى الحزب اليساري نفسه - فإن الليبرالية سوف تقوض ذاتها ببطء - والشيء الوحيد الذي يمكن أن يحمي لبها هو الحزب اليساري الذي أعيد إنعاشه من جديد. أو، لنعبر عن ذلك الأمر في الحدود المعروفة جيدًا لعام ١٩٦٨، سوف تحتاج الليبرالية لبقاء جوهر تراثها حيًا إلى المساندة الأخوية من الحزب اليساري الراديكالي.

الشيوعية، مرة أخرى !

في الرأسمالية العالمية المعاصرة، قد بلغ التطبيع الإيديولوجي إلى مستوى جديد لم نجد له مثيل من قبل : فقلة قليلة من البشر هم أولئك الذين يجرؤن على أن يحلموا بالأحلام اليوتوبية عن التحولات والتغيرات الممكنة. قليل من الأنظمة الشيوعية الباقية الواحدة تلي الأخرى تُعيد - ابتكار ذاتها من جديد بوصفها الحامي والمدافع الفاشستي، على نحو أكثر دينامية وفعالية وتأثير - عن " رأسمالية جديدة بقيم أسيوية ". بمنأى عن إثبات أن عصر اليوتوبيا الإيديولوجي يتوارى خلفنا، فهذه الهيمنة المسلم بها للرأسمالية يساندها - بشكل ملائم - اللب والجوهر اليوتوبيي للإيديولوجيا الرأسمالية. يوتوبيا العوالم المتناوبة المتغيرة قد طهرتها اليوتوبيا المهيمنة، وتنكرت بذاتها بوصفها واقعية براجماتية. فهذا لا يعد فحسب مجرد حلم محافظ لاستعادة تمثل الماضي قبل الخريف، أو صورة مستقبل مشرق بوصفها سلب العالمية الحاضرة لعقبتها المؤسسة، فهذه تعد يوتوبية، لا تقل يوتوبية من الفكرة البراجماتية - الليبرالية التي بإمكان المرء من خلالها أن يحل المشكلات تدريجيًا، واحدة تلي الأخرى ("فالناس تموت حاليًا في رواندا Rwanda ؛ ولذا دعنا ننسى الصراع ضد الإمبريالي، وهيا بنا نمنع فحسب المذبحة والمجزرة "، أو " يجب على المرء أن يصارع الفقر والعرقية هنا وعلى الفور، ولا ينتظر انهيار النظام الرأسمالي العالمي"). كَتَبَ جون كابيتو John Caputo مؤخرًا :

إنني سأكون سعيدًا تمامًا إذا كان السياسيون اليساريون في الولايات المتحدة قادرين لأقصى حد على إصلاح النظام عن طريق التهيئة للعناية والرعاية الصحية العالمية من خلال إعادة التوزيع بشكل فعال ومؤثر للثراء على نحو أكثر عدلاً عن طريق قانون مصلحة الضرائب الجديد المنقح أو المعدل، من خلال التقييد بشكل فعال ومؤثر لحملة التمويل، وبمنح كل المصوتين حق الاقتراع، ومعاملة العمال المهاجرين بشكل إنساني، والتأثير في السياسة الاجنبية التعددية التي سوف تدمج القوة الأمريكية في المجتمع

العالمي، إلخ، والتدخل في الرأسمالية عن طريق جدية السبل والبلوغ لأقصى درجة من الإصلاحات، وإذا شكى باديو جيجك بعد القيام بكل ذلك من وحشٍ ما يُسمى الرأسمال الذي مازال يطاردنا، فأنا سوف أكون ميالاً إلى أن أرحب بذلك الوحش بضجرٍ [55].

لا تتمثل المشكلة هنا في استنتاج كابيتو بأنه إذا كان بإمكان المرء أن يحقق كل ذلك[أي ما نوهنا إليه من قبل] داخل الرأسمالية، فلماذا لا يبقى داخل هذا النظام؟ وإنما تكمن المشكلة في الوعد " اليوتوبيي " بأنه بالإمكان تحقيق كل ذلك داخل احْداثِّيات الرأسمالية العالمية. ماذا لو أن أوجه القصور الخاصة بالرأسمالية التي أحصاها كابيتو ليست مجرد إضطرابات عرضية طارئة عليها على نحو خالص ؛ وإنما هي بالأحرى في صميم بنيتها بشكل ضروري؟ وماذا لو كان حلم كابيتو هو مجرد حلم بالعالمية (حلم بالنظام الرأسمالي العالمي) بدون علاماتها، بدون أي رؤى نقدية تفصح فيها "حقيقتها المكبوتة" عن ذاتها ؟

هذا التحديد بشأن النزعة الإصلاحية التدريجية يقودنا، بالإضافة إلى ذلك، نحو حدود الكلبية السياسية. هناك شيئًا واحدًا بشأن هنري كيسنجر Henry Kissinger - أي بشأن السياسة الكلبية الرئيسة المتعلقة بمصلحة الوطن – ليس بإمكانه إلا الإطاحة بكل الملاحظات: بمعنى أن هذا الشيئ يمكنه إيضاح إلى أي مدى قد كانت كل إثباتاته خاطئة تمامًا. فعلى سبيل المثال، عندما وصلت الأخبار للغرب عن انقلاب الجيش ضد – جورباتشوف Gorbachev في عام ١٩٩١، قبل كيسينجر على الفور الحكم الجديد (الذي انهار بشكل مُخْزٍ بعد ثلاثة أيام) بوصفه حقيقة أو أمر واقع – أو بإيجاز، عندما كانت الحكومات الاشتراكية – بالفعل - في حالة موت حية، فإنه قد استند إلى الاتفاق معها لمدة طويلة. فما يكشف عنه، على نحو دقيق، هذا المثال هو حدود التوجه الكلبي : فالكلبيون هم اللا- مخدعون الذين ضلوا، فما أخفقوا في إدراكه هو الفاعلية والتأثير الرمزي للاوهام، وإدراك الطريق الذي ينظمونه بنشاط بحيث يولد الواقع الاشتراكي. فمكانة الكلبية شأنها شأن مكانة الحكمة المشهورة - إذ يخبرك الكلبي النموذجي شخصيًا، بصوت مكبوت موثوق فيه : " لكن ألم تُدركه ؟ إنه كل ما يتعلق بالتأكيد (بالمال، وبالقوة، وبالجنس)، فكل المبادئ والقيم العليا هي مجرد عبارات فارغة، وتعد لغوًا باطلاً وكلامًا بلا معنى، يحصى للاشيء ؟ " وبهذا المعنى، يعتقد الفلاسفة بشكل فعال ومؤثر في قوة الأفكار"، فهم يعتقدون أن " الأفكار تحكم العالم

---

[55] John Caputo and Gianni Vattimo , *After the Death of God* , New York : Columbia University Press 2007 , *PP*. 124- 5.

وتهيمن عليه "، وقد ثبت على الكلبيين تمامًا الاتهام الموجهه إليهم بارتكاب هذه الخطيئة. ومع ذلك، ما لم يدركه الكلبيون هو ساذجتهم وبساطتهم الخاصة. في حين أن الفلاسفة الواقعيين الحقيقيين : هم على وعي حسن بأن المكانة الكلبية مستحيلة ومتضاربة، طالما أن الكلبيين يتبعون بشكل فعال ومؤثر المبادئ التي يسخرون منها علانية. فإن كان ستالين Stalin كلبيًا أكثر من أي شخص آخر رأيناه من قبل – لكنه كان يعتقد، على نحو دقيق، كذلك في الشيوعية بإخلاص.

وبالطبع، بعد شجب " الأوجه المألوفة " للنزعة اليوتوبية جميعها قد حان الوقت – إذن – للتركيز على اليوتوبيا الليبرالية ذاتها. وهذا يبين كيف ينبغي على المرء أن يُجيب على أولئك الذين ينبذون أية محاولة لطرح السؤال على متعصبي النظام الرأسمالي – الديمقراطي – الليبرالي بوصفهم يمثلون في حد ذاتهم وجودًا يوتوبيًا على نحو خطير : فما نواجهه في الأزمة الراهنة هو نتائج وثمار اللب والجوهر اليوتوبيي لهذا النظام ذاته. بينما تُقدم الليبرالية ذاتها بوصفها تجسيدًا للنزعة المضادة لليوتوبيا، وبوصفها انتصارًا لليبرالية الجديدة كعلامة على أننا قد خلفنا وراءنا مسؤولية المشاريع اليوتوبية لمظاهر الرعب الديكتاتوري في القرن العشرين، فلقد أصبح من الواضح حاليًا أن الحقبة اليوتوبية الحقيقية كانت حقبة كلينتون السعيدة في التسعينيات، باعتقادها بأننا قد بلغنا " نهاية التاريخ "، وأن الإنسانية قد عثرت في نهاية الأمر على صياغة لأفضل نظام اقتصادي اجتماعي. ولكن، خبرة العقود المتأخرة تُظهر وتعرض بوضوح أن السوق ليس آلية حميدة غير خطرة، الذي يعمل على أفضل نحو حينما يُترك لإرادته الخاصة – إذ يتطلب تعامل حسن مع تطرف عنف السوق لتأسيس أسباب ومحددات فاعليته والمحافظة عليها.

إن الأزمة المالية العالمية المستمرة تُظهر مدى صعوبة أن تفسد البنية التحتية السميكة للوعود اليوتوبية التي تحدد أفعالنا. كما عبر آلان باديو عن ذلك على نحو متقن بقوله :

إن المواطن العادي يجب أن " يفهم " أنه من المستحيل أن يكمل النقص في الأمن الاجتماعي، ولكن هل يكون ذلك أمرًا حاسمًا في أن يسد بلايين من فجوات البنوك المالية التي لا تعد ولا تحصى ؟ إننا يجب أن نقبل بحزن شديد بأنه لا يوجد شخص يتخيل بأية حال أنه بالإمكان تطبيع وتعميم حال مصنع مولع بالمنافسة، مصنعًا يوظف آلاف من العمال [بمعنى أن اعتبر ذلك أمرًا طبيعيًا بين المصانع] ؛ وإنما ألا يكون واضحًا بأنه يمكن

القيام بهذا الأمر [أي حالة التطبيع والتعميم] في حالة بنك صار مُفلسًا بسبب المضاربات المالية؟[٥٦]

ينبغي على المرء أن يعمم من خلال هذه العبارة : رغم أننا ندرك دومًا الضرورة المُلحة للمشكلات، عندما كنا نصارع الإيدز، والجوع، ونقص المياه، والاحتباس الحراري، وإلخ، بدا دائمًا أنه قد حان الوقت لنتأمل القرارات المرجأة.(لنستدعي في هذا الصدد كون الاستنتاج الرئيس لأخر اجتماع لقادة العالم في بالي Bali – انهمر بوصفه نجاحًا – هو أنهم سوف يجتمعون مرة أخرى في خلال سنتين لاستكمال حواراتهم). ولكن، مع الأزمة المالية العالمية كانت الضرورة المُلحة للقيام بالفعل غير مشروطة ؛ إذ وجب العثور على نحو مباشر على المبالغ الضخمة غير المتصورة. وحماية الجنس البشري المعرض للخطر، وحماية الكوكب من الاحتباس الحراري، وحماية مرضى الإيدز وأولئك الذين يحتضرون بسبب نقص الموارد المالية للمعاملات الضخمة، وحماية الأطفال الذين يموتون جوعًا، كل هذا يمكن أن ينتظر ويؤجل قليلاً. في حين أن النداء والمطالبة "بحماية البنوك !" - على العكس من ذلك - هو أمرٌ مُلحٌ وضروري وغير مشروط، والذي يجب أن يقابل بالفعل المباشر. إن الذعر والخوف كان مطلق للغاية طالما أن الوحدة التي تجتاز الحدود القومية واللا- منحازة كانت مؤسسة على نحو مباشر، كل الشكاوي بين قادة العالم هي وجود لحظة النسيان لتجنب الكارثة. ولكن، ما يعنيه الاقتراب "الحزبي - المزدوج" المُثنى عليه كثيرًا بشكل فعال ومؤثر هو أنه حتى البروتوكولات الديمقراطية كانت في الواقع مُرجأة ومُعلقة مؤقتًا : ليس هناك وقتًا للانخراط في المنافسة الملائمة، وأولئك الذين عارضوا الخطة المطروحة في الكونجرس بالولايات المتحدة الأمريكية سرعان ما وافقوا على رأي الأغلبية. وسرعان ما اتفق بوش، وماكين McCain، وأوباما معًا، في تفسيرهم بأن رجال وسيدات الكونجرس لا يملكوا – ببساطة - وقتًا ليتناقشوا فيما بينهم، فإننا في حالة طوارئ، والأشياء ببساطة كان يجب أن تُنجز بسرعة، ودعنا لا ننسى أيضًا أن أموال طائلة كانت لا تنفق على مشكلات حقيقية أو "واقعية"؛ وإنما كانت تنفق أساسًا لتجديد وإنعاش الثقة في الأسواق، أي ببساطة تنفق لتغير اعتقادات الناس !

هل نحتاج برهان أكثر من أن الرأسمال هو واقع حياتنا، واقع له متطلبات ضرورية تعد مطلقة على نحو يفوق حتى أكثر متطلبات واقعنا الطبيعي والاجتماعي

---

[٥٦] Alain Badiou , " De quel réel cette crise est – elle le spectacle? *Le monde* , October 17,2008.

إلحاحًا؟ أنه كان جوزيف برودسكي Joseph Brodsky الذي أعد حلاً مناسبًا للكشف عن " العنصر الخامس " الغامض، العنصر الجوهري لواقعنا : " بجانب الهواء، والأرض، والماء، والنار، يعد المال هو القوة الطبيعية الخامسة، ويجب على الوجود الإنساني غالبًا أن يعده ويحصيه معهم"[٥٧]. وإذا كان لدى شخص ما أي شكوك في هذا الأمر، فإن نظرة سريعة على الأزمة المالية العالمية التي حدثت مؤخرًا يجب أن تكون كافية تمامًا لتبديدها.

بقرب نهاية عام ٢٠٠٨، قد عممت مجموعة تيارات بحثية لدراسة السل الوبائي المنتشر بشكل متكرر في أوروبا الشرقية في عقود قليلة مضت نتائجها الرئيسة. بحيث حللت البيانات والمعلومات من خلال الدراسة والبحث على أكثر من ٢٠ دولة ؛ إذ أقام الباحثون من جامعة كمبردج Cambridge وييل Yale علاقة وثيقة وارتباطًا واضحًا بين قروض تلك الدول من صندوق النقد الدولي وبين الظهور المفاجئ في يوم ما لحالات السل - إذ بمجرد أن توقفت القروض، فإن السل الوبائي تقلص وتراجع. إن تفسير وشرح هذا الارتباط العجيب والغريب بوضوح يكون - على نحو يسير - على النحو التالي : إن شرط الحصول على قرض من صندوق النقد الدولي هو أن الدولة المقترضة يجب أن تقدم " نظام مالي "، إلخ، وتقلل من النفقات العامة، بحيث تصبح الضحية الأولى للمعايير المخصصة لإعادة تأسيس " الصحة المالية " هي الصحة نفسها، أو بتعبير آخر، أن الضحية الأولى هي النفقات على تلك الخدمات الصحية العامة. فالمكان ينفتح - إذن - للإنسانيات الغربية كي تنعي حالة الكارثة التي أصابت الخدمات الطبية في تلك الدول وأن تقدم المساعدة في شكل الإحسان.

قد جعلت الأزمة المالية العالمية من المستحيل أن نتجاهل اللاعقلية الصارخة للرأسمالية العالمية. بالمقارنة بين ٧٠٠ بليون دولار صرفتها الولايات المتحدة وحدها لترسيخ وتثبيت النظام البنكي، وبين حقيقة أن ٢٢ بليون دولار قد تعهدت بها الشعوب الثرية لتسهم في تطوير الزراعة لدى الشعوب الأفقر لمواجهة أزمة الطعام الراهنة، في حين أن ٢,٢ بليون دولار فحسب هو المتاح حتى الآن. ولا يمكن توجيه اللوم في حدوث أزمة الطعام إلى الشكوك المألوفة، من قبيل الفساد، واللاكفاءة وحالة سياسة التدخل في شؤون دول العالم الثالث، على العكس من ذلك، ترتكز الأزمة على نحو مباشر على النزعة العالمية في الزراعة، فقد أوضح بيل كلينتون بشكل لا مثيل له من قبل في

[٥٧] Joseph Brodsky , ***Less Than One*** : ***Selected Essays***, New York : Farrar Straus and Giroux 1986, ***P***.157.

تعليقاته على الأزمة في أثناء اجتماع الأمم المتحدة في يوم الطعام العالمي، تحت عنوان ذو صيغة دلالية : " عصفنا بها " تجاه الطعام العالمي "[58] كان المغزى في خطاب كلينتون هو أن الأزمة المعاصرة تُظهر كيف " لقد عصفنا كلنا بها، بمن فيهم أنا حينما كنت رئيسًا "، عن طريق التعامل مع محاصيل الطعام بوصفها سلعًا وبضائعًا بدلاً من كونها - بوضوح - موارد حيوية للعالم الفقير. كان كلينتون واضحًا للغاية حينما لم يوجه اللوم إلى الدول أو الحكومات الفردية ؛ وإنما وجهه إلى تلك السياسات الغربية التي فرضتها الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الأوروبي على المدى الطويل، وطبقها البنك الدولي، وصندوق النقد الدولي، وسائر المؤسسات العالمية الأخرى لعدة عقود. حيث ضغطت تلك السياسات على الدول الأفريقية والأسيوية بتقديم المعونات المالية للحكومات، التي تعاني حالة الانهيار بسبب توفير السماد وتحسين البذور وسائر المعونات والمدخلات الأخرى المتعلقة بالزراعة، وهكذا تفتح الطريق وتمهده لأفضل أرض تستخدم لتصدير المحاصيل الزراعية وبذلك تدمر قدرة تلك الدول على الاكتفاء - الذاتي في إنتاج الطعام. إن نتيجة مثل هذه " الإصلاحات البنائية " كانت هي اندماج الزراعة المحلية في الاقتصاد العالمي : مثلما قد تم تصدير كثيراً من المحاصيل المحلية، بحيث كان يجب على تلك الدول أن تعتمد بشكل متزايد على الطعام المستورد، بينما الفلاحون في الأحياء الفقيرة يتخلون مجبرين عن أرضهم، بحيث كان العمل الوحيد المتاح لهم هو العمل في مؤسسات صناعية صغيرة* مجهولة المصدر. وبهذا الأسلوب، بقيت عدة دول فيما بعد الاستعمارية في حالة التبعية وأصبحت بشكل متزايد عرضة للتأثر بتقلبات السوق - فإن سهم أسعار الحبوب في سنوات قليلة مضت (حدثت، بالإضافة إلى ذلك، بسبب استخدام المحاصيل في الوقود الحيوي بدلاً من الطعام) قد تسببت بالفعل في حالة مجاعة في تلك الدول من هايتي Haiti إلى اثيبيا Ethiopia.

في السنوات المتأخرة، قد أصبحت مثل هذه الخطط أكثر نسقية ومنهاجية وقد أمتدت على مرمى النظر : إن النقابات العالمية والحكومات الرئيسة تنظر حاليًا في أن تعوض حالة نقص الأرض الصالحة للزراعة في بلادهم الخاصة عن طريق رفع نسبة

---

[58] As reported by Associated Press on October 23, 2008.

* sweat shop : هي مؤسسة صناعية صغيرة تستخدم العمال بأجور منخفضة وأحوال غير صحية. (المترجم).

العمالة من الفلاحين بالخارج[٥٩]. فعلى سبيل المثال، في نوفمبر عام ٢٠٠٨، أعلنت شركة دايو اللوجيستية Daewoo Logistics في كوريا الجنوبية بأنها قد تفاوضت على عقد إيجار لـ ٣,٢ مليون طن من الأراضي الزراعية بمدغشقر لمدة ٩٩ سنة، والتي تبلغ حوالي نصف أرضها الصالحة للزراعة. إذ تخطط دايو أن تجعل حوالي ثلاثة أرباع هذه الأراضي مخصصة لزراعة الحبوب، أما بقية الأرض فتُستخدم لإنتاج زيت النخيل، تلك السلعة الرئيسة في سوق الوقود الحيوي العالمي. ولكن، يعد هذا مجرد قمة الجبل الجليدي : فقد أوقفت عديد من الشركات الأوروبية على مدار السنتين الماضيتين عملية تأجير الأرض؛ كي تزرع المحاصيل لتوفير الطعام والوقود الحيوي من قبيل الشركة البريطانية " شمس ***Sun*** " للوقود الحيوي، التي تزرع محاصيل الوقود الحيوي في اثيبيا، وموزنبيق Mozambique، وتانزنيا Tanzania. وحتى أرض أفريقيا الخصبة والمثمرة قد أُجبرت ولجأت، بالإضافة إلى ذلك، إلى دول الخليج الفارسي Perian Gulf الغنية بالبترول، والتي تمتلك صحاري فسيحة لتستورد منها معظم طعامها. ورغم أن مثل هذه الدول الثرية يمكنها على نحو يسير أن تدفع لإستيراد الطعام ؛ إلا أن الاضطراب والضجة بشأن أسواق الطعام العالمية قد زادت وحدها من حافزها لتأمين وحماية مصادر وأصول مخزونهم الاحتياطي من الطعام.

فما هو الحافز - إذن - على الجانب الآخر، بالنسبة لتلك الدول الأفريقية التي تنتشر فيها المجاعة، والتي يفتقر فيها الفلاحون إلى الأدوات الرئيسة، والسماد، والوقود وتحتاج إلى تحفيز البنية التحتية لزراعة المحاصيل بشكل مؤثر وفعال وتوصيلها إلى السوق ؟ يزعم ممثلي شركة دايو بأن تعاملهم سوف يُثمر وينفع في مدغشقر : إذ لا يقتصر الأمر على مجرد أنها استأجرت أرض غير مستخدمة حاليًا فحسب ؛ ولكن إن كانت دايو تخطط لتصدير محصول الأرض فإنها تخطط، بالإضافة إلى ذلك، إلى استثمار حوالي ٦ بليون دولار على مدى العشرين سنة القادمة لبناء الممرات الملاحية، والطرق، وزراعة نباتات - الطاقة ومتابعة أنظمة الري الضرورية لمساندة أعمالهم الزراعية هناك، بحيث سيؤدي هذا الأمر إلى توفير آلاف الوظائف للعاطلين بمدغشقر. والوظائف سوف تساعد الناس في مدغشقر أن تُجني مالاً لشراء طعامها الخاص - حتى إذا كان مستوردًا[٦٠].

---

[٥٩] انظر : Vivienne Walt, " The breadbasket of South Korea : Madagascar," ***Time*** , November 23, 2008.

[٦٠] Ibid.

إن دائرة التبعية فيما بعد الاستعمارية تنغلق - هكذا - مرة أخرى، والتبعية - في الطعام سوف تتفاقم وحدها.

ألا نقترب تدريجيًا من حالة عالمية ستصير فيها الندرة المحتملة للموارد الثلاثة المادية الرئيسة (البترول، والماء، والطعام) عاملاً مقيدًا بالسياسات العالمية ؟ ألا يمثل نقص الطعام - الذي أصبح بذاته واضحًا (مثلما هو الحال الآن) في الأزمات المتفرقة هنا وهناك - أحد علامات سفر الرؤيا الوشيكة ؟ بينما حدوثها يقيده تمامًا تعدد العوامل (ذلك المطلب المُلح والمتزايد في الدول المتطورة بسرعة كمثل الهند والصين China - تلك التي تعاني من عجز في المحاصيل الزراعية الناجم عن الاضطرابات البيئية - إلى استخدام الأجزاء الواسعة من الأراضي الخصبة والاستفادة منها في دول العالم الثالث لتصدير المنتجات، وبالإضافة إلى ذلك، الحاجة إلى السوق الذي قوّض وحظر استخدام الحبوب لأغراض أخرى من قبيل الوقود الحيوي)، يبدو واضحًا أن هذا الأمر لا يعد مجرد مسألة قصيرة الأجل بحيث يمكن تجاوزها بسرعة عن طريق تنظيم السوق المناسب، ولكنها بالأحرى هي علامة على مشكلة طويلة الأجل من المستحيل أن تحل بأساليب اقتصاد السوق. بعض المدافعين عن نظام العالم الجديد يوضحون أن نقص الطعام هو في حد ذاته مؤشرٌ على التقدم المادي، طالما أن الناس في دول العالم الثالث المتطورة بسرعة يكسب أكثر ؛ ولذلك يمكنه أن ينفق ليأكل أكثر. والمشكلة برغم ذلك هي أن هذا المطلب الجديد للطعام يدفع بالملايين من البشر تجاه الموت جوعًا في تلك الدول التي تفتقر لمثل هذا النمو الاقتصادي السريع.

ألا ينطبق الشيء نفسه على قوة الأزمة الوشيكة، وعلى العجز الظاهر للعيان للمخزون الاحتياطي من الماء ؟ للاقتراب من تلك المشكلات على نحو كافٍ وملائم، سيكون من الضروري أن نبتكر أشكال جديدة من الفعل الجماعي على نطاق واسع؛ فليست الأشكال الرئيسة لحالة التدخل ولا الأشكال المحبذة للتنظيم - الذاتي المحلي سوف تكون مهيأة ومستعدة للقيام بهذه المهمة. إذا لا تحل مثل هذه المشكلات بأسلوب أو بآخر، سيكون السيناريو غالبًا هو عصر جديد من التفرقة العنصرية الذي فيه أجزاء منعزلة عن العالم تتمتع بوفرة الطعام، والماء والطاقة تكون منفصلة عن "خارج" مشوش يتميز بالفوضى والتشتت، والمجاعة والحرب المستمرة. فماذا ينبغي على الناس في هايتي وسائر المناطق الأخرى التي أصابتها آفة نقص الطعام القيام به؟ ألا يملكون حق كامل في إقامة الثورة العنيفة ؟ الشيوعية توشك مرة أخرى على الأبواب.

فلقد كان كلينتون محقًّا في قوله إن " الطعام ليس سلعة كمثل سائر السلع والبضائع الأخرى. إننا ينبغي أن نرتد إلى سياسة الاكتفاء - الذاتي للحد الأعلى للطعام. فمن الجنون بالنسبة لنا أن نعتقد أننا يمكننا أن نطور الدول الموجودة حول العالم بدون أن نُزيد من قدرتهم على إطعام ذاتهم ". ومع ذلك، هناك على الأقل نقطتين يمكن إضافتهما في هذا الصدد. الأولى، إنه كما لاحظنا في فترة مبكرة مع الوضع في الاعتبار حالة مالي، حيث فُرِضَ الطابع العالمي للزراعة على دول العالم الثالث، واهتمام الدول الغربية المتطورة الكبير بالحفاظ على اكتفاءها - الذاتي من الطعام عن طريق تقديم الدعم المادي لمزارعيهم، إلخ (لنستدعي أن الدعم المادي للمزارعين يُقدر بحوالي أكثر من نصف ميزانية الاتحاد الأوروبي الكاملة - فالغرب ذاته لم يتنحٍ عن "سياسة الاكتفاء - الذاتي للحد الأعلى للطعام!) أما النقطة الثانية فهي، إنه ينبغيً على المرء أن يلاحظ أن قائمة المنتجات والخدمات - كالطعام مثلاً - التي " ليست شأنها شأن السلع والبضائع الأخرى " تمتد أبعد بكثير، بحيث لا تنطوي فحسب على الدفاع عن - الطعام وحده - (على نحو ما يُدرك ويعي " المواطنون " جميعًا) ؛ وإنما تتعدى ذلك لتشمل الماء، والطاقة، والبيئة بكل ما تتضمنه من الثقافة، والتعليم، والصحة فمن الذي يقرر هذه الأولويات والاسبقيات هنا، وكيف سيكون الحال، إذا كان غير ممكنًا أن تُترك مثل هذه القرارات للسوق ؟ إنه هنا سؤال الشيوعية الذي يجب أن يخرج إلى حيز الوجود مرة أخرى من جديد.

****

الفصل الثاني

الفرض الشيوعي

المشتملات والتضمينات الجديدة للعامة :

بعد الانتصار في الحرب الأهلية ضد جميع المجموعات غير المتجانسة* في عام ١٩٢٢، كان يجب على البلاشفة أن ينسحبوا من " السياسة الاقتصادية الجديدة "، التي أتاحت مجال للنظر في اقتصاد السوق والملكية الخاصة على نحو أكثر رحابة. وعقب هذا الانتصار كَتَبَ لينين Lenin نصًا موجزًا بعنوان " الصعود إلى قمة الجبل العالي ". يستخدم فيه تشبيه المتسلق الذي يجب أن يعود إلى الوادي بعد محاولته الأولى الفاشلة ليصل إلى قمة جبل جديد بوصفه أسلوبًا لوصف ما يعنيه القيام بالانسحاب من العملية الثورية. والسؤال المطروح هو: كيف يأخذ المرء على عاتقه مثل هذا

---

* الحرب الأهلية الروسية في عام ١٩٢٢ : تعتبر الجزء الأخير من الثورة الروسية تميزت بالشراسة والوحشية الشديدة خصوصًا ضد المدنيين مما أدي بحياة ما يقرب من ثلاثة عشر مليون نسمة وتهجير ما يقرب من مليون نسمة هجرة شبه دائمة. وكانت بين الشيوعيين البلاشفة (الجيش الأحمر بقيادة ليون تروتسكي) ومجموعات غير متجانسة من المحافظين الديمقراطيين والشيوعيين المعتدلين والقوميين والروس البيض، كانت فرصة لتدخل العديد من القوى الداخلية والخارجية اليابان، بريطانيا، كندا، فرنسا، إيطاليا، الولايات المتحدة، ألمانيا، أستراليا، اليونان، تشيكوسلوفاكيا مما كان له دور رئيس في الصراع وشدته. (المترجم).

الانسحاب بدون أن ينتهز الفرصة للكشف عن أن السبب في ذلك هو أمانته وإخلاصه ؟ بعد إحصاء كلٌ من إنجازات الولايات السوفيتية وإخفاقاتها، يستدل لينين أنه : " ليس لدى الشيوعيون أوهامًا، ولا يفتحوا مجالاً لليأس، ويحافظون على قوتهم ومرونتهم على أن " يبدأوا من البداية " من جديد باستمرار في ثنايا اقترابهم من مهمة صعبة إلى أقصى حد، فهم ليسوا مهلكون (وفي كل الاحتمالات لن يهلكوا)"[1]. وتعد هذه أفضل إشارات لينين، فهي بمثابة صدى لعبارة ورستوارد هو Worstward Ho التي يصرح فيها قائلاً : " حاول مرة أخرى. أخفق مرة أخرى. فالإخفاق أفضل ". ويأتي استدلال لينين - " بأن نبدأ من جديد باستمرار " - ليكون من الواضح أنه لا يتحدث عن الإبطاء على نحو خالص من التقدم لتحصين ما قد انجزناه وحققناه بالفعل ؛ وإنما يتحدث بشكل جذري عن العودة إلى نقطة البداية :إذ ينبغي على المرء أن " يبدأ من البداية "، وليس من القمة التي ربما قد بلغها بنجاح في سعيه السابق.

في الحدود الكيركيجاردية، لا ينطوي تقدم ثوري على تقدم تدريجي ؛ وإنما يتضمن حركة تكرارية، حركة تكرار البداية مرة أخرى من جديد. وهذا هو، على نحو دقيق، حالنا أو ما نجد عليه أنفسنا حاليًا، بعد " الكارثة المظلمة " في عام ١٩٨٩، عقب النهاية الحاسمة للحقبة التي بدأت بثورة أكتوبر. ولذلك، ينبغي على المرء أن يرفض أي معنى لبقاء ما كان يعنيه الحزب اليساري باستمرار في آخر قرنين. وبرغم كل اللحظات السامية من ذروة إثارة الثورة الفرنسية وثورة أكتوبر فإنهما سيبقيان وسيظلان للأبد جزءًا جوهريًا من ذكراتنا، إلا أنه يجب تجاوز الإطار العام، فكل شيء ينبغي أن يُعاد التفكير فيه، وأن نبدأ من نقطة الصفر. هذه البداية هي - بالطبع - ما يُسميها باديو "الفرض الشيوعي" :

يبقى الفرض الشيوعي هو الفرض الصحيح - كما قلت - وأنا لا أرى أي فرض آخر. وإذا كان ينبغي أن نتنحى عن هذا الفرض ؛ فإنه لا يستحق - إذن - القيام بأي شيء للفعل الجماعي. بدون منظور الشيوعية، بدون هذه الفكرة، لا شيء في المستقبل السياسي والتاريخي يكون من مثل هذا النوع الذي يثير اهتمام الفيلسوف. إذ بوسع المرء أن يقتفي أثر أعمالهم الخاصة، ولن ننوه إلى ذلك مرة أخرى، لكن، استمرار ودوام الفكرة - أي وجود الفرض، لا يعني أنه الشكل الأول لحضورها المرتكز على السمات المميِّزة لهذه الفكرة ووضعها - يجب أن تُثبت وتُحفظ بالنحو الذي تكون عليه فحسب.

---

[1] V.I. Lenin, " Notes of a Publicist: on ascending a high mountain --- ", in *Collected Works*, Vol.33, Moscow : Progress Publishers 1965,PP.204-11.

ففي الحقيقة، ما نصفه باعتباره مهمةً فلسفيةً - وبالإمكان أن نقول حتى بأنه واجب - هو أن نساعد أسلوب جديد لوجود الفرض أن يصبح حاضرًا في الوجود. حديثًا، في حدود موضوع التجريب السياسي بالإمكان أن يخرج هذا الفرض إلى حيز الوجود."[٢]

ينبغي على المرء أن يكون حذرًا ليس ليقرأ تلك السطور بالأسلوب الكانطي، ويُدرك الشيوعية بوصفها " فكرةً تنظيميةً "، وبذلك ينعش شبح " الاشتراكية الأخلاقية " متناولاً المساواة بوصفها مبدأها - الطبيعي الأوّلي. وإنما ينبغي عليه بالأحرى الاستمرار في الإشارة الدقيقة إلى موضع خصومات اجتماعية واقعية، تولد الاحتياج للشيوعية - إن مفهوم ماركس عن الشيوعية ليس بوصفه مفهوم مثالي ؛ ولكن بوصفه حركةً جاءت كاستجابة لمثل هذه الخصومات، هو مفهوم مازال ملائم ومتعلق تمامًا بالوضع المُشار إليه. ومع ذلك، إذا أدركنا الشيوعية بوصفها " فكرةً خالدةً "، فإن هذا يعني ضمنيًا أن الموقف الذي تُولدها ليس أقل خلودًا منها، وأن الخصومة التي جاءت الشيوعية كاستجابة لها سوف توجد دومًا. وعند هذا الحد، فإن خطوة واحدة قصيرة تجاه قراءة " هدامة " للشيوعية بوصفها حلم الحضور، حلم المحو والإبادة لكل إعادة - حضور مغاير، حلم ينمو استحالته الخاصة ويزدهر. فكيف نكون وما النحو الذي نكون عليه كي نهرب - إذن - من هذه الشكلانية أو الصورية لصياغة الخصومات التي سوف تستمر في توليد الفكرة الشيوعية؟ أين نحن كي نبحث عن هذا الأسلوب الجديد للفكرة ؟

من اليسير أن نهزأ من مفهوم فوكوياما عن " نهاية التاريخ " ولكن معظم الناس حاليًا هم فوكوياماين، يقبلون الرأسمالية الديمقراطية - الليبرالية بوصفها صياغةً مؤسسة في نهاية الأمر لأفضل مجتمع ممكن، في مثل هذا المجتمع كل ما بوسع المرء القيام به هو أن يحاول أن يجعله أكثر عدلاً، وأكثر تسامحًا، وإلخ. وينبثق هنا سؤال بسيط ولكنه سديد تمامًا : إذا كانت الرأسمالية الديمقراطية - الليبرالية تعمل بوضوح على نحو أفضل من الخيارات المعروفة كلها، وإذا كانت الرأسمالية الديمقراطية - الليبرالية - إن لم تكن الأفضل - فهي على الأقل - إذن - الشكل الأقل سُوءًا للمجتمع، فلماذا لا نسلم أنفسنا لها على نحو يسير بأسلوب كامل، حتى نقبلها بإخلاص ؟ لماذا نصر - ضد كل أمل - على فكرة الشيوعية؟ ألا يعد مثل هذا الاصرار حالةً نموذجيةً لنرجسية السبب المفقود ؟ وألا تكمن مثل هذه النرجسية وراء التوجه السائد لليساريين الأكاديميين الذين ينتظرون مُنظرًا ويتوقعونه ليخبرهم بما يقوموا به ؟ - فإنهم يريدون

[٢] Alain Badiou ,*The Meaning of Sarkozy* , London : Verso 2008 , *P*.115.

بلا أمل أن يعهدوا أنفسهم، ولكن ليس لمعرفة كيفية القيام بهذا الأمر بشكل فعال ومؤثر؛ وإنما ينتظرون الإجابة من مُنظر. مثل هذا التوجه يعد - بالطبع - في حد ذاته خاطئ، فإنه كما لو كان نظرية سوف تجهز الصياغة السحرية، القادرة على حل الفشل العملي. فإن الإجابة الوحيدة الصائبة هنا هي أنه لو أنك لا تعرف بالتأكيد ما الذي تقوم به، فلن يستطيع أي شخص أن يخبرك بما ينبغي عليك القيام به، والسبب في تلك الحالة مفقودًا على نحو يتعذر علاجه.

هذا الفشل بالكاد يكون أمرًا جديدًا - طالما أن التحديد الدقيق لمشكلة الماركسية الغربية كان هو الافتقار لعامل أو لذات ثورية. فلماذا لا تكمل الطبقة العاملة المسار من " في - ذاتها " إلى " من أجل ذاتها "، وتؤسس نفسها بوصفها عاملاً ثوريًا ؟ هذه المشكلة كانت الدافع الرئيس للتحول على نحو دقيق إلى استدعاء المحللين النفسيين ؛ لتفسير وشرح آليات الليبدو اللاواعية التي كانت تمنع من ظهور طبقة الوعي، والآليات المدرجة في الوجود الحقيقي والجوهري (أو الموقف الاجتماعي) للطبقة العاملة. وبهذا الأسلوب، بالإمكان الاحتفاظ بحقيقة التحليل الاقتصادي - الاجتماعي الماركسي، وليس هناك حاجة لتأسيس النظريات " المعدلة والمنقحة " عن ظهور الطبقات الوسطى. ولهذا السبب نفسه، كانت الماركسية الغربية منخرطة - كذلك - في البحث الدائم عن العوامل الاجتماعية الأخرى التي من الممكن أن تلعب دور الذات الثورية، بوصفها بدائلاً ربما تحل محل الطبقة العاملة المتعسرة من قبيل : الفلاحون، والتلاميذ، والمثقفون، والمستبعدون في العالم الثالث.

إن إخفاق الطبقة العاملة بوصفها " ذاتًا ثوريةً " اللب الحقيقي والجوهري للثورة البلشفية: فمهارة لينين تكمن في قدرته على الكشف عن "الغضب الكامن" في الفلاحين القانطين المحبطين. فلقد اتخذت ثورة أكتوبر مكانًا تحت شعار " الأرض والسلام " - الذي يعد عنوانًا للسواد الأعظم من الفلاحين - متمسكةً باللحظة القصيرة لسخطهم الراديكالي. قد كان يفكر لينين طويلاً بالفعل في تلك الأمور قبل ذلك بعقد، مما يوضح سبب رعبه من مشهد نجاح ستوليبين Stolypin في إصلاحات الأرض ؛ ولذا هدف إلى أن يبدع طبقة جديدة أقوى من الفلاحين المستقلين. حيث كان متأكدًا من أنه إذا نجح ستوليبين ؛ فسوف تضيع فرصة الثورة لعقود.

كل الثورات الاجتماعية الناجحة، من كوبا Cuba إلى يوغوسلافيا Yugoslavia، اتبعت الأسلوب نفسه، ألا وهو التمسك بفرصة محلية في موقف حاسم وضروري، والاشتراك في الرغبة للحرية القومية أو سائر الأشكال الأخرى " للحنق من الرأسمال ".

وبالطبع، إن متحيز لمنطق الهيمنة والسيطرة سوف يشير هنا إلى أن هذا هو المنطق " المألوف " للثورة، وأن " الحشود الناقدة " تبلغ، على نحو دقيق، فحسب خلال سلسلة من التكافؤات من بين الطلبات العديدة، سلسلة تكون دومًا مرتبطة جذريًا بحدث فريد ومحدد، بوضع الظروف ومعتمدة عليه. فلا تحدث ثورة أبدًا عندما تنهار الخصومات جميعها بحيث تنحصر في خصومة واحدة كبيرة ؛ وإنما تحدث فحسب حينما تتحد قوتها وتمتزج معًا. ولكن المشكلة تعد عند هذا الحد أكثر تعقيدًا : إن المغزى لا يكمن في مجرد أن الثورة لم تعد تركب قطار التاريخ، متتبعة قوانينه، طالما أنه لم يعد هناك تاريخ، ومنذ أن أصبح التاريخ عملية تقدم محتملة ومنفتحة. وإنما المشكلة تكون على نحو مختلف. إنها كما لو كان هناك قانون للتاريخ، مسار سائد وواضح بدرجات متفاوتة للتطور التاريخي، ولكن الثورة يمكن أن تحدث فحسب في فتراتها الخاصة " ضد المجرى العام ". يجب على الثوريين أن ينتظروا بتروٍ اللحظة الحاسمة (وعادةً تكون قصيرة للغاية) عندما يعجز فيها النظام أو ينهار صراحة، يجب عليهم أن ينتهزوا الفرصة، وأن يتمسكوا بالقوة – التي ربما في تلك اللحظة تكمن – مثلما يفترض أن تكون، في الشارع – ومن ثم يقوّون تمسكهم بها، ويؤسسون الآلات الكابحة، وهكذا دواليك، ولذلك، في يوم ما تنتهي لحظة الحيرة والارتباك، ويتأهب السواد الأعظم من العقلاء الرزناء للسخط عليهم من قِبل الحكم الجديد، ولكن قد فات أوان قلب الأشياء وعكسها ؛ لأن الثوريين – حاليًا - مُحصنون برسوخ.

إن حالة يوغوسلافيا الشيوعية السابقة تُعد حالة نموذجية هنا : طوال الحرب العالمية الثانية، يقود الشيوعيون المقاومة ضد القوى الألمانية المالكة، وينفردون بأدوارهم في الصراع المضاد للفاشستية عن طريق السعي بنشاط لتحطيم قوى المقاومة ("البورجوازية") البديلة جميعها، بينما في الوقت ذاته نجد إنكارًا لطبيعة صراعهم الشيوعي (أولئك الذين أثاروا الشك في أن الشيوعيين خططوا لاختطاف القوة، وتحريك الثورة في نهاية الحرب سرعان ما أُعلن عن ذلك بوصفه نشرًا لدعاية أو بروباجنده العدو). أما بعد الحرب، في يوم ما فإنهم يقبضون حقًا على القوة الكاملة، فقد تغيرت الأشياء بسرعة والحكم أظهر صراحة طبيعته الشيوعية الحقيقية. الشيوعيون* ، برغم شعبيتهم بين العامة بإخلاص حتى حوالي عام ١٩٤٦، فإنهم مع ذلك، فإنهم غالبًا -

* لقد انتشرت الشيوعية في معظم دول أوروبا الشرقية وقد تم ذلك في عام ١٩٤٨ إما في انقلاب شيوعي أو في انتخابات مزيفة بمبادرة الاتحاد السوفيتي في تلك البلدان وهي : بولندا، رومانيا، بلغاريا، ألبانيا، ألمانيا الشرقية، يوغوسلافيا. (المترجم).

زوّروا الانتخابات العامة صراحةً في تلك السنة، وعندما سُئلوا عن سبب قيامهم بهذا الأمر - حيث كان بإمكانهم الفوز على أية حال على نحو يسير في انتخاب حر - فكانت إجابتهم (بالطبع، شخصيًا) أنه كان أمر حقيقي، ولكن يفترض - إذن - أنهم كانوا سيخسرون فيما بعد في انتخابات السنوات الأربعة القادمة، ولذا كان من الأفضل أن يكون واضحًا حاليًا نوعية الانتخاب الذي كان يجوز لهم التجهيز والإعداد له. أو بإيجاز، إنهم كانوا على وعي كامل بالفرصة الفريدة التي قد جلبتهم إلى حالة النفوذ والقوة. بمعنى أن وعيًا بإخفاق الشيوعيين التاريخي في تأسيس السلطة والزعامة الأصلية الحقيقية وتدعيمها على المدى الطويل المرتكز على المساندة الشعبية، كان موضوعًا في الاعتبار منذ البداية الجوهرية .

وهكذا، مرة أخرى، ليس كافيًا على نحو يسير أن يبقى المرء وفيًا للفكرة الشيوعية ؛ وإنما يجب عليه أن يؤسس لنفسه مكانًا داخل خصومات الواقع التاريخي الذي يهب لهذه الفكرة ضرورةً وإلحاحًا عمليًا. فالسؤال الوحيد الحقيقي المطروح في الوقت الراهن هو : هل نوافق على التطبيع السائد مع الرأسمالية، أم هل الرأسمالية العالمية الراهنة تتضمن الخصومات التي تكون قوية بالقدر الكافي لتمنع إعادة إنتاجها اللامحدود ؟ هناك أشكال أربعة من مثل هذه الخصومات : التهديد الظاهر لكارثة بيئية، وعدم ملائمة مفهوم الملكية الخاصة في علاقتها بما يُسمى " الملكية الفكرية "، والتضمينات والمشتملات الاجتماعية - الأخلاقية للتطورات العلمية - التكنولوجية الجديدة (وبوجه خاص في علم الوراثة العضوي)، وأما الشكل الأخير - ولكنه ليس الأقل أهمية - فيتمثل في إبداع أشكال جديدة من التفرقة العنصرية، كالأسوار والأحياء الفقيرة الجديدة. هناك اختلاف كيفي بين هذا الشكل الأخير - أي تلك الفجوة التي تفصل المستبعد عن المتضمن - والأشكال الثلاثة الأخرى، التي تحدد أوجه مختلفة لما أطلق عليه هارت Hardt ونيجري Negri اسم " العامة "، ذلك الجوهر المشترك لوجودنا الاجتماعي، فالحرمان الذي يتضمن الأفعال العنيفة التي ينبغي - حينما يكون ضروريًا - أن تُقاوم بالسبل العنيفة القوية :

- ثقافة العامة، الأشكال المشتركة، على نحو مباشر، للرأسمال " المعرفي "، أولاً اللغة، أساليبنا في التواصل والتعليم، ليس ذلك فحسب ؛ وإنما، بالإضافة إلى ذلك، البنية التحتية المشتركة من وسائل المواصلات العامة، والكهرباء، والنظام البريدي، وإلخ،
- الطبيعة الخارجية للعامة، المُهددة بالتلوث واستغلال الموارد الطبيعية وإهدارها (بدءًا من البترول إلى أمطار الغابات والبيئة الطبيعية ذاتها)،

- الطبيعة الباطنية للعامة (عوامل الوراثة العضوية للبشرية)، مع تكنولوجيا الوراثة العضوية، إبداع إنسان جديد بمعناه الحرفي لتغير الطبيعة الإنسانية التي يصبح مطمحًا واقعيًا.

إن ما تشترك فيه الصراعات في هذه المجالات جميعًا هو وعي بقوة كامنة للهدم - التي تبلغ حد الإبادة - الذاتية للبشرية نفسها - ولذا، ينبغي أن يُتاح للمنطق الرأسمالي الذي يكتنف العامة ويطوقها مجالاً حرًا. فقد كان نيكولاس ستيرن Nicholas Stern محقًا في تمييز الأزمة المحيطة بنا بوصفها " أعظم إخفاق للسوق في تاريخ الإنسانية"[٣]. ولذلك عندما كتب كيشان خوداي Kishan Khoday، رئيس فريق هيئة الأمم المتحدة، مؤخرًا : " بأنه هناك روح متنامية للمواطنة البيئية العالمية، ورغبة في الإعلان عن تغير مناخي محيط بنا بوصفه موضوعًا للاهتمام المشترك للبشرية كلها"[٤]، ينبغي على المرء أن يعطي لتلك المصطلحات أهميتها وثِقلها من قبيل "المواطنة العالمية" و "الاهتمام العام أو المشترك" - بمعنى أن يعطي ثِقل وأهمية للاحتياج الضروري لتأسيس تنظيم سياسي عالمي - آليات السوق المتغيرة والحيادية - يكون معبرًا عن منظور شيوعي سديد.

فتلك الإشارة إلى " العامة " تبرز إنتعاش مفهوم الشيوعية : إنها تُمكنا من أن نرى التضمينات والمشتملات المتقدمة والمتزايدة للعامة بوصفها عملية بلوغ لوضع بروليتاري [أي وضع متعلق بالطبقة العاملة] لأولئك الذين يستبعدون - بذلك - عن جوهرهم الخاص. إننا ينبغي علينا - بالتأكيد- ألا نهمل مفهوم الطبقة العاملة، أو مكانة الطبقة العاملة - فعلى العكس من ذلك - أن الارتباط الحالي يجبرنا أن نؤصلها على مستوى وجودي حسن يتعدى خيال ماركس ويفوقه. فنحن نحتاج إلى مفهوم أكثر راديكالية عن الذات البروليتارية، ذاتًا اختزلت إلى مجرد نقطة فانية في الكوجيتو الديكارتي.

ولهذا السبب، لم تعد تتفرع سياسة تحررية جديدة من عامل اجتماعي خاص ؛ وإنما تنبثق من تركيب وامتزاج متفجِّر لعوامل مختلفة. فما يوحدنا - على العكس من الصورة الكلاسيكية للطبقة العاملة التي " لا تملك شيئًا لتفقده إلا قيودها "، هو كوننا في خطر فقدان كل شيء، طالما أن التهديد يكون على النحو التالي : أننا سوف نتضاءل ونختزل إلى مجرد ذوات مجردة متجردة من كل مضمون جوهري، مسلوبون من جوهرنا الرمزي، ومن

---

[٣] Quoted from Time magazine , December 24, 2007, *P*. 2.

[٤] Quoted from ibid.

أساسنا الوراثي المعالج يدويًا بشدة، ونحيا حياة خاملة بليدة في بيئة غير صالحة للعيش فيها. هذا التهديد الثلاثي لوجودنا الكامل يردنا جميعًا - كما عبر ماركس عن ذلك في كتابه المعنون باسم معالم أساسية *Grundrisse* - إلى البروليتاريين، ويختزلنا في كوننا مجرد "ذاتية بلا جوهر". إن التحدي السياسي – الأخلاقي هو أن ندرك أنفسنا في هذا الشكل – بأسلوب نكون فيه جميعًا مستبعدون من الطبيعة مثلما نستبعد من جوهرنا الرمزي. في الوقت الراهن، نحن جميعًا إنسانٌ – مقدس على نحو كامن، والأسلوب الوحيد لنوقف ذلك الأمر من أن يصبح واقعًا هو العمل بشكل وقائي أو رادع.

إذا كانت هذه الأصوات عجيبة، فبوسع المرء أن يرد فحسب على ذلك الأمر بأننا نحيا في أزمنة عجيبة. من اليسير رؤية كيفية إشارة كل عملية من العمليات الثلاثة للبلوغ إلى الوضع البروليتاري إلى نقطة نهاية عجيبة : الإخفاق البيئي، والاختزال الوراثي العضوي للبشر إلى آليات قابلة للمعالجة اليدوية، والتحكم الرقمي الكلي على حيواتنا كل تلك المستويات، تجعل الأشياء تقترب من نقطة الصفر، " فنهاية الأزمنة وشيكة ". ها هو وصف إد إيرس Ed Ayress :

يواجهنا شيء ما خارج خبرتنا الجماعية تمامًا ذلك الشيء الذي لا نراه بالفعل، حتى عندما يغمرنا الدليل أو البرهان. فبالنسبة لنا، ذلك " الشيء " هو حملة تبدلات وتغيرات طبيعية وبيولوجية ضخمة في العالم التي قد كانت تساندنا وتدعمنا[٥].

على المستوى البيولوجي والجيولوجي، أحصى إيرس" أركان " أربعة (للتطورات العاجلة) للاقتراب بصمت من نقطة – الصفر، التي عندها سيبلغ الامتداد الكمي إلى حد معين وبالتالي، سيحدث تغيرًا كيفيًا. " الأركان " هي النمو السكاني، استهلاك الموارد المحدودة واستنفادها، وإشعاع غاز الكربون، وإنقراض الجنس البشري. وللتعامل مع تلك التهديدات ومواجهتها ؛ فإن الإيديولوجيا السائدة تُحرك آليات الرياء وخداع – الذات التي تنطوي على إرادة للتجاهل :" نموذج عام من السلوك السائد فيما بين المجتمعات الإنسانية المُهددة هو أن تصبح أكثر تعتيمًا للأزمة بدلاً من أن تكون أكثر تركيزًا عليها، عندما تخفق ". ويجب أن ينطبق ذلك على الأزمة الاقتصادية المستمرة: ففي ربيع عام ٢٠٠٩، قد " أعيد الحال لوضعه الطبيعي " بنجاح – أي سكون العاصفة المرعبة وتهدأتها، طالما أن الموقف برمته أظهر بأن الحال " سيصير أفضل "، أو على الأقل سوف نتحكم في الخسارة (والثمن المدفوع على هذا " الاسترجاع أو الاسترداد والانتعاش

---

[٥] Ed Ayres, " Why are we not astonished ", World Watch , Vol.12, May 1999.

بعد الركود" في دول العالم الثالث كان - بالطبع، نادرًا ما ينوه إليه، بما في ذلك إقامة تحذير شؤم بأن الرسالة الحقيقية للأزمة قد تم تجاهلها، وبالإمكان أن نسترخى مرة أخرى ونواصل سيرنا الطويل نحو الرؤيا النُبوئية [سفر الرؤيا].

إن الرؤيا النُبوئية يميزها أسلوب محدد للزمان، فإنها تقابل بوضوح الأسلوبين الآخرين السائدين : الزمان الدائري التقليدي (زمان نُظم ورُتب على المبادئ الكونية، ينعكس على نظام الطبيعة والسماء، شكل - الزمان الذي فيه يدوي العالم الصغير [أي عالم الإنسان]والعالم الكبير [أي الكون نفسه] في توافق وانسجام)، والزمان الخطي الحديث للتقدم التدريجي أو التطور. أما زمان الرؤيا النبوئية فهو "زمان نهاية الزمان"، زمان الطوارئ، زمان " حالة الاستثناء " عندما اوشكت النهاية على الاقتراب، وبإمكاننا فحسب الإعداد لها. هناك على الأقل نسخات أربعة مختلفة من النزعة الرُؤيَوِيّة في الوقت الراهن : التعصب المسيحي، وعصر الروحانية الجديد، والتكنولوجيا - الرقمية لما بعد - الإنسانية، والنزعة البيئية العالمية. رغم أننا جميعًا نشارك في المفهوم الرئيس بأن الإنسانية تقترب من نقطة - الصفر للتحويل الراديكالي، لمنظور وجودياتهم المختلف جذريًا : النزعة الرؤيوية للتكنولوجيا الرقمية (الذي يعد راي كورزويل Ray Kurzweil الممثِّل الرئيس لها) تبقى في داخل حدود النزعة الطبيعية العلمية، وتُدرك في تطور وارتقاء الجنس البشري حدود تغيرنا وتحولنا فيما " بعد - الإنسانية ". أما عصر الروحانية الجديد فيقدم تفسيره لهذا التحويل لأقصى منعطف بوصفه تحويلاً من أحد أساليب " الوعي الكوني " إلى أسلوب آخر (عادةً ما يكون تحويلاً من الوضع الآلي - الثنائي الحديث إلى وضع الاحتجاب الكلي). المتعصبون المسيحيون، على نحو دقيق، يقرءون بالطبع سفر الرؤيا في حدود كتابية [أي متعلقة بحرفية الكتاب المقدس]، أي أنهم يبحثون عن (ويجدون) في العالم المعاصر علامات على أن الصراع الأخير بين المسيحي وضد المسيحي يكون وشيكًا. وفي نهاية الأمر، تشارك النزعة البيئية العالمية في الوضع الطبيعي لما بعد الإنسانية، ولكن يهبها منعطفًا سلبيًا - فما يتجه قدامًا، نحو "النقطة النهائية" التي نقترب منها، لا يعد بمثابة تقدمًا إلى مستوى أعلى "لما بعد - الإنسانية"، ولكنه بالأحرى اقترابًا من كارثة التحطيم الذاتي للإنسانية. ورغم أن النزعة الرؤيوية للمتعصب المسيحي يُنظر إليها بوصفها الشيء المضحك، والأخطر في مضمونها، فإنها تبقى هي النسخة الأقرب من منطق راديكالي تحرري " للألفية millenarian "*.

* millenarian : الألفي وهو المؤمن بالعصر الألفي السعيد المتعلق بمعتقد رجوع المسيح وملكه ألف عام. (المترجم).

وبالتالي، تتمثل المهمة - إذن - في أن نجعلها على اتصال أقرب من النزعة البيئية العالمية، بما في ذلك إدراك تهديد الإفناء والإبادة بوصفه فرصة لتجديد وانعاش تحرري راديكالي.

الاشتراكية أم الشيوعية ؟

مثل هذه العملية الرؤيوية للبلوغ إلى الوضع البروليتاري تكون - مع ذلك - قاصرة وعاجزة ؛ إذا أردنا أن نستحق لقب " شيوعي ". إن التضمينات والمشتملات المتطورة باستمرار لاهتمامات العامة تنطوي على كلٍ من علاقة الناس بالأسباب والمحددات الموضوعية لطرائق وأساليب حياتهم مثلما تتضمن العلاقة بين الناس أنفسهم بعضهم ببعض : فالعامة محرومون على امتداد الغالبية العظمى من الطبقة العاملة. ولكن هناك فجوة بين هذين النمطين من العلاقات : قد يمكنها، بالإضافة إلى ذلك، رد العامة إلى الإنسانية الجماعية المشتركة بدون الشيوعية - في الحكم المجتمعي الفاشستي - ولكنها مثلما تكون ذاتٌ " بلا جذور "منزوعة من الطابع الجوهري"، ومتجردة من مضمونها، فبإمكانها - كذلك - أن تقاوم بأساليب متعددة الميل إلى اتجاه المجتمعية بذاتٍ تجد مكانها الملائم في مجتمع حقيقي وجوهري جديد. وبهذا المعنى الدقيق، كان عنوان كتاب نيجري المضاد - للاشتراكية وداعًا مستر اشتراكية ***GoodBye Mr. Socialism*** صائبًا : فالشيوعية تقابل الاشتراكية، التي - بدلاً من الجماعية المتساوية - تقدم مجتمعًا عضويًا (فالنازية كانت اشتراكية قومية، وليست شيوعية قومية). أو بتعبير آخر، في حين أنه من الممكن أن يوجد اشتراكي مضاد - للنزعة السامية، فلا يمكن أن يكون هناك شكلاً شيوعيًا. (وإذا ظهر - فعلى العكس من ذلك - كما كان الحال في السنوات الأخيرة من حكم ستالين - فإنه يكون فحسب بوصفه مؤشرًا على الافتقار إلى الإخلاص للحدث الثوري.) فقد نشر إريك هوبسباوم Eric Hobsbawm مؤخرًا مقالة في عمود صحفي بإحدى الجرائد بعنوان " **إخفاق الاشتراكية، وإفلاس الرأسمالية، فما الذي سيأتي بعد ذلك ؟** " والإجابة هي على النحو التالي : الشيوعية. تريد الاشتراكية أن تحل الخصومات الثلاثة الأولى بدون الإشارة إلى الخصومة الرابعة - أي بدون العالمية الفردية للطبقة العاملة. الطريق الوحيد للنظام الرأسمالي العالمي في أن ينجى من خصومته لمدة طويلة، وأن يتجنب الحل الشيوعي معًا وفي الوقت ذاته، سيكون بالنسبة له هو أن يُعيد ابتكار نوع ما من الاشتراكية - سواء في شكل المجتمعية، أو الشعبية أو الرأسمالية بالقيم الأسيوية، أو أي شكل آخر. فالمستقبل سيكون - إذن - إما شيوعيًا أو اشتراكيًا.

وكما قال مايكل هارت Michael Hardt، إنه إذا كانت الرأسمالية تناضل من أجل الملكية الخاصة والاشتراكية تقاوم من أجل الملكية العامة، فإن الشيوعية تكافح من أجل تجاوز الملكية بالنحو الذي تكون عليه لدى عامة الشعب.[٦] فالاشتراكية هي ما أطلق عليها ماركس اسم " الشيوعة العامة أو الدراجة "، التي نبلغ فيها فحسب إلى ما قد سوف يسميه هيجل الإنكار المجرد للملكية، أي إنكار الملكية في داخل مجال الملكية - إنها " الملكية الخاصة ذات الطابع الكلي ". وهكذا فعنوان المقالة المنشورة في جريدة نيوزويك - التي تغطي أحداث قصة ١٦ فبراير عام ٢٠٠٩ : " **جميعنا حاليًا اشتراكيون**"، وعنوانها الفرعي : " **يعد اقتصادنا بأساليب متعددة مماثلاً بالفعل لاقتصاد أوروبي** " - يكون مبرر كلية، إذا فُهِمَ بشكل ملائم : إذ إنه حتى بالولايات المتحدة الأمريكية - معقل الليبرالية الاقتصادية - يجب على الرأسمالية أن تعيد ابتكار الاشتراكية لحماية ذاتها[٧]. إن السخرية في حقيقة أن عملية " التماثل مع أوروبا " التي يميزها إلى حدٍّ بعيد الاستشهاد " بأننا (في الولايات المتحدة الأمريكية) سنصبح حتى فرنسيون أكثر " لا يمكن إلا أن تصدم القارئ. وبعد كل ذلك، أُنتخب ساركوزي Sarkozy بوصفه رئيسًا فرنسيًا على منصة الانتهاء - في نهاية الأمر - تمامًا من تقليد الصالح العام للاشتراكية الأوروبية والانضمام إلى الأسلوب الليبرالي الأنجلو - ساكسوني - وبعد، فالأسلوب الحقيقي والجوهري الذي اقترحه كي يحاكيه هو الارتداد حاليًا إلى ما أراد الابتعاد عنه : الطريق غير الموثوق فيه لحالة التدخل في الاقتصاد على نطاق واسع. ذلك " الأسلوب الاجتماعي " الأوروبي الأكثر سوءًا وضررًا - الذي يُدان بوصفه عاجزًا وغير كفؤ ولا يلائم ذلك الزمن تحت أسباب ومحددات رأسمالية ما بعد الحداثة - قد ذاق انتقامه وثأره. ولكن، ليس هناك ما يدعو إلى السعادة والسرور هنا : لم تعد تُدرك الاشتراكية بوصفها "المرحلة الأدنى" المغمورة للشيوعية ؛ وإنما صارت منافسها الحقيقي، وأعظم تهديدًا لها. (وبالطبع قد آن الآوان لنتذكر أنه طوال القرن العشرين كانت الديمقراطية الاجتماعية أداة مُحركة ومثيرة لمقاومة ذلك التهديد الشيوعي على الرأسمالية.) وهكذا، فإن استكمال عنوان نيجري ينبغي أن يكون على النحو التالي : "وداعًا مستر اشتراكية، ومرحبًا، بعضو الشيوعية !".

---

[٦] In his intervention at the conference " The Idea of Communism", Birkbeck College, London, March 13-15, 2009.

[٧] Jon Meacham and Evan Thomas, " We are all socialists now ", *Newsweek*, February 16,2009.

إن ما يمثله الإخلاص الشيوعي لمضامين مكانة الطبقة العاملة يكون - إذن - بمثابة رفضًا واضحًا لأي إيديولوجيا تنطوي على الارتداد إلى أي نوع من الوحدة الجوهرية في عصر ما قبل السقوط. ففي ٢٨ نوفمبر عام ٢٠٠٨، قد ألقى إيفو موراليس Evo Morales - رئيس بوليفيا Bolivia - خطابًا عامًا عن موضوع " جو التغير : أنقذوا الكوكب من الرأسمالية ". وها هي عباراته المفتوحة :

أخواتي وإخواني : اليوم، أرضنا الأم تعاني كل شيء بدأ مع الثورة الصناعية التي حدثت في عام ١٧٥٠، والتي وهبت الميلاد للنظام الرأسمالي. ففي القرنين ونصف السابقين، قد استهلك ما يسمى بالدول " المتطورة " جزءًا كبيرًا من الوقود الحفري المبدع منذ أكثر من خمسة ملايين قرن إن المنافسة والتعطش للربح بلا حدود في النظام الرأسمالي يدمر الكوكب. فإننا تحت لواء الرأسمالية لا نكون موجودات إنسانية، وإنما نكون مستهلكين. لا توجد تحت الرأسمالية الأرض الأم ؛ وإنما يوجد بدلاً من ذلك مواد خام. الرأسمالية هي أصل اللاتماثل واللاتوازن في العالم.[٨]

إن السياسة التي تتبعها حكومة موراليس في بوليفيا تكون على الحافة الحقيقية والجوهرية للصراع المعاصر المتزايد. ومع ذلك، تُظهر السطور المستشهد بها توًا بوضوح مؤلم حدودها الإيديولوجية (التي من أجلها يدفع المرء دومًا ثمنًا عمليًا). يعتمد موراليس بأسلوب مبسط على رواية السقوط التي اتخذت مكانًا في لحظة تاريخية دقيقة : " كل شيء بدأ مع الثورة الصناعية التي حدثت في عام ١٧٥٠ " - وبشكل تنبؤي، ينطوي هذا السقوط على فقدان جذورنا في الأرض الأم : " لا توجد تحت الرأسمالية الأرض الأم ". (ولهذا، فالمرء يُغريه إلى أن يضيف بأنه إذا كان هناك شيئًا واحدًا حسنًا بشأن الرأسمالية، فإنه، على نحو دقيق، أن الأرض الأم حاليًا لم تعد موجودة.) " الرأسمالية هي أصل اللاتماثل واللاتوازن في العالم " - ومعنى ذلك أن هدفنا ينبغي أن يكون هو إعادة التوازن " الطبيعي " والتماثل. وبذلك ما يشن هجومًا عليه ويرفضه هو تلك العملية الحقيقية والجوهرية التي تظهر الذاتية الحديثة وتطمس علم الكون ذو الطابع الجنسي التقليدي للأرض الأم (والسماء الأب)، جنبًا إلى جنب مع فكرة أن جذورنا تكمن في النظام " الأمِّي maternal " الجوهري للطبيعة.

(٨) Evo Morales, " Climate change : save the planet from capitalism ",available online at http: // climateandcapitalism.com.

يعني - إذن - الإخلاص للفكرة الشيوعية أن نُعيد عبارة أرثر ريمبو، يجب علينا أن نكون حتمًا مُحْدَثون - إننا ينبغي علينا أن نبقي محدثون بشكل مطلق ونرفض كل تعميم سطحي للغاية الذي يتخذ به نقد الرأسمالية شكل نقد " العقل الأداتي " أو " الحضارة التكنولوجية الحديثة ". وهذا يوضح لِمَ ينبغي علينا أن نُصر على الاختلاف الكيفي بين الخصومة الرابعة - الفجوة التي تفصل المستبعد عن المتضمن - والخصومات الثلاثة الأخرى : إنه يتمثل فحسب في هذه الإشارة إلى المستبعد الذي يبرر استخدام مصطلح الشيوعية ويسوغه. ليس هناك شيئًا ما أكثر " خصوصية " من حالة مجتمع يُدرك المستبعدين بوصفه تهديدًا وقلقًا بشأن كيفية الاحتفاظ بهم على مسافة مناسبة.

في سلسلة الخصومات الأربعة، يوجد - إذن - بين المتضمن والمستبعد خصومة حاسمة. بدونها، تفقد كل الخصومات الأخرى حدتها المدمرة، ويتحول علم البيئة إلى مشكلة تطور مستمر، وتتحول الملكية الفكرية إلى تحدٍ شرعي معقد، ويتحول علم الوراثة العضوي إلى قضية أخلاقية. فليس بوسع المرء أبدًا أن يصارع بإخلاص كي يحافظ على البيئة، ويدافع عن مفهوم الملكية الفكرية الواسع، أو يتقابل مع حقوق الجينات الوراثية، بدون مواجهة الخصومة بين المتضمن والمستبعد. فضلاً عن ذلك، بوسع المرء أن يصيغ أوجه يقينية لتلك الصراعات في حدود الوجود المتضمن الذي يهدده المستبعد الملوث. وبهذا الأسلوب، فإننا لا نبلغ إلى عالمية حقيقية ؛ وإنما نبلغ فحسب إلى اهتمامات "خاصة " بالمعنى الكانطي للمصطلح. فشركات من قبيل شركة هول فوودز Whole Foods وستار بوكس Starbucks يستمران في الاستمتاع بميزة فيما بين الليبراليين حتى مع أنهم ينخرطوا في أنشطة ضد - نقابة الاتحاد التجاري، والخدعة في هذا هي أنهم يبيعوا منتجاتهم بإنخفاض متزايد في الأسعار. حيث يشتري المرء قهوة صُنعت من حبوب تم شرائها بقيمة أعلى من السوق العادلة، ويقود سيارة هجينة متعددة الجنسيات، ويشتري من شركات تكفل مزايا جيدة للعاملين بها ولزبائنها (وفقًا للأسس الخاصة للشركات)، وإلخ. أو بإيجاز، بدون الخصومة بين المتضمن والمستبعد، فبإمكاننا أن نجد أنفسنا على نحو حسن في عالم يكون فيه بيل جيتس Bill Gates أعظم مناضلاً إنسانيًا ضد الفقر والمرض، ويكون روبرت موردوخ Rupert Murdoch أعظم رجلاً مهتمًا بالبيئة يثير ويحرك مئات الملايين خلال إمبراطورايته الإعلامية.

هناك مفتاح آخر للاختلاف بين الخصومات الثلاثة الأولى والخصومة الرابعة ألا وهو: إن الخصومات الثلاثة الأولى تتعلق بشكل فعال ومؤثر بتساؤلات عن بقاء الإنسانية ونجاتها (الاقتصادي، والانثروبولوجي، وحتى الفيزيقي)، بينما الخصومة

الرابعة تتعلق بشكل رئيس بسؤالٍ عن العدالة. إذا لم تكن الإنسانية تحلل وتفسر مأزقها البيئي، فإننا من الممكن جميعًا أن نتلاشى، ولكن بوسع المرء أن يتخيل على نحو حسن مجتمع يمكنه بكيفية ما أن يحلل ويفسر الخصومات الثلاثة الأولى خلال المعايير والمقاييس الفاشستية التي لا تبقى فحسب ولكنها في الحقيقة تُقوّي وجود التفاوتات الطبقية، والانقسامات والاستبعادات الاجتماعية. أما مع لاكان، فإننا نتعامل هنا مع الفجوة التي تفصل سلسلة المؤشرات المألوفة (س٢) عن المؤشر الرئيس (س١)، وهي التي تتمثل في حالة صراع من أجل الهيمنة والسيطرة : أي قطب في الخصومة بين المتضمن والمستبعد سوف " يسود ويسيطر " على الثلاثة الآخرين ؟ لم يعد بوسع المرء بأية حال أن يعتمد على المنطق الماركسي القديم عن " الضرورة التاريخية " الذي يدعي أن المشكلات الثلاثة الأولى سوف تُحل فحسب ؛ إذا فاز المرء بمفتاح الصراع " الطبقي" بين المستبعد والمتضمن - في حين أنه بإمكان منطق " تجاوز التمييزات والتفرقات الطبقية وحده أن يحلل ويفسر بالفعل أزمتنا البيئية ". فهناك شكل عام اشتركت فيه الخصومات الأربعة جميعًا ألا وهو : عملية البلوغ إلى الوضع البروليتاري، عملية رد واختزال العوامل الإنسانية إلى ذوات خالصة متجردة من جوهرها، هذه العملية للبلوغ إلى الوضع البروليتاري - مع ذلك - تعمل بأساليب مختلفة. ففي الحالات الثلاثة الأولى تتجرد العوامل من مضمونها الجوهري، في حين أنه في الحالة الرابعة، فإنها حقيقة شكلية لاستبعاد أشكال معينة من الحيز السياسي - الاجتماعي. إننا ينبغي علينا أن نضع خطًا تحت هذا البناء ٣+ ١ ونُظهره، بمعنى تأمل الصراع والتوتر الخارجي بين الذات والجوهر (" الإنسان " متجرد من جوهره) في داخل الجماعية الإنسانية. هناك ذوات - في داخل الجماعية الإنسانية - تجسد على نحو مباشر " المكانة والوضع البروليتاري للذاتية المتجردة من الجوهر" . فما يعد سببًا في أن الرهان الشيوعي هو ذلك الأسلوب الوحيد لحل المشكلة " الخارجية " (أي إعادة امتلاك الجوهر المغاير) هو أن يحدث تحولاً جذريًا في العلاقات (الاجتماعية) الذاتية الباطنية.

فمن الأمور الحاسمة - إذن - أن نصر بشدة على الفكرة الشيوعية التحررية القائمة على المساواة، وأن نصر بشدة عليها بالمعنى الماركسي الجوهري الدقيق : هناك مجموعات اجتماعية التي - بسبب افتقارها لمكان محدد في النظام " الخاص " للتفاوت الطبقي الاجتماعي - تؤيد ، على نحو مباشر، العالمية، وهم أولئك الذين يطلق عليهم رانسير " جزء لا يتجزأ " من الجسد الاجتماعي. جميع السياسات التحررية بحق التي يولدها المحيط - الضيق بين عالمية " الاستخدام العام للعقل " وعالمية " جزء لا يتجزأ "

- هذه كانت بالفعل الحلم الشيوعي لماركس الشاب؛ أن يدمج عالمية الفلسفة مع عالمية البروليتاريا أو الطبقة العاملة معًا. فمن خلال اليونانيين القدماء، نمتلك اسمًا لإقحام المستبعد في الحيز السياسي - الاجتماعي ألا وهو : الديمقراطية. وسؤالنا في الوقت الراهن عما إذا كانت الديمقراطية مازالت اسمًا ملائمًا لهذا الانفجار للمساواة. وعند هذا الحد يوجد مكانين ضروريين ألا وهما - من جهة - الاقصاء السطحي للديمقراطية بوصفها شكلاً وهميًا خالصًا للمظهر الذي يقابلها (أي السيادة والسيطرة الطبقية)، ومن جهة أخرى الإدعاء بأن الديمقراطية التي نمتلكها، أي الديمقراطية الموجودة بالفعل - هي تشويه لديمقراطية حقيقية - فعلى مدار سطور رد غاندي Gandhi المشهور على الصحفي البريطاني الذي سأله عن الحضارة الغربية نجده يؤكد على أنها :" فكرة جيدة. وبالطبع ينبغي علينا أن نمارسها ! " وبوضوح، إن المباحثة والجدال الذي يدور بين المكانين الضروريين يكون مجردًا للغاية : فما نحتاج إلى أن نعلن عنه هو السؤال عن كيفية ارتباط الديمقراطية ببعد العالمية المتجسدة في المستبعد.

هذا التركيز على الأسوار التي تفصل المستبعد عن المتضمن من الممكن أن يُساء فهمه على نحو يسير بوصفه ارتدادًا خفيًا لموضوع " الانفتاح " الليبرالي - المتسامح متعدد الثقافات (" ليس من أحد ينبغي أن يُترك ويُهمل، مجموعات الأقلية جميعها، وأساليب الحياة، إلخ. بل ينبغي أن يوضع في الاعتبار ") على مدى مفهوم ماركسي ملائم عن الخصومة الاجتماعية. ربما يُنتقد، بالإضافة إلى ذلك، من خلال المنظور المقابل " لما بعد الحداثة " بوصفه إشارةً على ارتدادٍ نظري للتقابل البسيط بين المتضمن/ المستبعد، الذي يتجاهل آلات " التحليل السياسي الفردي " المعقدة للمراقبة والقانون الاجتماعي التي حللها فوكو. ويقدم بيتر هالوارد Peter Hallward رؤيةً نقديةً مماثلة في سياق تصوره لمفهوم باديو عن الاحتجاب، فكرته عن "الاهتمام والمبالاة - بلاشيء"، وفكرته عن ذلك العنصر الإشاري العلامي للصرح الاجتماعي (أي فكرة رانسير عن "جزء لا يتجزأ"):

إن العمل السياسي العملي - غالبًا - لا يتعلق كثيرًا بالناس أو بمواقف أولئك الذين يكونون مختفين أو غير مرئيين بقدر ما يتعلق بأولئك الذين يكونون تحت - النظر أو يُساء النظر إليهم، فهم لا يبالوا ولا يهتموا بلاشيء بقدر اهتمامهم بالقليل. إنهم لا يستبعدوا على نحو يسير لكنهم يضطهدون ويستغلون. هذا الاختلاف ينطوي على ما هو أكثر من مجرد اختلاف طفيف. مثلما هو الحال الآن قد يبرهن العديد من أجيال المفكرين التحرريين على أن الأشكال الحديثة للقوة لا تستبعد في الأصل أو تُمنع ؛

وإنما بالأحرى تُعدل، وترشد أو تزيد من السلوك والمعايير، وتفضي إلى الحالة الراهنة، إن نموذج القوة الذي يبدو أنه يخبرنا ضمنيًا بعمل باديو الذي كتبه مؤخرًا، على العكس من ذلك، مازال يبدو أنه يسبق عمل فوكو، وإن لم يكن جرامشي Gramsci [٩]".

في هذا الاختيار " باديو في مقابل فوكو "، ينبغي على المرء مع ذلك أن يصر على البعد الذي غفل عنه الاقتراب الفوكوي، بعد يرتكز عليه مفهوم باديو عن الاحتجاب. ولذا نقول، بأنه في المفهوم الفوكوي عن القوة المنتجة، قوة لا تعمل بأسلوب استثنائي، ولكنها تعمل بأسلوب متمكن / ومنظم، ليس هناك متسعًا لمفهوم باديو عن نقطة التناقض الذاتي (أو عن " الالتواء الإشاري ") في موقف ما، طالما أن عنصر موقف ما حينما لا يكون له مكانًا ملائمًا في (مع) الموقف - فلا يكون ذلك لأسباب عارضة أو طارئة ؛ وإنما لأن استبعاده / وعزله يُعد مكوِّنًا للموقف نفسه. لنتاول حالة الطبقة العاملة : بالطبع، إن الطبقة العاملة تكون " مرئية " بعدَّة أساليب في داخل العالم الرأسمالي (من قبيل أولئك الذين يُروجون بكثرة لقوتهم - العاملة في السوق، وأوغاد محتملون، وموظفون مدربون وأوفياء لمديرين رأسماليين، وإلخ). ومع ذلك، ولا واحدة من تلك الأساليب في الرؤية تحجب الدور الإشاري للطبقة العاملة مثلما يحجبها فكرة "جزء لا يتجزأ" من العالم الرأسمالي. إن فكرة باديو عن "الاحتجاب" تكون - إذن - الوجه الآخر للرؤية أو الظهور في داخل الحيز الإيديولوجي المهيمن، فهو ما يجب أن يبقى غير مرئيًا ولذلك فإن المرئي من الممكن أن يكون مرئيًا [لأن له وجه آخر متحجبًا]. أو، بأسلوب آخر أكثر تقليديًا : ما لم يستطع الاقتراب الفوكوي أن يدركه هو مفهوم العنصر الإشاري ذو- الوجهين، الوجه الأول هو حادث هامشي لموقف ما، أما الوجه الآخر فهو (بقاء) حقيقة هذا الموقف نفسه. وبالأسلوب نفسه، " المستبعدون " هم - بالطبع - مرئيون - بالمعنى الدقيق، وعلى نحو متناقض، يُعد استبعادهم ذاته هو أسلوب تضمنهم : " مكانهم الملائم " في الجسد الاجتماعي يكون في استبعادهم (من المحيط العام أو المجال الاجتماعي).

وهذا يوضح سبب إدعاء لاكان بأن ماركس قد ابتكر بالفعل المفهوم (الفرويدي) عن علامة أو إشارة : فبالنسبة لكلٍ من ماركس وفرويد Freud، الطريق إلى حقيقة نظام (المجتمع، والنفس) يقودنا خلال ما يظهر على نحو ضروري بوصفه تشويهًا عارضًا وهامشيًا " مرضيًا " لهذا النظام مثل : زلات اللسان، والأحلام، والإشارات أو العلامات،

---

(٩) Peter Hallward," Order and event", <u>*New Left Review*</u> 53(September - October 2008), *P.*104.

والأزمات الاقتصادية. اللاوعي الفرويدي هو - إذن - " غير مرئي " بأسلوب متناظر على نحو دقيق، الذي يوضح سبب عدم وجود مكانًا له في صرح فوكو. وهذا يبين سبب افتقاد رفض فوكو لما يسميه " فرض الكبت " الفرويدي - في سياق محاضراته عن مفهوم القوة المنظمة التي تولد النشاط الجنسي في فعل وصفه وتنظيمه - لوجهة النظر الفرويدية. فقد كان كلٌ من فرويد ولاكان على وعي جيد بأنه ليس هناك كبتًا بدون الارتداد إلى المكبوت، كانوا على وعي جيد بأن الحديث المكبوت يولد ما يكبت. ومع ذلك، ما يكبته هذا الحديث ليس ما يبدو أنه يكبت، ليس ما يتخذ في ذاته ليكون X المُهَدِّد فإنه يسعى إلى التحكم في الفعل. إن أشكال " النشاط الجنسي " يصورها بوصفها التهديد المتحكم فيه - من قبيل صورة امرأة ليس لديها تحكم جنسي فإن ذلك يعد تهديدًا على النظام الذكوري - الذي يعد في حد ذاته مجرد إخفاءات وهمية. بالأحرى، ما " يكبته " هذا الحديث هو (من بين سائر الأشياء الأخرى) تدنيسه وإفساده الخاص عن طريق ما يحاول أن يتحكم فيه، لنقول إن، أسلوب ضحية النشاط الجنسي يضفي الطابع الجنسي على الضحية نفسها، أو أن الأسلوب الذي تسعى فيه للتحكم في النشاط الجنسي يضفي الطابع الجنسي على هذا النشاط المتحكم ذاته. النشاط الجنسي إذن لا يكون - بالطبع - " غير مرئي " - إنه متحكم ومنظم. فما يكون " غير مرئي " هو الجنسية لهذا العمل الحقيقي والجوهري للتحكم : أن ما نحاول أن نتحكم فيه ليس هو الموضوع المراوغ، ولكنه أسلوب مشاركتنا الخاصة فيه.

الليبراليون الذين يعرفون مشكلات أولئك المستبعدون من العملية السياسية، الاجتماعية يصيغون هدفهم بوصفه منحًا لأولئك الذين لديهم أصواتًا لا تُسمع كينونة أو وجود التضمن : ينبغي على الأماكن جميعها أن تنصت إليهم، وينبغي على كل المهتمين أن يضعوهم في اعتبارهم، فالحقوق الإنسانية مكفولة لكل شخص، وأساليب الحياة كلها، والثقافات والممارسات المحترمة إلخ. إن الاستغراق في هذا الحديث الديمقراطي هو حماية أنماط الأقليات جميعها : الثقافي، والديني، والجنسي، وجميع هؤلاء الأشخاص. إن صياغة الديمقراطية هي مفاوضة واتفاق متأنٍ. وما يُفقد هنا هو مكانة الطبقة العاملة، مكانة العالمية المتجسدة في المستبعد. وهذا يبين لِمَ - من نظرة أقرب - يصبح واضحًا أن ما قد بدأ هوجو شافيز Hugo Chávez القيام به في فنزويلا Venezuela يتمايز بوضوح عن الشكل الليبرالي الرئيس عن التضمن : لا يُدرج شافيز المستبعد في إطار عمل ديمقراطي - ليبرالي موجود - سلفًا، فهو - على العكس من ذلك - يتناول السكان " المستبعدون " في مدن الأكواخ بوصفهم قاعدته الرئيسة، ومن ثم يعيد تنظيم الأشكال السياسية والحيز

السياسي للتنظيم ؛ ولذلك فإن هذا الوضع الأخير سوف يلائم " المستبعد ". وعلى ما يبدو أن هذا الاختلاف المجرد والمتحذلق - بين " الديمقراطية البورجوازية " و" دكتاتورية البروليتاريا أو الطبقة العاملة " - يكون حاسمًا.

منذ قرن مضى، كان فيديريكو باريتو Vilfredo Pareto هو أول من وصف ما أطلق عليه اسم قاعدة ٨٠/ ٢٠ للحياة الاجتماعية (وليست الحياة الاجتماعية فحسب) : ٨٠% من الأرض يملكها ٢٠% من الناس، ٨٠% من الأرباح والمكاسب ينتجها ٢٠% من الموظفين، ٨٠% من القرارات صنعت خلال ٢٠% من الاجتماعات، ٨٠% من الاتصالات والارتباطات بشبكة الانترنت تشير إلى أقل من ٢٠% من صفحات الانترنت، ٨٠% من البسلة يصدر من ٢٠% من ثمرة حبات البسلة نفسها. كما قد اقترح بعض المحللين الاجتماعيين والاقتصاديين، أن الاستثمار المعاصر للإنتاجية الاقتصادية يواجهنا بحالة رئيسة لهذه القاعدة : إن الاقتصاد العالمي القادم سوف يتجه نحو حالة يكون فيها ٢٠% فقط من القوة العاملة قادرة على القيام بكل العمل الضروري ؛ ولذلك ٨٠% من الناس سوف تكون غير ملائمة بشكل رئيس وبدون عمل ولا يُستفاد منهم، وهكذا من المحتمل أن يصبحوا عاطلين. وعلى نحو ما يبلغ هذا المنطق إلى أقصاه، فإنه لا يفترض أن يكون معقولاً أن نجلبه إلى إنكاره - الذاتي : ألا يكون النظام الذي يجعل ٨٠% من الناس غير ملائمين ولا فائدة منهم هو نفسه غير ملائم ولا يستفاد منه ؟

في يوم ما حينما كان توني نيجري Toni Negri في مقابلة شخصية مع جريدة العالم *Le Monde* قد صادف - في أثناء تجوُّله مع الصحفي على طول شارع سوبيوربان في فينزيا - ماستر Venezia- Mestre - طابورًا لإضراب عمال خارج مصنع نسيج. وعلّق مستهجنًا على ذلك الأمر مشيرًا إلى العمال بقوله : " إنه جنون، فهو أشبه بفيلم فليني *Fellini* !"[١٠] فبالنسبة لنيجري، كل ما ناضل العمال من أجله هو خطأ، فمع اشتراكية نقابات العمال التقليدية التي تركز على تأمين العمل النقابي، أصارت بلا رحمة اشتراكية مهجورة ومبتذلة عن طريق ديناميات رأسمالية " ما بعد - الحداثة " والمكانة المهيمنة والسائدة للعمل الإدراكي. وفقًا لنيجري، بدلاً من الاستجابة لهذه " الروح الجديدة للرأسمالية " بالأسلوب الديمقراطي - الاجتماعي التقليدي، بحيث نراها بوصفها تهديدًا، ينبغي على المرء أن يكتنفها، ليميز بداخلها - أي في ديناميات العمل الإدراكي بالأشكال اللا- متمركزة وبلا تفاوت طبقي للتفاعل الاجتماعي - بذور الشيوعية. ولكن، إذا تتبعنا

---

[١٠] " Nous Sommes déjà des hommes nouveaux ", *Le Monde* , July 13, 2007.

هذا المنطق إلى النهاية، فلن يكون صعبًا أن نتفق مع حجة الكلبي الليبرالي الجديد بأن - في الوقت الراهن - المهمة الرئيسة لنقابات العمال ينبغي أن تكون هي إعادة تدريب العمال من أجل الاستغراق في الاقتصاد الرقمي الجديد.

ولكن، ماذا عن الرؤية المقابلة ؟ طالما أن دينامية الرأسمالية الجديدة تصير أكبر نسبة مئوية للعمالة الزائدة حدثت من قبل، ماذا عن مشروع إعادة توحيد " الميت الحي" من الرأسمالية العالمية، كل ذلك توارى في الخلفية عن طريق " التقدم " الرأسمالي - الجديد، كل ذلك صار غير مستخدم ومهجور، كل أولئك غير قادرين على التكيف مع الأسباب والمحددات الجديدة ؟ الرهان، بالطبع، هو أن المرء من الممكن أن يشرع ويُجري دورة - قصيرة مباشرة بين تلك البقايا للتاريخ وأكثر وجه تقدمي للتاريخ.

" الاستخدام الشائع للعقل " :

هذا يجلبنا إلى التحديد الأوَّلي التالي للشيوعية : ففي مقابل الاشتراكية، تشير الشيوعية إلى العالمية الفردية، تشير إلى الارتباط المباشر بين الفردي والعالمي، وإلى اجتياز التحديدات الخاصة. فعندما يقول القديس بولس - من وجهة نظر مسيحية - بأنه "ليس هناك رجال ولا نساء، ولا يهود أو يونانيين"، فإنه يدعي بذلك بأن الجذور العنصرية، والهويات القومية، وإلخ، ليست مقولة الحقيقة. ولنعبر عن ذلك في الحدود الكانطية الدقيقة : عندما نتأمل جذورنا العنصرية، فإننا ننخرط في استخدام خاص للعقل، مقيَّدًا بالفروض المسبقة التعسفية العارضة، أي أننا نعمل كأننا أفراد " فجة "، وليس كبشرٍ أحرارٍ تستند إلى بعد عالمية العقل. إن التقابل بين كانط وروورتي Rorty فيما يتعلق بالتمييز بين العام والخاص نادرًا ما يكون ملحوظًا، ولكنه مع ذلك تقابلاً حاسمًا. فكلاهما يميز بحدَّة بين المجالين ولكن على نحوين مختلفين. فبالنسبة لرورتي - الليبرالي المعاصر العظيم المتميِّز - الخاص هو مكان فطرتنا وغرائزنا حيث تكون الإبداعية وقانون الخيال الفطري والاعتبارات الأخلاقية (غالبًا) مرجأة ومُعلقة، أما العام، فعلى العكس من ذلك، هو مكان التفاعل الاجتماعي حيث نكون مجبرين على أن نطيع القوانين كي لا نؤذي الآخرين. ففي حدود رورتي الخاصة، يعد الخاص هو مكان التهكم والصرامة، بينما العام هو مكان الاتحاد والتضامن. أما بالنسبة لكانط - مع ذلك - المكان العام " لعالم - المجتمع - المدني " يعد نموذجًا على تناقض التفرُّد العالمي، تناقض ذات فردية تجتاز - بنوع من دورة - قصيرة -تأمل الخاص، وتشارك على نحو مباشر في العالمي. وهذا ما يعنيه - إذن - كانط " بالعام " - كما جاء في عبارة مشهورة من مقالته "ما التنوير ؟"

بوصفه مقابلاً " للخاص " : لا يشير " الخاص " إلى الذات الفردية بوصفها مقابلة للارتباطات العامة أو المشتركة، ولكنه نظام مؤسس مشترك لإثبات هوية المرء الخاصة، بينما يشير " العام " إلى عالمية ممارسة عقل المرء المتجاوزة المحلية :

إن الاستخدام العام لعقل المرء يجب أن يكون دومًا حرًا، فإنه وحده يمكن أن يمهد السبيل إلى نشر التنوير بين البشر. أما الاستخدام الخاص لعقل المرء، فمن جهة أخرى، بالإمكان، غالبًا، أن يكون مُقيَّدًا للغاية، على نحو دقيق، بدون إعاقة خاصَّة لعملية التنوير. فعن طريق الاستخدام العام لعقل المرء أفهم الاستخدام الذي يكون في حالة شخص ما بوصفه مثقفًا ومطلعًا على القراءة العامة. أما الاستخدام الخاص للعقل فأنا أعلن بأنه من الممكن أن يكون في حالة المرء الذي عُهد إليه منصبًا أو وظيفةً حكومية أو مدنية[11].

إن التناقض في عبارة كانط : " فكر بحرية، ولكن أطع ! " (التي، بالطبع، تثير سلسلة من المشكلات الخاصة بها، طالما أنها تستند، بالإضافة إلى ذلك، على التمييز بين المستوى " الأدائي " للسلطة الاجتماعية ومستوى التفكير الحر حيثما تكون الأدائية معلقة ومرجأة) هو - إذن - أن يشارك المرء في البعد العالمي للمجال أو المحيط "العام" بوصفه على نحو دقيق فردًا فريدًا منتزعًا من - أو حتى يكون مقابلاً لتحقيق وإثبات هوية المرء العامة المشتركة الجوهرية - طالما أن المرء يكون بالتأكيد عالميًا فحسب عندما يكون فردًا فريدًا بشكل جذري، في فترات تحقيق وإثبات الهويات العامة المشتركة. فكانط هو الذي ينبغي أن يُقرأ هنا بوصفه ناقدًا لرورتي. في رؤيته عن المكان العام الذي يميزه الممارسة الحرة للعقل، يستدعي بعد العالمية التحررية بمنأى عن حدود الهوية الاجتماعية للمرء، حدود مكانة المرء في داخل نظام الوجود (الاجتماعي) - هذا هو على وجه التحديد البعد المفقود بشكل حاسم للغاية عند رورتي.

هذا المكان للعالمية الفردية الفريدة هو، في المسيحية، ما يظهر بوصفه " الروح القدس " - بوصفه مكان جماعية المعتقدين المطروح من خلال مجال المجتمعات العضوية، أو عوالم الحياة الخاصة (" إما اليونانيون أو اليهود "). وبناءً على ذلك، ألا تعد عبارة كانط " فكر بحرية، ولكن أطع ! " هي نسخة جديدة لمقولة السيد المسيح "إعط ما لقيصر لقيصر، وإعط ما لله لله" ؟ "إعط ما لقيصر لقيصر" : أو بتعبير آخر،

---

(11) Immanuel Kant, " What is Enlightenment?" in Isaac Kramnick(ed.), ***The Portable Enlightenment Reader***, New York : Penguin Books 1995, *P*.5.

احترم وأطع عالم – الحياة الشخصية " الخاص " لمجتمعك، أما " وأعط ما لله لله " : أو بتعبير آخر، المشاركة في المكان العالمي لمجتمع المعتقدين. فإن الجماعية البولسية للمعتقدين [أي التابعين للقديس بولس] هو أسلوب – أصلي " لعالم – المجتمع – المدني " الكانطي، ومجال الدولة ذاته يكون إذن في أسلوبه " الخاص " : الخاص بالمعنى الكانطي الدقيق " للاستخدام الخاص للعقل " في حالة الأجهزة الحكومية والإدارية والإيديولوجية.

لقد أطال كانط في مقالته الأخيرة المعنونة باسم " صراع الملكات ***Conflict of Faculties*** " في تلك التأملات عند طرح سؤال بسيط، وإن كان من الصعب الإجابة عليه ألا وهو : هل هناك تقدم حقيقي في التاريخ ؟ (هو قصد التقدم الأخلاقي، وليس مجرد التطور المادي.) فإنه سَلمً بأن التاريخ الواقعي مرتبك ومشوش ولا يسمح ببرهان واضح على موضوع التقدم (فكر - على سبيل المثال - كيف جلب القرن العشرين امتداد وتضخم غير مسبوق للديمقراطية وشرط الرفاهية، ولكنه جلب لنا، بالإضافة إلى ذلك، المحرقة ومعسكرات العمل)، ولكنه مع ذلك استدل على أنه، رغم أن التقدم لا يمكن البرهنة عليه، فبإمكاننا أن نُدرك علامات تدل على كونه ممكنًا. فلقد فسر كانط الثورة الفرنسية بوصفها إحدي هذه العلامات، التي تشير تجاه إمكانية الحرية : فالشعب كله قد طالب بجراءة وشجاعة بحريته ومساواته على نحو ليس متوقعًا ولم يفكر أحد في حدوثه من قبل. فبالنسبة لكانط، ما يُعد غالبًا أكثر أهمية حتى من الواقع الدموي للأحداث في شوارع باريس كان هو الحماس لتلك الأحداث الذي ظهر لعيون الملاحظين المتعاطفين حول أوروبا بأكملها :

إن ثورة الشعب التي حدثت مؤخرًا، والتي هي ثرية في روحها، قد تفشل أو تنجح، وتراكم الشقاء والوحشية، ومع ذلك أنها تثير في قلب الجماهير جميعًا (الذين لم يشاركوا بأنفسهم فيها) تبني موقفًا وفقًا للرغبات التي مصدرها الحماس، والذي كان مجرد التعبير الحقيقي والجوهري عنها محفوف بالمخاطر، يمكن أن تحدث فحسب بسبب ميل أخلاقي في الجنس البشري[١٢].

ينبغي على المرء أن يضع يده هنا على أن الثورة الفرنسية لم تولد الحماس في أوروبا فحسب؛ وإنما ولدت الحماس، بالإضافة إلى ذلك، في الأماكن البعيدة من قبيل هايتي.

---

(١٢) Immanuel Kant, " The conflict of faculties", in *Political Writings*, Cambridge: Cambridge University Press 1991,*P*.182.

فليس شعور الحماس هناك فحسب مجرد شعور المشاهد الكانطي، ولكنه اتخذ كذلك شكلاً عمليًا مستغرقًا في لحظة جوهرية في حدث تاريخي آخر - يتعلق بالعالم ألا وهو : أول ثورة للعبيد السود أو الزنوج التي تتصارع من أجل المشاركة الكاملة في المشروع التحرري للثورة الفرنسية.

إن فوز أوباما في الانتخابات التي جرت بالولايات المتحدة الأمريكية يتعلق - على مستوى معين - بالمسار نفسه. بوسع المرء بل وينبغي عليه أن يقبل شكوك [نعوم تشومسكي] الكلبية عن العواقب الحقيقية والواقعية لفوز أوباما : من منظور واقعي - براجماتي، ومن المحتمل إلى حدٍّ ما أن أوباما سوف يثبت في النهاية إنه " بوش بوجه إنساني "، بحيث لن يقوم إلا ببعض الإصلاحات الطفيفة. فإنه سوف يواصل السياسة الرئيسة نفسها بطريقة أكثر جاذبية وفعالية، وبالتالي تعزيز هيمنة الولايات المتحدة الأمريكية، التي تضررت من كارثة سنوات بوش. ومع ذلك، هناك شيئًا ما خاطئ بعمق في مثل هذا التصور- بعدًا جوهريًا مفقودًا. وعلى ضوء التصور الكانطي عن الحماس ينبغي ألا يُرى فوز أوباما على نحو يسير بوصفه تحولاً آخرًا في الصراع البرلماني الأبدي للأغلبية، بكل حساباته وتلاعباته البراجماتية السياسية. بل أنه علامة على شيء ما أكثر من ذلك. وهذا هو سبب بكاء صديقي الأمريكي الحميم - اليساري عصي الدمع المتجرد من الأوهام - لعدة ساعات عندما أعلنت الأخبار عن فوز أوباما. وأيًا كانت شكوكنا، ومخاوفنا وظنوننا في تلك اللحظة من الحماس، فنحن جميعًا كنا أحرارًا ومشاركين في الحرية العالمية للإنسانية.

فوز أوباما ولد مثل هذا الحماس الذي لم يكن مجرد حقيقة - ضد المجموعات غير المتجانسة بأكملها - قد حدثت بالفعل فحسب، ولكنه أظهر إمكانية حدوث مثل هذا الأمر. ويجب أن ينطبق ذلك على الانشقاقات التاريخية العظيمة كلها - لنستدعي سقوط سور برلين. رغم أننا جميعًا نعرف عدم كفاءة أنظمة الحكم الشيوعي، وإننا لم "نعتقد بالفعل" بكيفية ما بأننا قد نُسحق ونحطم - كمثل هنرى كيسنجر، إلا أننا جميعًا ضحايا أكثر بكثير لبراجماتية كلبية. ويعد أفضل تعبيرًا عن هذا التوجه هو العبارة الفرنسية التي تقول : أنا أعرف جيدًا بأنه يمكن أن يحدث، ولكن الأمور جميعها متشابهة (لا يمكنني أن أقبل بالفعل بأنه سوف يحدث). هذا يوضح - رغم أن فوز أوباما كان قابل للتنبؤ به بوضوح، على الأقل في آخر أسبوعين سابقين على الانتخاب - إلا أنه قد اختبر فوزه الواقعي كما لو كان - بمعنى ما- حدثًا مفاجئًا، شيئًا ما قد حدث بشكل غير قابل للتفكير فيه، ولم نعتقد بأنه كان من الممكن حدوثه. (لاحظ أن هناك

أيضًا نسخة تراجيدية لما اتخذ بالفعل مكانًا غير قابل للتفكير فيه : المحرقة، ومعسكرات العمل الروسية كيف يكون بوسع المرء أن يقبل إمكانية حدوث مثل هذا الأمر ؟)

هذا هو، بالإضافة إلى ذلك، الأسلوب الذي ينبغي على المرء أن يُجيب به على أولئك الذين يشيرون إلى كل التسويات والحلول الوسط التي كان يجب على أوباما القيام بها ليصبح مؤهلاً للانتخاب. إن الخطر في إقامة أوباما لحملته السياسية هو أنه كان ينطبق عليه بالفعل الرقابة التاريخية الأخيرة التي طبقت على مارتن لوثر كينج، أي تطهير برنامجه الانتخابي من الموضوعات المثيرة للنزاع لضمان شروط انتخابه وتأمينها. هناك حوار مشهور في المحاكاة الدينية التهكمية الساخرة لمونتي بيثون Monty Python المعنونة باسم " **حياة بريان *The Life of Brian*** " يقحم فلسطين في زمان السيد المسيح : حيث يبرهن قائد تنظيم المقاومة الثورية اليهودية بشكل انفعالي على أن الرومان قد جلبوا فحسب الشقاء والتعاسة لليهود، عندما أشار تابعيه بأنهم مع ذلك قد ادخلوا التعليم، وبنوا الطرق، وشيدوا نظام الري، وإلخ، ويستدل منتصرًا : " حسنًا، ولكن بمنأى عن الصحة، والتعليم، والدواء، والنبيذ، والصالح العام، والري، والطرق، ونظام الماء - العذب والصحة العامة، فما الذي قد فعله الرومان من قبل لنا؟ " ألا تتبع آخر تصريحات أوباما المسار نفسه ؟ " أنا أؤيد الاطاحة الجذرية لسياسة بوش! حسنًا، أنا أدافع عن المساندة الكاملة لإسرائيل، ولاستمرار الحرب ضد الإرهاب في أفغانستان وباكستان، ولرفض مقاضاة أولئك الذين نظموا للتعذيب وإلخ، ولكن مازلت أؤيد الاحاطة الجذرية بسياسة بوش !" إن خطاب توليّة أوباما دَلّ على هذه العملية " للتطهير السياسي الذاتي " - الذي يوضح سبب كونها تبدو كأنها خيبة أمل حتى بالنسبة للعديد من الليبراليين - اليساريين في الولايات المتحدة الأمريكية. إنه كان خطابًا بارعًا - تمامًا، ولكنه خطاب ضعيف بشكل عجيب يحمل رسالة " لجميع الشعوب والحكومات الأخرى التي تشاهدونه اليوم "، كانت هي : " إننا مستعدون إلى أن نقود مرة أخرى "، " إننا لن نعتذر عن أساليب حياتنا، ولن نتردُّد في دفاعنا ".

في أثناء الحملة الانتخابية، كان يُلاحظ غالبًا أن أوباما عندما تحدث عن " جراءة الأمل "، عن التغير الذي بالإمكان الاعتقاد فيه، فإنه استند إلى أسلوب بلاغي يفتقر إلى أي مضمون محدد : فما الذي نأمل فيه ؟ ما الذي يتغير ؟ حاليًا تكون الأشياء أوضح قليلاً : يقترح أوباما تغيرًا تكتيكيًا مُوَجَّهًا إلى إعادة تأكيد الأهداف الرئيسة لسياسة الولايات المتحدة الأمريكية : الدفاع عن أسلوب الحياة الأمريكي، ودور قيادي للولايات المتحدة الأمريكية عالميًا. فإمبراطورية الولايات المتحدة الأمريكية ستكون حاليًا مفرطة في الإنسانية، وأكثر احترامًا للآخرين، إنها ستقود نحو الحوار، بدلاً من الفرض الوحشي

الفظ لإرادتها. فإذا كانت حكومة بوش إمبراطورية بوجه وحشي فظ، فبإمكاننا حاليًا أن يكون لدينا إمبراطورية بوجه إنساني - ولكنها ستكون الإمبراطورية نفسها. إن خطاب أوباما الذي ألقاه في يونيه ٢٠٠٩ بالقاهرة، الذي حاول فيه أن يبلغ إلى العالم الإسلامي، فإنه صاغ المناقشة في حدود محو الطابع السياسي من حوار الأديان (وليس فحسب من حوار الحضارات) - هذا كان أوباما في أسْوَأ أحواله صائب - سياسيًا.

ومع ذلك، مثل هذه الرؤية التشاؤمية تعد قاصرة. إن الموقف العالمي لا يعد فحسب واقعًا فظًا ؛ وإنما يتحدد - أيضًا - بحدوده الإيديولوجية، أي يتحدد بما يكون مرئيًا وغير مرئيًا بداخله، ما يمكن قوله وما لا يمكن قوله. لنستدعي رد إيهود باراك Ehud Barak على جدعون ليفي Gideon Levy في جريدة " هآرتس ***Ha□aretz*** " الإسرائيلية، فمنذ أكثر من عقد مضى، عندما سُئل ما الذي كنت ستفعله إذا ولدت فلسطينيًا، فأجاب بقوله : " كنت سأنضم إلى تنظيم إرهابي ". هذه العبارة لا يوجد قط شيء مهما كان تفعله مع التصديق على الإهارب - ولكنها كانت تمتلك كل شيء تقوم به لفتح مجالاً للحوار مع الفلسطنيين. لنتذكر شروع جورباتشوف في شعارات حروب الألبيريسترويكا perestroika والجالاسنوست glasnost - فلا يعنينا ما الذي " يعنيه بالفعل " بهما، فهو يطلق العنان للانهيار الذي غير العالم. أو لنتاول مثالاً سلبيًا : في الوقت الراهن، حتى أولئك الذين يقاومون العذاب يقبلونه بوصفه موضوعًا للمباحثة والجدال العام - ارتداد رئيس في حديثنا العام أو المشترك. الكلمات ليست أبدًا مجرد "كلمات فحسب"، إنها موضوع تأمل لأنها هي التي تُعين حدود ما يمكننا القيام به.

ومن هذا الاعتبار إذن، قد أظهر أوباما بالفعل قدرة فائقة على تغير حدود ما بوسع المرء أن يقوله علنًا. فأعظم إنجاز له من الآن فصاعدًا هو أنه - في أسلوبه اللا-استفزازي الدقيق، قد أدخل في خطابه العام موضوعات قد كانت قَبْلئذ في الواقع يتعذر قولها : كالأهمية المستمرة للسباق في السياسة، والدور الإيجابي للملحدين في الحياة العامة، وضرورة أن نتحدث مع " الأعداء " من قبيل إيران أو حماس، وإلخ. هذا هو بالضبط ما تحتاج إليه في الوقت الراهن سياسة الولايات المتحدة الأمريكية أكثر من أي شيء آخر ؛ إذا كانت في حالة هروب من شبكتها المغلقة : الكلمات الجديدة التي سوف تغير أسلوب تفكيرنا وفعلنا.

العديد من أفعال أوباما بوصفه رئيسًا تشير بالفعل إلى هذا الاتجاه (خططه التعليمية والرعاية الصحية، وتقديم عروضه على كوبا وسائر الدول "المتشردة"*،على سبيل المثال). ومع ذلك، كما لاحظنا بالفعل، إن تراجيديا أوباما الواقعية تتمثل في أنه لديه كل فرصة للتحول ليكون المخلص الرئيس للرأسمالية وكأحد الرؤساء الأمريكان المحافظين العظماء. هناك أشياء تقدمية يمكن لمحافظ مع مسار الاعتمادات الوطنية المستقيم الصعب القيام بها : كان ديجول de Gaulle وحده قادرًا على أن يمنح الاستقلال للجزائر Algeria، وكان الرئيس الأمريكي نيكسون Nixon وحده قادرًا على تأسيس العلاقات مع الصين - وفي كلتا الحالتين، كان لدينا رئيسًا تقدميًا قام بتلك الأشياء، فهو قد كان بإلحاح مهتمًا توًا بتضليل الاهتمامات المحلية - خيانة الشيوعيين أو الأرهابيين، وإلخ. يبدو أن مأزق أوباما، على نحو دقيق، مأزقًا مضادًا : إذ تُمكنه اعتماداته " التقدمية " من تأكيد ضرورة " إعادة الإصلاحات البنائية " لترسيخ النظام.

ومع ذلك، لابد من تلك النتائج بوصفها ربما تبرهن على استحالة تضاءل قيمة الحماس الكانطي الأصيل التي أثارها فوز أوباما وحُرّكها. فالرسالة كانت علامة على التاريخ بالمعنى الكانطي الثلاثي للعلامة الاسترجاعي، والإشاري، والتشخيصي : علامة يدوي فيها ذاكرة الماضي الطويل للعبودية والصراع من أجل القضاء عليها، حدث يُظهر تغير فوري، وأمل في إنجازات المستقبل. لا نندهش من أن فوز أوباما وهب الميلاد لهذا الحماس العالمي نفسه حول العالم كله، بشعب يشنق نفسه في الشوارع من برلين Berlin إلى ريو دو جانيرو Rio de Janeiro(*). فكل ما يتبدى في مذهب الشكية خلف الأبواب المغلقة قد دُحِض عن طريق العديد من التقدمات القلقة (فماذا لو، في عزلة مقصورة التصويت، خرجت العنصرية المنكرة علانية إلى حيز الوجود من جديد ؟).

---

* يقصد هنا جيجك بهذا الوصف لتلك الدول بأنها تشرد عن النظام العالمي بعدم اعترافها بالديمقراطية وانتهاكها لحقوق الإنسان مما أدى إلى فرض الحظر عليها. ولكن، أبدى الرئيس أوباما استعداده أن يبدأ معهم - وعلى وجه التحديد مع كوبا - من جديد. (المترجم).

* ريو دو جانيرو : هي ثاني أكبر مدينة في البرازيل، وكانت عاصمة للبرازيل من عام ١٧٦٣ حتى ١٨١٥. (المترجم).

في هايتي :

ومع ذلك، لازال هذا كله غير كافيًا إذا أردنا أن نتحدث عن الشيوعية. فما الذي نفتقر إليه هنا - إذن - في مثل هذا الحماس الكانطي ؟ كي يقترب المرء من الإجابة، يجب عليه أن يتوجه إلى هيجل، الذي شارك كانط كليةً في فكرته عن الحماس في سياق وصفه لتأثير الثورة الفرنسية :

بناءً على ذلك، كان هذا بزوغ عقلي مجيد. شاركت الموجودات المفكرة جميعها في هتاف الانتصار لهذه الحقبة. ففي ذلك الوقت قد آثار طابع الانفعالات السامية عقول البشر ؛ إذ إن الحماس الروحي كان يسري خلال العالم، كما لو كان التوفيق بين اللاهوتي أو المقدس والعلماني يعد بمثابة الإنجاز الأول [١٣].

ولكنه أضاف على الأقل شيئًا ما حاسمًا بشكل ضمني. كما قد أظهرت سوزان باك- مورس Susan Buck- Morss في مقالتها المعنونة باسم " **هيجل وهايتي** *Hegel and Haiti*"[١٤]، أن بزوغ ثورة العبيد الناجحة في هايتي التي أدت إلى تكوين جمهورية هايتي الحرة، كانت ساكنة و، لهذا السبب، يعد كل شيء بمثابة نقطة - مؤثرة وفعالة في الإشارة إلى (أو السبب الغائب) جدلية السيد والعبد عند هيجل، الذي يعد أول تقديم لها في " **مخطوطات جينا** *Jena manuscripts*" وتطورت أكثر فيما بعد في كتابه المعنون باسم **فينومينولوجيا الروح** *Phenomenology of Spirit*. فعبارة بوك - مورس البسيطة التي تصرح فيها قائلة بأنه : " ليس هناك شكًا في أن هيجل وهايتي يتعلقان ببعضهما البعض " تدرك بشكل موجز النتيجة المتفجرة للمحيط - الضيق بين الحدين المتغايرين[١٥]. " هيجل وهايتي " - هذه هي أيضًا أكثر صياغة بليغة - بالطبع - للشيوعية.

كما عبر عن ذلك لويس سالا - مولينس Louis Sala- Molins بصرامة حادة بقوله إن:" فلاسفة التنوير الأوروبيون شجبوا العبودية، ماعدا ما هو موجود بالفعل"[١٦]. ورغم أنهم شكوا من أن الناس كانوا - (يتحدثون بأسلوب مجازي) - " عبيدًا " للقوى الملكية الطاغية، فإنهم تجاهلوا العبودية الفعلية التي قد تفجرت بشكل متزايد

---

[١٣] G.F.W. Hegel, *The Philosophy of History*, New York : Dover 1956.

[١٤] First published in 2000 as an essay in Critical Inquiry, then expanded into a book : Hegel, Haiti , and Universal History, Pittsburgh : University of Pittsburgh Press 2009.

[١٥] *Hegel, Haiti*, and Universal History , *P*. 20.

[١٦] Ibid., *P*.149.

تدريجيًا في المستعمرات، بحيث تغاضوا عن أسس العنصرية - الثقافية. عندما ثارت ثورة العبيد السود في هايتي - كصدى للثورة الفرنسية - فقد أعلنت مبادئ الحرية، والمساواة، والإخاء نفسها، فكانت هذه هي " البُوْتقة "، والتجربة التي من أجلها أشعلت نيران أفكار التنوير الفرنسي. ويعرفها كل أوروبي كان جزءًا من القراءة البرجوازية العامة. " فعيون العالم حاليًا على سانتو دومينجو St.Domingo " [*][17]. في هايتي، ما يتعذر التفكير فيه (فيما يتعلق بالتنوير الأوربي) اتخذ مكانًا : " فقد دخلت الثورة الهايتية التاريخ بطابع وجودها المميَّز الخاص غير قابل للتفكير فيه حتى لو كانت قد حدثت بالفعل "[18]. " إن ثورة العبيد - السابقة في هايتي اتخذت شعارات الثورة الفرنسية بمعناها الحرفي أكثر مما اتخذها الفرنسيون أنفسهم : فإنهم تجاهلوا كل المؤهلات المضمرة التي كثرت في إيديولوجيا التنوير (كالحرية - وإن كانت فحسب من أجل الذوات " البالغة " العاقلة، وليس من أجل البرابرة الهمجيين الذين وُجِبَ عليهم أولاً أن يتلقوا مرحلة طويلة من التعليم كي يستحقوا الحرية والمساواة). وهذا قاد إلى تصعيد اللحظات " الشيوعية "، مثلما حدث عندما اقترب الجنود الفرنسيون (الذي أرسلهم نابليون ليخمدوا التمرد وليعيدوا العبودية) أكثر من جيش العبيد السود المتحررين (ذاتيًا). إذ إنهم عندما سمعوا في بداية الأمر عن التمرد الغامض للحشد الأسود، قد افترضوا للوهلة الأولى بإنه يجب أن يكون نوعًا من ترتيلة الحرب العَصَبيّة - ولكن حينما اقتربوا أكثر من الحدث - أدركوا أن الهايتيين كانوا يغنون نشيد المرسيتيز [نشيد فرنسا الجمهوري]، وبدءوا يتساءلون بمنأى عن الضجيج والصخب عما إذا كانوا يحاربون في الجانب الخاطئ أم لا. فمثل هذه الأحداث قد شرعت العالمية بوصفها مقولةً سياسيةً. بحيث تكون فيها - مثلما قالت بوك - مورس - : " الإنسانية العالمية مرئية على الحدود "[19] :

بدلاً من منح ثقافات عديدة متميزة حقًّا متساويًا، الذي تُدرك به الشعوب بوصفها جزءًا من الإنسانية على نحو غير مباشر خلال تأمل الهويات الثقافية الجماعية، تخرج

---

* سانتو دومينجو : هي مستعمرة فرنسية تقع على البحر الكاريبي، ظلت مستعمرة من ١٦٥٩ حتى أصبحت دولة مستقلة في عام ١٨٠٤. وكانت تشتهر بصناعة السكر حتى أنها أصبحت واحدة من أغنى المستعمرات الفرنسية في القرن ١٨. (المترجم).

(17) Ibid., *P*.42.

(18) Michel-Rolph Trouillot,quoted in ibid. *P*.50.

(19) Ibid., *P*.151.

عالمية إنسانية إلى حيز الوجود في الحدث التاريخي عند نقطة الانشقاق والانقطاع. إنه في انقطاعات التاريخ حينما قاوم الشعب الذي يملك ثقافة معينة نقطة الانقطاع فإنه عبَّر عن إنسانية تتعدى نطاق الحدود الثقافية. وإنه في تحقيق وإثبات هويتنا المؤكدة مع هذه الحالة العطبة والحرة والغفلة، لدينا فرصة لفهم ما يقولونه. فالإنسانية العامة أو المشتركة توجد رغمًا عن الثقافة واختلافاتها. فإن لاهوية الشخص مع السماح الجماعي بالاتحادات والتضامنات الباطنية التي لديها فرصة مناشدة العاطفة الأخلاقية والعالمية، هما أصل الحماس والأمل في الوقت الراهن[٢٠].

تُعد هنا بوك - مورس حجة دقيقة ضد شعر التنوُّع فيما بعد الحداثة : الأخير يحجب الذاتية الكامنة للعنف الوحشي الفظ المُشرع عن طريق الثقافات والأحكام المتنوعة ثقافيًا : " هل لازال بالإمكان أن نبقى راضين وقانعين بطلب معرفة " الحداثات المتعددة"، مع سياسة " التنوع "، أو " تعدد الاستخدامات "، عندما تمثل لا إنسانيات تلك التعددات في الحقيقة الشيء نفسه بشكل ملفت للانتباه غالبًا؟[٢١] " ولكن، ربما يتساءل المرء، ألم يكن غناء " العبيد - السابقين " لنشيد المرسيتيز في الأصل دليلاً على التبعية والخضوع الاستعماري - حتى في حريتهم - الذاتية، ألم يجب على السود أن يتبعوا الأسلوب التحرري للولاية الأم الاستعمارية ؟ وألم يكن هذا مماثل لفكرة أنه ينبغي على المعارضين المعاصرين لسياسة الولايات المتحدة الأمريكية أن يغنوا نشيد السلام الوطني للولايات المتحدة الأمريكية [*] ؟ بالتأكيد، هل سيوجد الفعل الثوري الحقيقي كي يغني المستعمرون أغاني المستعمرة ؟ إن الخطأ في هذا التعنيف يكون مزدوجًا. الأول، بخلاف ما يبدو، يعد أكثر قبولاً بكثير بالنسبة للقوة الأستعمارية أن ترى شعبها المستعمر يشدوا الأغاني الأخرى (عن المستعمرة) من أن تراها تشدوا الأغاني التي تعرب عن هويتهم الخاصة - بوصفه علامةً على التسامح واحترام المناصرة، فالمستعمرون يودون أن يتعلموا ويغنوا أغاني المستعمرة أما الخطأ الثاني فيتمثل، وعلى نحو مهم أكثر بكثير، في أن رسالة نشيد المرستيتز عند جنود هايتي ليست " أنت ترى، وحتى نحن نرى، أن السود الأصليين قادرين على مماثلتنا بثقافتكم العليا وسياستكم، وأن يحاكونها بوصفها نموذجًا ! " ولكنها على نحو أكثر دقة وتحديدًا هي أنه : " في هذا الصراع، إننا نكون فرنسيون أكثر منكم، أيها الفرنسيون، - فإننا نقاوم من أجل النتائج

[٢٠] Ibid., *P*.133.

[٢١] Ibid., *P*. 138-9.

[*] Stars and Stripes : علم الولايات المتحدة الأمريكية ذو الأشرطة والنجوم. (المترجم).

الأعمق لإيديولوجيتكم الثورية، النتائج الحقيقية والجوهرية التي لم تكونوا قادرين على افترضها ". رسالة كهذه لا يمكنها إلا أن تكون مُقلقة بعمق للمستعمرين - وأنها لن تكن بالتأكيد رسالة موجه لأولئك الذين - في الوقت الراهن - قد ينشدون أغنية السلام الوطني للولايات المتحدة الأمريكية عندما يواجهون جيش الولايات المتحدة الأمريكية. (رغم ذلك - باعتبارها تجربةً فكر - إننا إذا تخيلنا موقفًا بالإمكان فيه أن يصبح هذا الأمر بمثابة رسالة، فلا يوجد قط شيء يمثل إشكالية أولية في القيام بمثل هذا الأمر).

في يوم ما نحن نكمل كليةً هذه الرسالة، نحن الرجال والنساء اليساريون البيض أحرارٌ في أن نخلف وراءنا عملية التعذيب - الذاتي الدائمة بالذنب الصائبة سياسيًا. رغم أن نقد باسكال بروكنر للحزب اليساري المعاصر يقترب غالبًا من العبث [٢٢]، إلا أن هذا لا يمنعه من توليد البصائر والرؤى المناسبة أحيانًا - فليس بوسع المرء إلا الإتفاق معه عندما لاحظ في الجَلْد - الذاتي الأوروبي الصائب سياسيًا شكلاً متحوِّلاً للتعلق بتفوق المرء. أينما يهاجم على الغرب، فليست استجابته الأولى دفاعًا عدوانيًا؛ وإنما كانت سبر- ذاتي : فما الذي فعلناه لنستحق ذلك الهجوم ؟ إننا في الأصل نُلام على شرور العالم، فكوارث العالم الثالث والعنف الإرهابي تكون مجرد استجابات على نحو خالص على جرائمنا. إن الشكل الإيجابي لمسؤولية الإنسان الأبيض (أي مسؤوليته إزاء تحضر البرابرة المستعمرين) حل إذن محل الشكل السلبي (أي مسؤولية الإنسان الأبيض عن ذنبه) : إذا لم نعد نستطع أن نكون أسياد خيرين للعالم الثالث، فبإمكاننا على الأقل أن نكون الأصل المميز للشر، نجرد الآخرين من تحمل المسؤولية عن مصيرهم على نحو مناصر ومؤيد لهذا الموقف (فعندما تتورط دولة من دول العالم الثالث في الجرائم المرعبة، فإنها لن تكون مسؤوليتها الخاصة كليةً، ولكن يكون ذلك دومًا بعد - تأثير الأستعمار : إنهم يحاكون على نحو خالص ما اعتاد أسيادهم المستعمرين على القيام به، وإلخ) :

إننا بحاجة إلى كلاشيهاتنا الهزيلة الشقية عن أفريقيا، وآسيا، وأمريكا اللاتينية لتأييد وإثبات كلاشيه الغرب المُهلك، والنهَّاب. فضائحنا الصاخبة تسهم فحسب في حجب الحب - الذاتي الجريح : فإننا لم نعد نصنع القانون. فسائر الثقافات الأخرى تعرفه، بل وإنهم يستمرون في إدانتنا فحسب كي يهربوا من أحكامنا عليهم [٢٣].

---

(٢٢) See, for example , his footnote elaborating on Alain Badiou's alleged anti-semitism, in ***Bruckner's La Tyrannie de la penitence***,Paris : Grasset 2006,*P*.93.

(٢٣) Ibid., *P*. 49.

إن الغرب - إذن - لِحق بأفضل ترجمة لمأزق الأنا العليا النموذجية عن طريق عبارة دوستويفسكي Dostoyevsky المشهورة في روايته " الأخوة كارمازوف ***The Brothers Karamazov***" الذي يصرح فيها قائلاً : " جميعنا مذنبون إزاء كل واحد من أجل كل واحد، وأنا مذنب أكثر من الآخرين ". ولذلك معظم الغرب يعترف بجرائمه، ومعظمهم يتولد لديه شعورًا بأنه مُدان. تتيح لنا هذه البصيرة، بالإضافة إلى ذلك، أن نكتشف خداعًا مشابهًا في أسلوب معين من نقد دول العالم الثالث للغرب : إذا كان الشجب - الذاتي المستمر لدى الغرب يعمل بوصفه محاولةً يائسةً لإعادة تأكيد تفوقنا، فإن السبب الحقيقي في كراهية البعض في العالم الثالث ورفضهم للغرب لا يكمن في الماضي الاستعماري وتأثيراته المستمرة ؛ وإنما يكمن في روح النقد - الذاتي التي قد أظهرها الغرب في إنكار ونبذ هذا الماضي، مع المطالبة الضمنية للآخرين بممارسة أسلوب الاقتراب من النقد - الذاتي نفسه : " ليس الغرب قانطًا بسبب أخطائه الواقعية، ولكن لمحاولته لتعويضهم ؛ لأنه كان أول من حاول أن يستأصل ذاته من الوحشية الخاصة، داعيًا بقية العالم أن يتبعه "[٢٤]. لا يمثل التراث الغربي فحسب مجرد مركز للسيادة الإمبريالية ما بعد الاستعمارية بشكل مؤثر وفعال ؛ وإنما هو أيضًا تراث الاختبار النقدي - الذاتي لعنف الغرب نفسه واستغلاله للعالم الثالث. ليست المستعمرة الفرنسية هايتي فحسب ؛ وإنما أيضًا الثورة الفرنسية أعدوا الأساس الإيديولوجي للتمرد والثورة التي حررت العبيد وأسست هايتي المستقلة، بحيث كانت عملية محو - الاستعمار في حيز التنفيذ عندما طالبت الأمم المستعمرة لذاتها الحقوق نفسها التي اتخذها الغرب لنفسه. أو بإيجاز، ينبغي على المرء ألا ينسى أبدًا أن الغرب أمده بالأسس الحقيقية والجوهرية التي عن طريقها (وعن طريق نقده) يقيس ماضيه الإجرامي الخاص. إننا نتعامل هنا مع جدلية الشكل والمضمون : عندما تطالب الدول المستعمرة بالاستقلال وتُشرع " العودة إلى الجذور " ؛ فإن الشكل الحقيقي والجوهري لهذه العودة (أي لحالة - الأمة المستقلة) هو - إذن - الشكل الغربي. وبالتالي، حتى في هزيمة الغرب الجوهرية (في حالة فقدان المستعمرات)، فإنه - إذن - ينتصر، عن طريق فرض شكله الاجتماعي على الآخر.

إن الدرس المستفاد من المقالتين الموجزتين لماركس عن الهند المعنونان باسم (" القانون البريطاني في الهند ***The British Rule in India*** "، و " النتائج المستقبلية للقانون البريطاني في الهند ***The Future Results of British Rule in India*** ") في

---

[٢٤] Ibid., *P*.51.

عام ١٨٥٣ – اللذان أُستبعدا عادةً من دراسات ما بعد الاستعمارية بوصفها حالات مربكة ومحيرة " لحزب الوسط الأوروبي " الماركسي - تعد في الوقت الراهن أكثر ملائمة من ذي قبل. يسلم ماركس – بلا تحفظات - بالوحشية والرياء الاستغلالي من قِبل الاستعمار البريطاني في الهند، الذي لا يتطلب منه إلا " الاستعانة بمصادر خارجية " إلى الهند بما في ذلك الاستخدام المنظم للتعذيب المحظور في الغرب (فلا يوجد قط شيء جديد بالتأكيد تحت شمس – معتقل جوانتانامو الذي وُجِدَ بالفعل في منتصف القرن التاسع عشر بالهند البريطاني) إن : " الرياء العميق والبربرية الفطرية للحضارة البرجوازية يبقيان مكشوفان أمام أعيننا، ويتجهان من موطنهما الأصلي - حيث يفترضان أشكال جديرة بالاعتبار - إلى المستعمرات، حيث صارا مكشوفان"[٢٥]. كل ما يضيفه ماركس هو :

لقد حطمت إنجلترا الهيكل الكامل للمجتمع الهندي، وبدون ظهور لأية علامات بعد على إعادة التأسيس. فهذا الفقدان لعالمه القديم، بدون البلوغ لعالم جديد، قد أضفى نوعًا خاصًا من الماليخونيا [نوع من الجنون أو داء السوداء] على شقاء وتعاسة الهندي الحالية، وفَصَلَ الهندُسْتان Hindustan، التي يحكمها البريطانيون، عن تقاليدها القديمة بأكملها، وعن تاريخها القديم برمته ففي الحقيقة، أن ما كان يُحرك فحسب إنجلترا – في إحداثها لثورة اجتماعية في الهندستان – هو الاهتمامات والمصالح الدنيئة، وكانت حمقاء في أسلوب إجبارها لهم. ولكن ليس هذا هو السؤال المطروح. ولكنه هو، هل يمكن للجنس البشري أن يكمل مصيره بدون إحداث ثورة رئيسة في الحالة الاجتماعية لأسيا ؟ ليس بالإمكان - مهما كانت الجرائم التي قد ارتكبتها إنجلترا – ألا نعتبرها أداة غير واعية للتاريخ مهدت السبيل لتلك الثورة[٢٦].

ينبغي على المرء ألا يستبعد الحديث عن " الأداة غير الواعية للتاريخ " بوصفها تعبيرًا عن الغائية الساذجة، وبوصفها تعبيرًا عن الثقة في العقل البارع الذي يجعل حتى الجرائم الدنيئة أدوات للتقدم – والمغزى هو على نحو يسير أن الاستعمار البريطاني للهند أبدع شروطًا للتحرير المزدوج لها : تحريرها من قيود تقاليدها الخاصة مثلما يكون تحريرها من الاستعمار ذاته. عند استقبال مارجريت تاتشر Margaret Thatcher في عام ١٩٨٥، قد طبق الرئيس الصيني على الصين عبارة ماركس عن دور

[٢٥] Karl Marx , " The Future Results of British Rule in India ", in ***Surveys From Exile***, edited and introduced by David Fernbach, Harmondsworth: Penguin 1973,*P*.324.
[٢٦] Karl Marx," The British Rule in India ", in ibid., *PP*. 302-3,306-7.

الاستعمار البريطاني في الهند : "قد أيقظ الاحتلال البريطاني الصين من سُباتها القديم"[٢٧]. بمنأى عن الإشارة المستمرة لإذلال الذات في مواجهة القوى الاستعمارية السابقة، عبارات كهذه تعرب عن " ما بعد - بعد الاستعمارية "، أي أنها تفصح عن الاستقلال الكامل : فلكي يسلم المرء بالتأثير الإيجابي للاستعمار، يجب عليه أن يكون حرًا بالفعل وأن يكون قادرًا على أن يخلف وراءه أثاره الأليمة. (و، الرفض بشكل متماثل، للوم - الذاتي، بينما الإدعاء - ولِمَ لا - بكبرياء تام بأن ميراث المرء التحرري، يعد أمرًا واجبًا ولازمًا : لتجديد الحزب اليساري المعارض وإنعاشه).

إن فرانز فانون Frantz Fanon هو الشخص الذي لا يمكن أن يكون متهمًا بالتعامل بمودة ولين مع المستعمرين: فأفكاره عن القوة التحررية من العنف تثير الحيرة بالنسبة للعديد من المنظرين لنظريات ما بعد الاستعمارية الصائبة سياسيًا. ومع ذلك، بوصفه مفكرًا بارزًا وعلى دراية بالتحليل النفسي، فهو أيضًا - بالرجوع إلى عام ١٩٥٢- أعد أكثر التعبيرات صرامة لرفض استخدام ذنب المستعمرين لصالحه :

أنا إنسان، وما يجب عليّ أن استردَّه هو ماضي العالم كله. ولست مسؤولاً وحدي عن ثورة العبيد في سانتو دومينجو. في كل وقت، كان يساهم إنسان في الانتصار لكرامة الروح، وفي كل وقت كان يقول إنسان لا لمحاولة قمع تابعيه، فأنا شعرت بالاتحاد والتضامن مع فعله. لم يجب مطلقًا أن تُصور دعوتي الرئيسة من خلال لون الشعوب. ولم يجب مطلقًا عليّ أن أكرس نفسي لإنعاش حضارة السود المتجاهلة بشكل جائر. فأنا لن أجعل نفسي إنسان لأي ماضي فجلدي الأسود ليس مستودعًا للقيم المحددة ألا أملك أشياء أفضل لأقوم بها على هذه الأرض من ثأر السود في القرن السابع عشر ؟ أنا بوصفي لون إنسان ليس لي حق الأمل بأنه سيكون هناك في نفس الإنسان الأبيض تبلورًا للذنب تجاه ماضي جنْسي. أنا بوصفي لون إنسان ليس لي حق في البحث عن أساليب تميز كبرياء سيادتي المُشكلة. أنا ليس لي حق ولا واجب في المطالبة بتعويضات لأسلافي المقهورين. فليس هناك مهمةً سوداء، وليس هناك مسؤولية بيضاء أنا لا أريد أن أكون ضحية خدعة العالم الأسود هل سأسأل البشر البيض في الوقت الراهن عن مسؤوليتهم عن تجار العبيد في القرن السابع عشر ؟ هل سأحاول بكل الوسائل المتاحة أن أبث بُرعم الشعور بالذنب في نفوسهم ؟ أنا لست عبدًا في العبودية التي محت - الطابع الإنساني من أسلافي فسيكون اهتمامًا ضخمًا أن نكشف عن أدب أو معمار السود بدءًا

---

[٢٧] Quoted from Bruckner, *La Tyrannie de la penitence, P.*153.

من القرن الثالث قبل الميلاد. إذ سيسعدنا أن نتعلم وجود التوافق بين بعض الفلاسفة السود وأفلاطون. ولكن، ليس بإمكاننا أن نُدرك مطلقًا كيف ستغير هذه الحقيقة حيوات أطفال يناهز عمرها الثماني سنوات وتعمل في حقول قصب السكر بمارتينك Martinique أو جويادولوب Guadeloupe فأنا أجد نفسي في العالم وأدرك بأنني لدي حق واحد فقط : هو المطالبة بالسلوك والمعاملة الإنسانية من قِبل الآخر[٢٨].

على مدار السطور نفسها، ينبغي على المرء أن يواجه بشكل نقدي إقصاء صدري الخياري Sadri Khiari الفظ لمحاولات اليساريون الفرنسيون لإعداد الأوراق الملائمة من أجل من هم "بدون - أوراق" (أي من أجل المهاجرين " غير الشرعيين") :

لدى اليساري الأبيض أيضًا موطن ضعف بسبب من هم " بدون - أوراق ". وبلاشك، بسبب أن الأخير لا يوجد قط ". ولكي يوجد إلى حدٍّ ما، أُجبر على أن يطلب المساعدة من الحزب اليساري المعارض. فلا يوجد من هو بدون - أوراق قط لأنه - لكي يوجد - يجب عليه أن يُهدّد بالقضاء على وجوده الخاص. فالبرهان بأنني أوجد - كما يقول - هو أنني أحتضر. وهو يتوقف عن إطعام نفسه. ويرى الحزب اليساري في هذا الأمر سببًا وجيهًا للإعلان عن الحق : " أعطيه الأوراق ومن ثم فإنه سيُطعم نفسه ويكف عن أن يوجد !" بما إنه إذا حصل على الأوراق، فإنه لم يعد بدون - أوراق، و، إذا كان بدون - أوراق، فإنه لم يوجد قط، أما عندما يكون لديه أوراق، فإنه لم يوجد فحسب، وهذا كل ما في الأمر. هذا تقدم بعض الشيء[٢٩].

إن المنطق المباطن واضحًا ومقنعًا : ليس لدى العامل المهاجر الذي "بلا مستندات" وضعًا شرعيًا، ولذلك، إذا لوحظ كلية، فإنه سيكون بمثابة تهديد خارجي مظلم على أساليب حياتنا ؛ وإنما في يوم ما سيحصل على أوراقه وسيكون وضعه شرعيًا، فإنه يكف مرة أخرى عن أن يوجد بشكل ملائم، طالما أنه يصبح غير مرئيًا في موقفه المحدد. على أية حال، فهو يصبح حتى غير مرئيًا أكثر متى أصبح مشروعًا : فإنه لم يعد يمثل تهديدًا مبهمًا، ولكنه يعد عاديًا ومألوفًا تمامًا، ومُدرج في الحشد الغامض من المواطنين. ولكن ما أفتقر إليه إبعاد خياري هو - مع ذلك - كون الحصول على " الأوراق " يفتح المجال لأقصى نشاط وتنظيم - ذاتي سياسي. بمجرد ما يكون لدى المرء " الأوراق "، فإن مجال

---

(٢٨) Frantz Fanon, ***Black Skin, White Masks*** ,New York : Grove Press 2008, ***PP***.201-6.

(٢٩) Sadri Khiari, ***La contre - révolution coloniale en France***, Paris : La fabrique 2009, ***P***.11.

ضخم للإلحاح والحراك السياسي ينفتح - حيث تنطوي دولتنا حاليًا على مواطنين شرعيين - بحيث لم يعد بالإمكان استبعاده وطرده بوصفه تهديدًا خطيرًا من الخارج.

فضلاً عن ذلك، فإننا عندما نتحدث عن معايير ضد - الهجرة، ونتحدث عن الأشكال المختلفة لاستبعاد المهاجر، وإلخ، فإننا ينبغي دومًا أن نتذكر بأن السياسة المضادة - للهجرة لا ترتبط على نحو مباشر بالرأسمالية أو بمصالح الرأسمال. إن الدورة الحرة للعمل تكون - على العكس من ذلك - في مصالح الرأسمال الضخمة، طالما أن العامل المهاجر الذي يتقاضي أجرًا أقل سوف يضغط على عمالنا لقبول أجور أقل. وبالإضافة إلى ذلك، ألا يعد - حاليًا - الاستعانة بمصادر خارجية شكلاً معكوسًا من توظيف العمال المهاجرين ؟ المقاومة ضد المهاجرين تكون في الأصل استجابة دفاعية - تلقائية من قِبل الطبقات العاملة المحلية الذين يدركون (ليس على نحو غير مبرر تمامًا) العامل المهاجر بوصفه نوعًا جديدًا من مُفْسِد ومحطم - الاضراب و، على نحو مماثل، بوصفه حليفًا للرأسمال. أو بإيجاز، إنه الرأسمال العالمي الذي يكون متسامحًا ومتساهلاً ومتعدد - الثقافة بشكل متلازم.

إن المكانة الرئيسة التي يتبنها المدافعون بلا شروط ولا تحفظ عن حقوق المهاجرين غير الشرعيين هي التسليم - على مستوى الدولة - بأن الحجج - المقابلة ربما ستكون " حقيقية " على نحو حسن (وبالطبع الموقف المضاد لا يمكن أن يقبل التدفق الدائم للمهاجرين، وبالتأكيد أنهم يتباريون بأساليب معينة مما يجعل الوظائف المحلية مهددة، وربما أيضًا ينشئ مخاطر تأمين معينة)، ولكن دفاعهم يتحرك عند مستوى مختلف، المستوى الذي يكون على اتصال مباشر بالمتطلبات الواقعية، ومستوى السياسة ذات المبدأ معًا وفي الوقت ذاته حيث نستطيع أن نؤكد بلا تحفظ على أن " أولئك الذين يوجدون هنا هم من هنا ". ولكن، أليس هذا الموضع ذو المبدأ بسيطًا للغاية بأكمله، ويسمح بموضع مريح لروح جميلة ؟ فأنا أكد بشدة على مبادئي، وأدع الدولة تتعامل مع الضغوط البراجماتية للواقع وبهذا الأسلوب، إن كنا لا نتجنب وجهًا حاسمًا من الصراع السياسي من أجل حقوق المهاجرين : فكيف يمكننا أن نقنع العمال المعارضين لأولئك المهاجرين بأنهم يصارعوا في المعركة الخاطئة، وكيف يمكننا أن نقترح شكلاً إجرائيًا لسياسة بديلة ؟ " المستحيل" (أي الانفتاح للمهاجرين) يجب أن يحدث في الواقع - فهذا سوف يُمثل حدثًا سياسيًا حقيقيًا.

ولكن، لماذا ينبغي على المهاجر بألا يكون راضيًا بجعله شيئًا طبيعيًا ؟ لأنه، بدلاً من التأكيد على هويته، يجب عليه أن يتبنى مبادئ اضطهاده : فهو قُبِلَ وتم التسليم به،

ولكن في الواقع في دورٍ ثانوي. فحديثه المضطهد يعين حدود هويته. ينبغي على المرء أن يتذكر هنا كلمات ستوكلي كارمايكل Stokely Carmichael المنهاجية (مؤسس سلطة السود أو الزنوج): " إننا يجب علينا أن نصارع من أجل الحق في أن نبتكر الحدود التي ستتيح لنا أن نعين أنفسنا وأن نحدد علاقتنا بالمجتمع، ويجب علينا أن نصارع من أجل أن تُقبل تلك الحدود. وهذا يمثل الاحتياج الأولي لشعب حر وهو، بالإضافة إلى ذلك، الحق الأولي الذي يرفضه كل ظالم ويضطهده ". وتكمن المشكلة في كيفية القيام – على نحو دقيق- بهذا الأمر. ولنقول، كيف يكون بوسع المرء أن يقاوم إغراء تحديد وتعيين ذاته بالإشارة إلى الهوية الأسطورية جزئيًا والهوية الخارجية كليةً (أي "الجذور الأفريقية") التي - عن طريق قطع الارتباطات بثقافة " البيض " - تحوّل أيضًا الأدوات العقلية الحاسمة المضطهدة إلى صارعهم (أي إلى صارعهم لتحقيق، التقليد التحرري – القائم على المساواة) مثلما يكون الصراع من أجل الحلفاء المقربون. ينبغي على المرء – إذن – أن يصحح إلى حدٍّ ما كلمات كارمايكل : فما يخشاه المضطهدون بالفعل لا يتمثل في التحديد – الذاتي الأسطوري كليةً وبلا ارتباطات بثقافة البيض، ولكنهم يخشون تحديدًا- ذاتيًا قائمًا على أسلوب امتلاك عناصر جوهرية من التقليد التحرري – القائم على المساواة عند " البيض "، وإعادة تحديد ذلك التقليد الحقيقي والجوهري، وتحويله - إلى حدٍّ ما – ليس كثيرًا في حدود ما يقوله مثلما يكون في حدود ما لا يقوله – أي في حدود، طمس المؤهلات الضمنية التي قد استبعدت السود - في الواقع - من حيز المساواة. أو بتعبير آخر، ليس كافيًا أن نجد حدود جديدة يعين ويحدد المرء معها ذاته بمنأى عن تقليد البيض المهيمن – وإنما ينبغي على المرء أن يخطو خطوة أبعد من ذلك و يجرد البيض ويحرمهم من احتكار تحديد تقليده الخاص.

وبهذا المعنى الدقيق، كانت الثورة الهايتية "لحظة محددة في تاريخ العالم"[٣٠]. ليس المغزى من ذلك دراسة الثورة الهايتية بوصفها امتدادًا للروح الثورية الأوروبية، أي ليس الاهتمام، بفحص دلالة أوروبا (أو على وجه التحديد دلالة الثورة الفرنسية) بالنسبة للثورة الهايتية، ولكن بالأحرى تأكيد دلالة الثورة الهايتية بالنسبة لأوروبا. ليس بوسع المرء أن يفهم هايتي بدون أوروبا فحسب ؛ وإنما ليس بإمكانه، بالإضافة إلى ذلك، أن يفهم مدى أو حدود العملية التحررية الأوروبية بدون هايتي. فمنذ البداية الحقيقية والجوهرية كانت هايتي مستبعدة، من صراعها الثوري ضد العبودية الذي انتهى بالاستقلال في يناير عام ١٨٠٤ : " كان في هايتي وحدها إعلان الحرية الإنسانية

---

[٣٠] Buck- Morss , *Hegel,Haiti,and Universal History* , *P*.13.

متماسك ومناسب عالميًا. ففيها فحسب كان هذا الإعلان مدعمًا ومُثبتًا بأي ثمن، في تقابل مباشر مع النظام الاجتماعي والمنطق الاقتصادي في الوقت الراهن ". ولهذا السبب، " ليس هناك حدثًا واحدًا في التاريخ الحديث كله يملك مشتملات وتضمنات كانت أكثر تهديدًا على النظام العالمي السائد للأشياء " [٣١].

إن واحد من المنظمين للتمرد والثورة كان عبد أسود مبشر معروف بوصفه

" جون بوكمان John Bookman "، اسمًا يدل عليه بوصفه مثقفًا، وبشكل مفاجئ، " الكتاب " الذي يشير إليه اسمه ليس الكتاب المقدس ولكنه كان القرآن الكريم. وهذا يذكرنا بالتقليد العظيم للثورات " الشيوعية " الألفية في الإسلام، وبوجه خاص " جمهورية القرامطة Qarmatain republic " وثورة الزنج Zanj [٣٢]. فالقرامطة كانوا مجموعة إسلامية ألفية تمركزت في شبه الجزيرة العربية الشرقية (البحرين Bahrain حاليًا)، حيث إنهم أسسوا جمهورية يوتوبية في عام ٨٩٩. وأعلن عنهم غالبًا كمحرضين لـ " قرن الإرهاب " : ففي أثناء موسم الحج استولى ٩٣٠ حاج على الحجر الأسود من مكة* – هذا الفعل يشير إلى أن عصر الحب قد رحل، مثلما لم يعد من الواجب على المرء أن يطيع القانون. فكان هدف القرامطة أن يشيدوا مجتمعًا مؤسسًا على العقل والمساواة. فكان يحكم الدولة مجلس مكوّن من ست أشخاص برئيس كان مساويًا للآخرين. بحيث تتوزع كل ملكية في داخل المجتمع بالتساوي فيما بين كل الأوّليّات. رغم أن القرامطة كانوا منظمين بوصفهم مجتمعًا سريًا، فإنهم لم يكونوا مجتمعًا سريًا : فنشاطاتهم كانت عامة وانتشرت علانيةً.

فما يكون حاسمًا أكثر هو أن ظهورهم كان يحرضه تمرد وثورة العبيد في البصرة Basra التي فككت وبددت قوة بغداد Baghdad. " ثورة الزنج " هذه التي اتخذت مكانًا لأكثر من خمسة عشر عامًا فيما بين عامي (٨٦٩- ٨٣)، تضمنت أكثر من ٥٠٠,٠٠٠ من العبيد الذين قد تم استيرادهم للمنطقة العربية من عبر الإمبراطورية الإسلامية. فقد اصطدم قائدهم، عليّ بن محمد Ali ibn Muhammad، بمعاناة العبيد العاملين في مستنقعات البصرة ؛ إذ بدأ بحث شروط عملهم والأسس الغذائية. وأدعي

---

(٣١) Peter Hallward, *Damming the Flood*, New York : Verso 2008.

(٣٢) The following account relies heavily upon the relevant Wikipedia entries ; see in particular the entries on the " Qarmatians " and the " Zanj Rebellion".

* لقد ارتكبت فرقة القرامطة الباطنية مجزرة داخل الحرم بمكة في ٨ ذي الحجة ٣١٧هـ وسرقت الحجر الأسود. (المترجم).

بأنه سليل الخليفة على بن أبو طالب Ali ibn Abu Talib، وعندما لم يُقبل إدعائه بهذا النَسْل، قد بدأ في التبشير بمبدأ المساواة عند الخوارج Kharijites، ووفقًا لهذا أن أكثر الرجال كفاءة ينبغي أن يحكم، حتى إذا كان عبدًا حبشيًا. لا نندهش، مرة أخرى، بأن المؤرخين الرسميين (من أمثال الطبري Al-Tabari والماسودي Al-Masudi) لاحظوا فحسب الطابع " الردئ والوحشي " للثورة.

لكن، ليس هناك حاجة في العودة لأكثر من ألف سنة مضت لنجد بعد الإسلام هذا - فإلقاء نظرة على الأحداث التي تلت الإنتخابات الرئاسية التي جرت في عام ٢٠٠٩ بإيران Iran يكون كافيًا. إذ إن اللون الأخضر الذي تبناه مؤيدي موسوي Mousavi، وهتافهم " الله أكبر! "، تدوي من سطوح طهران في ظلام المساء، تدل بوضوح على أنهم رءوا حراكهم بوصفه تكرارًا لثورة خامئني Khomeini عام ١٩٧٩، بوصفه عودة إلى جذورهم، إبطالاً لفساد الثورة الأخير. هذه العودة إلى الأصول ليست منهاجية فحسب ؛ وإنما هي حتى أكثر تعلقًا بأسلوب نشاط الشعب : إن الوحدة التأكيدية للشعب، واتحادهم المتضامن كليةً، والتنظيم - الذاتي الإبداعي، الأساليب الإرتجالية لتوضيح الاعتراض، المزيج الفريد من التلقائية والنظام، فإنه كمثل البوتقة الشؤم التي ينصهر فيها الآلاف في صمتٍ كاملٍ. هذه كانت نهضة وثورة شعبية عامة أصلية لأحزاب قانطة لثورة خامئني. وهذا يوضح لِمَ ينبغي على المرء أن يقارن الأحداث في إيران بتدخل الولايات المتحدة الأمريكية في العراق Iraq : هيأت إيران حالة التأكيد الأصلي لإرادة الشعب أو العامة بوصفها معادية وضد الفرض الأجنبي للديمقراطية في العراق. وهذا يوضح، بالإضافة إلى ذلك، سبب إمكانية قراءة الأحداث في العراق بوصفها تعليقًا على سخافات خطاب أوباما في القاهرة الذي ركز على الحوار بين الديانات : إننا لسنا بحاجة إلى الحوار بين الديانات (بين الحضارات) ؛ وإنما نحن بحاجة إلى حلقة وصل من الاتحاد والتضامن بين أولئك الذين يتصارعون من أجل العدالة في الدول الإسلامية وأولئك الذين يشاركون في الصراع نفسه في أماكن أخرى. أو بتعبير أخر، إننا نطالب بعملية سياسية لتقوية الصراع هنا، وهناك وفي كل مكان.

هناك نتيجتان حاسمتان تحددهما هذه البصيرة الأولى، أن أحمدي نجاد Ahmadinejad ليس بطلاً للمسلم الفقير، ولكنه شعبيًا فاشستيًا - إسلاميًا فاسدًا أصليًا، هو نوعٌ من برلسكوني الإيراني يملك مزيجًا من الوضع الفظ وقوة - السياسة غير الرحيمة سببت القلق والاضطراب حتى فيما بين الغالبية العظمى من قادة آية الله. إذ لا ينبغي أن يخدعنا توزيعه الديماجوجي للفُتات للفقراء : فخلفه لا يوجد فحسب

أعضاء الشرطة القمعية وجهاز التمثيل النسبي ذو الطابع الغربي، ولكن توجد، بالإضافة إلى ذلك، طبقة قوية جديدة من الأغنياء، ونتيجة فساد الحكم (الحراس الثوريون في إيران ليسوا جيش مُرابط من طبقة عاملة، ولكنهم هيئة - ضخمة، وأقوى مركز للثروة والثراء في الدولة) . أما النتيجة الثانية فهي، إنه ينبغي على المرء أن يحدد اختلافًا واضحًا بين المرشحين الأساسين المقابلين لـ أحمدي نجاد، وهما مهدي كروبي Mehdi Karroubi وموسوي. كروبي هو مصلح على نحو فعال ومؤثر - يقترح بشكل رئيس النسخة الإيرانية للتبعية - الذي يوعد بميزات للمجموعات الخاصة بأكملها. أما موسوي فهو شيء ما مختلف كليةً : اسمه يرمز إلى إنتعاش أصلي للأحلام الشعبية العامة الذي دعم ثورة خامئني. حتى إذا كان هذا الحلم مجرد حلم يوتوبي، فإنه ينبغي على المرء أن يُدرك فيه اليوتوبيا الأصلية للثورة ذاتها. لأن ثورة خامئني عام ١٩٧٩ لا يمكن أن تختزل إلى مجرد سيادة إسلامية متشددة - فإنها كانت أكثر من ذلك بكثير للغاية. حاليًا، لقد آن الآوان لنتذكر الثوران الذي لا يصدق في السنة الأولى بعد الثورة، مع الانفجار المُثير للإبداعية الاجتماعية والسياسية، والتجارب المنهاجية والمباحثات فيما بين التلاميذ والناس العاديين. والحقيقة الجوهرية أن هذا الانفجار وُجبَ عليه أن يكون بمثابة مظاهرات خامدة طالما أن ثورة خامئني كانت حدثًا سياسيًا أصيلاً، وانفتاحًا لحظيًا حل رباط قوى التحويل الاجتماعي التي يتعذر تصورها وتخيلها سابقًا، اللحظة التي فيها " يبدو كل شيء ممكنًا ". وما تلى ذلك كان انقطاعًا تدريجيًا خلال الاضطلاع بالقوة السياسية عن طريق التأسيس التيوقراطي. ولنعبر عن ذلك في الحدود الفرويدية، إن حركة المعارضة التي حدثت مؤخرًا هي " العودة إلى المكبوت " في ثورة خامئني. مهما كانت النتيجة في إيران، فمن المهم بشكل حيوي أن نتذكر بأننا شهدنا الحدث التحرري العظيم الذي لا يلائم إطار الصراع بين المؤيدين لليبراليين الغربيين والمتعصبين ضد- الغربي. إذا جعلنا مذهبنا البراجماتي الكلبي نفقد القدرة على إدراك هذا البعد التحرري، ومن ثم، فإننا في الغرب ندخل في عصر ما بعد - الديمقراطية بشكل فعال ومؤثر، ومستعدون لــ أحمدي نجاد الذي يخصنا. فالإيطاليون يعرفون بالفعل اسمه : برلسكوني. والآخرون ينتظرون في الصف.

ماذا كان - إذن - عن الثورة الهايتية التي ذهبت فيما وراء الحماس الكانطي، وماذا كان عما رآه هيجل بوضوح ؟ وما نحتاج إلى أن نضيفه هنا، متوجهون فيما وراء كانط، هو أن هناك مجموعات اجتماعية التي، بسبب افتقارها لمكان محدد في النظام "الخاص" للتفاوت الطبقي الاجتماعي - أو بتعبير آخر، بوصفها " جزء لا يتجزأ " من

الجسد الاجتماعي - فإنها تؤيد على نحو مباشر العالمية. الحماس الشيوعي الثوري يتجذر بلا تحفظ وبشكل ملائم في اتحاد وتضامن كامل بهذا " الجزء الذي لا يتجزأ " ومكانة عالميته الخاصة. فالثورة الهايتية " أخفقت " عندما خانت هذا الاتحاد والتضامن وتطورت في مجتمع قومي جديد - قائم على تفاوت طبقي، الذي استمرت فيه صفوة السود المحلية في عملية الاستغلال والتسخير. وليس السبب في إخفاقها هو " تأخر " هايتي. إنها أخفقت لأنها كانت تستبق زمنها، فليست مَزارع عبيدها (وغالبًا مزارع قصب السكر) مجرد بقايا مجتمعات ما قبل الحداثة، ولكنها بمثابة أساليب الإنتاج الرأسمالي المؤَثِّر، طالما أن النظام الذي كانت تخضع له العبيد أُستخدم بوصفه مثالاً للنظام الذي كان يخضع له العمال - المؤجورون فيما بعد في المراكز التجارية الرأسمالية. بعد إلغاء العبودية، فرضت حكومة السود الجديدة في هايتي " الجندية الزراعية " - ليس لإرباك عملية إنتاج قصب السكر المخصص للتصدير، فالعبيد - السابقين كانوا يُجبرون على الاستمرار في العمل في مزارعهم تحت سيطرة الملاك نفسهم؛ بينما يستمرون حاليًا فحسب بوصفهم عمال - مؤجورون " أحرار" تقنيًا. إن التوتر الذي يميز مجتمعًا برجوازيًا، من قبيل وجود حماس ديمقراطي وحريات شخصية تشارك في الوجود مع مثل هذا النظام لعمل العبيد، أظهر هذه العبودية في هايتي في أكثر شكل جذري لها على نحو مطردٍ. ما يصنع الرأسمال الاستثنائي هو توفيقه وتركيبه الفريد لقيم الحرية والمساواة وحقائق الاستغلال والتسخير والسيادة : إن فحوى تحليل ماركس هو أن الرحم الإيديولوجي - الشرعي للحرية - والمساواة ليس " قناعًا " خالصًا يحجب السيادة التي تتعلق بالاستغلال، ولكنه الشكل الحقيقي والجوهري الذي تم فيه ممارسة الأخير [أي ممارسة سيادة الاستغلال].

الاستثناء الرأسمالي :

هناك مشكلة متكرِّرة نواجهها هنا مرة أخرى : إن مصير الثورة الهايتية - أي ارتدادها إلى شكلٍ جديدٍ من قاعدة تراتبية هيراركية أو تفاوت طبقي (بعد موت ديسالين Dessalines) - هو حلقة واحدة من سلسلة انقلابات تميز بها الثورات الحديثة - المسار من الجاكوبنس Jacobins[*] إلى نابليون، ومن ثورة أكتوبر إلى ستالين،

---

[*] الجاكوبنس : هو التنظيم السياسي لعصر الثورة الفرنسية، كما أنه مصطلح يطلق على كل من لديه أراء ثورية. ويشير حاليًا إلى مفهوم الجمهورية المركزية المرتكز السلطة فيها على الحكومة الوطنية على حساب الحكومات المحلية أو الإقليمية. وتشير كذلك إلى الرهبان الدومنيكيين. (المترجم).

من ثورة ماو Mao الثقافية إلى رأسمالية دنج شياوبينج Deng Xiaoping. فكيف نكون وما النحو الذي نكون عليه كي نقرأ هذا المسار ؟ هل هو المظهر الثاني (التيرميدور the Thermidor(*)) أو حقيقة المظهر الثوري الأول (كما يدعي ماركس ذلك أحيانًا)، أم أنه في كل حالة يعد مجرد سلسلة من الحدث الثوري تستنفد ذاتها وتستنزفها ؟

أنا أدعي عند هذا الحد بأن الفكرة الشيوعية تصر على : أنها تنجى من إخفاقات إدراكها بوصفها شبحًا يعود مرارًا وتكرارًا، وفي الاصرار الدائم على أن أفضل إدراك لها يتجلى في الكلمات المقتبسة بالفعل من بكتس ورستوارد ألا وهي : " حاول مرة أخرى. أخفق مرة أخرى. الإخفاق أفضل ". هذه الكلمات تجلبنا إلى لغز المسألة. إحدى براهين الحزب اليساري فيما بعد الحداثة هي أننا ينبغي علينا في نهاية الأمر أن نخلف وراءنا "جاكوبن – اللينيني" نموذج القوة الديكتاتورية المتمركزة. ولكن، بالطبع لقد حان الوقت لكي نرتد حاليًا إلى هذا البرهان حول جرعة جيدة من نموذج " جاكوبن – اللينيني " والسماح بها، وهذا هو ما يحتاجه، على نحو دقيق، الحزب اليساري في الوقت الراهن. حاليًا، وأكثر من أي وقت مضى، ينبغي على المرء أن يؤكد بشدة على ما دعى إليه باديو عن الفكرة " الخالدة " للشيوعية، أو "الثوابت" الشيوعية – أي "التصورات الأربعة الرئيسة" التي تعمل بدءًا من أفلاطون مرورًا بثورات الألفية في العصور الوسطى بلوغًا إلى الجاكوبنية، واللينينية والماوية هم على النحو التالي : العدالة الاجتماعية القائمة على المساواة أوتكافؤ الفرص الكامل، والإرهاب الذي يستوجب الجزاء، ومذهب الإرادة السياسية، والثقة في الشعب. هذا الرحم لا " يحلّ محلّه " أي شيء فيما بعد الحداثة أو ما بعد الصناعية أو ما بعد – أي شيء – تريده ديناميًا. ومع ذلك، حتى اللحظة التاريخية الحاضرة، عملت هذه الفكرة الخالدة على نحو دقيق بوصفها فكرة أفلاطونية تعود دومًا مرارًا وتكرارًا بعد كل هزيمة. فما نفتقر إليه في الوقت الراهن هو – ولنعبر عن ذلك في الحدود الفلسفية – اللاهوتية – ارتباط مميَّز للفكرة بلحظة تاريخية فريدة (مثلما هو الحال – في المسيحية – التي ينتصب الصرح اللاهوتي المقدس الخالد وينهار بأكمله مع الحدث العارض لميلاد السيد المسيح وموته).

هناك شيئًا ما فريد في تلك الكوكبة في الوقت الراهن : قد وضِع عديد من المحللين البارزين يدهم على أن الرأسمالية المعاصرة تثير مشكلة لمنطق الثبات هذا الذي يستمر ويثابر. فلقد عبَّر بريان ماسومي Brian Massumi – على سبيل المثال - بوضوح عن

(*) التيرميدور : كان رد فعل في الثورة الفرنسية ضد تجاوزات عهد الإرهاب، وهو الذي يسعى إلى إنهاء هذا العهد والسماح لمزيد من الحرية الفردية ولاسيما في مجالات الدين. (المترجم).

كيفية اجتياز الرأسمالية المعاصرة لمنطق إكمال الطبيعيَّة والاعتياديَّة وتبني منطق التجاوز الشاذ(٣٣). وبوسع المرء أن يُكمِّل هذا التحليل باتجاهات عديدة - العملية الحقيقية والجوهرية لإسقاط ذاته وإبداع " أقاليم متحررة " خارج مجال الدولة التي قد أعاد الرأسمال تملكها من جديد. إن نموذجية منطق الرأسمالية العالمية هي ما يُطلق عليها اسم " المناطق الاقتصادية الخاصة ": الأقاليم الجغرافية (التي تكون عادةً في العالم الثالث) في داخل دولة تقوم على قوانين اقتصادية تكون أكثر حرية من القوانين الاقتصادية الرئيسة للدولة (أي السماح - على سبيل المثال - بالضرائب الأقل على الاستيراد والتصدير، وتدفق حر للرأسمال، والقيود أو الحظر المباشر للاتحادات التجارية ولنقابات العمال، وبلا حد أدني من يوم العمل، وإلخ) لنمو الاستثمارات الأجنبية وإزديادها. الاسم نفسه يحجب مجال بأكمله من أكثر موضوعات المنطقة تحديدًا : مناطق تجارة حرة، مناطق عملية التصدير، ومناطق حرة، وممتلكات صناعية، وموانئ حرة، ومناطق المشروع المدني، وإلخ. فعن طريق اتحادهم الفريد فيما بين " الانفتاح " (بوصفه مكانًا حرًا مُعفى جزئيًا من حالة السلطة العليا) و" الإغلاق " (أي تنفيذ شروط العمل بلا عائق عن طريق الحريات الشرعية المكفولة)، الذي يتنحى عن المستويات القوية الممكنة من الاستغلال والتسخير، تعد تلك المناطق بمثابة أوجه بنائية متقابلة لمجتماعاتنا المشهورة " بالعمل العقلي " - إنها تؤسس مصطلحًا رابعًا مُضافًا لرباعي "العمل - العقلي" عالي - التقنية، تحتجز به المجتمعات، والأحياء الفقيرة وراء جدرانها.

يدرك باديو، بالإضافة إلى ذلك، الوضع الأنطولوجي الاستثنائي للرأسمالية الذي يمتلك القيود الدينامية لكل إطار ثابت وراسخ لإعادة - الحضور والتقديم : إن المهمة التي عادةً ما ينجزها النشاط السياسي - النقدي (تقويض إطار إعادة - الحضور والتقديم للدولة) هي ما أنجزتها بالفعل الرأسمالية ذاتها - التي آثارت مشكلة بسبب مفهوم باديو عن سياسة " الحدث الراهن ". في تكوينات وأشكال ما قبل - الرأسمالية، كل دولة، وكل نزعة شمولية وتكتل يُعاد - تقديمه وحضوره، بما فيه الاستثناء المؤسس، نقطة " الالتواء العلامي "، " جزء لا يتجزأ "، ذلك العنصر الذي رغم أنه جزء من النظام، لم يملك مكانًا ملائمًا في داخله - وُجِبَ على السياسة التحررية - إذن - أن تتدخل من خلال مكانة هذا العنصر الاستثنائي ("الزائد عن الحاجة") [أو كما يقال "كمالة عدد"، بمعنى أنه لا جدوى منه] الذي برغم كونه جزءًا من الموقف، إلا أنه ليس بالإمكان أن يوضع في الاعتبار ونوليه اهتمامًا في إطار حدوده. ولكن، ماذا يحدث عندما لم يعد

---

(٣٣) انظر: .my in Defense of Lost Causes , London: Verso 2008, *P*. 197

النظام يستبعد أو يستثني التجاوز، ويحاول بدلاً من ذلك أن يموضعه على نحو مباشر بوصفه قوته المنطلقة - مثلما هو الحال في الرأسمالية - التي بإمكانها فحسب أن تعيد إنتاج ذاتها خلال قلب نظامها - الذاتي الدائم والمستمر، وخلال التجاوز المستمر لحدودها الخاصة ؟ لنعبر عن ذلك الأمر بأسلوب آخر : إذا كان حدثًا سياسيًا - من قبيل حالة تدخل تحرري في عالم تاريخي محدَّد - مرتبطًا دومًا بمغزى التجاوز" لالتواءه العلامي " - وإذا كان يقوض - عن طريق التعريف أو التحديد - حدود ذلك العالم - فكيف نكون وما النحو الذي نكون عليه - إذن - لنقيم تدخل سياسي في عالم يعد بالفعل في حد ذاته بلا - عالم، والذي من أجل إعادة إنتاجه، لم يعد في حاجة إلى أن يكون متضمنًا عن طريق ضغوط " عالم ما " ؟ كما يلاحظ ألبرتو توسكانو Alberto Toscano في تحليله الفطن، أن باديو يفسح مجالاً هنا لإدراك حالة التناقض والتقلب عندما حدد الاستنتاج " المنطقي " بأن - في عالم " بلا عالم " (الذي هو عالم الرأسمالية العالمية في الوقت الراهن) - ينبغي أن يكون هدف السياسة التحررية على وجه التحديد هو الهدف المقابل لأسلوبها " التقليدي " الفعال - فالمهمة في الوقت الراهن هي أن تشكل عالمًا جديدًا، وأن تقترح مؤشرات جديدة مسيطرة تلك التي سوف تجهز "وضع الخرائط المعرفية".[٣٤]

ينبغي أن تكون حدود البرهان المنطقي الثنائي- إذن - واضحة. نقطة بدايتنا كانت هي منطق الثبات / والإسقاط : الشيوعية هي فكرة خالدة تثابر، وتنفجر من حين لآخر ولكن، ماذا لو لم تقدم - على سبيل المثال - الثورة الثقافية الصينية استنفاد حقبة الحالة الحزبية فحسب ؛ وإنما قدمت - أيضًا - نهاية تلك العملية الحقيقية والجوهرية التي تتفجر فيها المشاريع التحررية - القائمة على المساواة، ومن ثم تقلب المجرى "الطبيعي والمألوف" للأشياء ؟ هنا تكون السلسلة محددة ؛ لأن العدو على نحو يسير قد اضطلع حاليًا بقلب النظام الدينامي : فلم يعد بوسع المرء أن يلعب لعبة قلب النظام من خلال مكانة " جزء لا يتجزأ " الخاصة به، طالما أن النظام حاليًا أوقف بالفعل حالة قلب نظامه الخاص الدائم. مع الانتشار الكامل للرأسمالية - إنها حياة " مألوفة " في حد ذاتها التي - بأسلوب معين - " تحتفل "، بانقلاباتها، وأزمتها، وإعادة تداخلاتها الدائمة، ونقد الرأسمالية يكون من خلال مكانة أخلاقية " راسخة " - فإنها تظهر حاليًا أكثر من أي وقت مضى بوصفها استثناءًا.

---

(٣٤) Alberto Toscano, " From the state to the world? Badiou and anti-capitalism," *Communication & Cognition*,= =Vol.36 (2003) ,*PP*.1-2.

إن السؤال الحقيقي المطروح هنا هو : كيف يكون الوضع الخارجي بالنظر إلى الدولة التي تتخذ شكلاً إجرائيًا ؟ منذ أن أشارت الثورة الثقافية إلى إخفاق محاولة تحطيم الدولة من داخلها، محو الدولة، هل سيكون الخيار على نحو يسير هو - إذن - أن نقبل الدولة بوصفها حقيقةً واقعيةً، بوصفها االجهاز الذي يهتم " بخدمة البضائع والسلع"، ونعمل على مسافة باتجاهه (ونقذفه بالعديد من الإعلانات الرسمية والطالبات التقادُمية)؟ أم هل ينبغي علينا - بشكل جذري أكثر - أن نهدف إلى إسقاط ذواتنا من المجال المسيطر الذي يتدخل بقوة في هذا المجال معًا وفي آن واحد، ونرده إلى اختلافه الضئيل المنغلق ؟ إسقاط كهذا يكون عنيفًا للغاية، حتى أكثر عنفًا من الهدم / التنقية والتطهير : إنه ردٌ إلى حالة الاختلاف الضئيل بين جزء (أجزاء) / ولا جزء، ١ وصفر، مجموعات والطبقة العاملة. إنه ليس إسقاطًا للذات من المجال المسيطر فحسب؛ وإنما هو - أيضًا - إسقاط يؤثر بقوة على هذا المجال نفسه، بحيث يسقط متجردًا من تناسقه الحقيقي. إسقاط كهذا لا يضيف مكانة ثالثة للمكانين اللذين توترهما يميز المجال المسيطر (ولذلك فإننا لدينا حاليًا، بجانب الليبرالية والتعصب، سياسة يسارية راديكالية تحررية). فالمصطلح الثالث بالأحرى هو " محو الطابع الطبيعي والمألوف " من المجال المسيطر برمته، وإظهار الاشتراك الضمني للأقطاب المتقابلة التي تؤسسه. في ذلك يكمن برهان المنطق الثنائي للإسقاط : هل هو إسقاط / أم انسحاب يترك المجال الذي ينسحب منه سليمًا (أو حتى يعمل بوصفه المكمل الملازم له، على نحو " الإسقاط " أو الانسحاب من الواقع الاجتماعي إلى ذات المرء الحقيقية التي يقترحها تأمل العصر الحديث)، أم هل يُقلق بقوة المجال الذي ينسحب منه ؟ "الإسقاط" هو - إذن - ما أطلق عليه كانط المفهوم البرمائي. وفقًا لتفسير وشرح لينين، بوسع المرء أن يقول بأن كل شيء، ممتزجًا بمصير الحركات التحررية الراديكالية في الوقت الراهن ومنطويًا عليها، يتعلق بكيفية قراءتنا لهذا المفهوم، وبالكلمة التي سوف تتعلق به أو سوف تنفصل عنه.

إن فكرة باديو عن " الإسقاط "، كمثل فكرة هيجل عن " الإلغاء "، تتضمن طبقات ثلاثة مختلفة من المعنى : ١- أن تنسحب، وأن تنفصل، ٢- أن تختزل أو ترد تعقد موقف لاختلافه الضئيل، ٣- أن تهدم النظام الموجود. فلا يتمثل الحل - كما عند هيجل - في أن نميّز المعاني الثلاثة (ونقترح في النهاية مصطلحًا محددًا لكل واحد منهم) ؛ وإنما أن ندرك الإسقاط ونستوعبه بوصفه وحدةً أبعادها الثلاثة : ينبغي على المرء أن ينسحب من الوجود المنهمك في موقف ما بأسلوب الارتدادات الانسحابية المرئية عن

"الاختلاف الضئيل" وأن يساند موقف التعدد، وبذلك يحدث انحلاله وتفتته، فقط كأنه بمجرد سحب كارت واحد من بيت الكروت؛ فإنه يُحدث انهيارًا للصرح الكامل.

وبالطبع، إن " نزع – الأقليمية " التحرري – القائم على المساواة ليس كمثل الشكل الرأسمالي – لما بعد الحداثة، ولكنه مع ذلك يغير جذريًا حدود الصراع التحرري. وعلى وجه التحديد، لم يعد العدو هو نظام التفاوت الطبقي المؤسس لدولة ما. كيف نكون وما النحو الذي نكون عليه – إذن – لنقلب نظام مبدأه الجوهري هو القلب – الذاتي الدائم والمستمر ؟ في الوقت الراهن، نواجه أكثر من حل للمشكلة، الشيوعية هي نفسها اسم لمشكلة : اسم للمهمة الصعبة لإبراز حدود السوق – وهيكل الدولة، مهمة لا نملك بين أيدينا صياغة سريعة بشأنها. " إن مجرد الشيء البسيط فإنه من الصعب، من الصعب للغاية القيام به "، كما عبر عن ذلك بريشت Brecht في كتابه المعنون باسم مدح الشيوعية *In Praise of Communism* .

إن الإجابة الهيجلية هي أن المشكلة أو حالة الركود تكمن في حلها الخاص – ولكن ليس بالمعنى البسيط أو المباشر أن الرأسمالية تكون بالفعل في حد ذاتها شيوعية، ولكن بمعنى أن ما نحتاجه فحسب هو قلب شكلي على نحو خالص. واقتراحي يكون بالأحرى على النحو التالي : ماذا لو أن الرأسمالية العالمية في الوقت الراهن - طالما أنها على نحو دقيق " بلا عالم " - تتضمن انشقاق وتفكك دائم لكل نظام ثابت، وتُفسح مكانًا لثورة سوف تحطم الدائرة المفرغة لها وإعادة تسجيلها، التي لم تُعد – بتعبير آخر- تتبعًا لنموذج الانفجار الحدثي المتبع من قبل العودة إلى الطبيعية والاعتيادية، ولكن هل سيفترض بدلاً من ذلك مهمة " تنظيم " جديد ضد اللانظام الرأسمالي العالمي؟ بمنأى عن الثورة ينبغي علينا أن نجتاز بوقاحة تقوية نظام جديد. (ألا يمثل هذا درسٌ من دروس الأزمة المالية العالمية المستمرة ؟) هذا يبين سبب كون التركيز على الرأسمالية حاسمًا إذا أردنا أن نعيد جعل الفكرة الشيوعية أمرًا واقعيًا : فالرأسمالية المعاصرة التي "بلا - عالم" تغير جذريًا احْداثيَّات الصراع الشيوعي الحقيقي والجوهري – فلم يعد العدو هو الحالة المقيدة بنقطة الالتواء العلامي؛ وإنما هو فيضان قلب النظام – الذاتي الدائم والمستمر.

وبناءً على ذلك، فأنا أريد أن اقترح بديهتين يتعلقـان بالعلاقـة الوثيقـة بـين الدولـة والسياسة : ١- سياسة الحزب – التي تتعلق بإخفاق الدولة الشيوعية الذي يعـد أساسًـا إخفاقًا لسياسة اللاتمركز، إخفاقًا لمحاولة إبراز ضغوط الدولة، بحيث يحل محل الأشكال المركزيـة للتنظـيم الأشـكال الـلا – نيابيـة "المبـاشرة" للتنظـيم – الـذاتي ("المجـالس").

٢- فإذا لم يكن لديك فكرة واضحة عما تريد أن تحله محل الدولة، فليس لديك حـق في أن تُسقط / تنسحب من الدولة. بدلاً من أن نبقى على مسافة من الدولة، فـإن المهمـة الحقيقية ينبغي أن تتمثل في أن تجعل الدولة ذاتها تعمل بأسلوب اللا- تمركز. فالخيار " إما الصراع من أجل قوة الدولة (الذي يجعلنا كمثـل العـدو الـذي نتصـارع معـه)، أو المقاومة عن طريق الانسحاب إلى مكانة نبقى فيها على مسافة من الدولة " يكون خطأ - فحدودهما يشتركان في الفرض نفسـه، ألا وهـو أن شـكل - الدولـة، بالأسـلوب الـذي نعرفه عنها في الوقت الراهن، هو لنقول إن تبقى وتستقر؛ ولذلك كل ما بإمكاننا فعلـه هو إما أن نضطلع بها أو نبقى على مسافة منها. هنا، ينبغي على المرء أن يكرر بوقاحـة درس لينين عن " الدولة والثورة " : فليس هدف القوة والحدّة الثورية أن تضطلع بقـوة الدولة ؛ وإنما أن تحولها، وتغير جذريًا فعاليتها، وعلاقتها الوثيقة بأساسها، وإلـخ"[٣٥]. وفي ذلك يقطن الأساس المكوِّن " لديكتاتورية البروليتاريا ".

إن الاستنتاج الوحيد المناسب المُشكل من خلال هذه البصيرة هو أن " ديكتاتورية البروليتاريا " هي نوع من اجتماع (ضروري) للفظين متناقضين، وليس شكل - دولة الذي تكون فيه الطبقة العاملة حاليًا طبقة مسيطرة. إننا نتعامل مع " ديكتاتورية البروليتاريا " فقط حينما تتحول الدولة ذاتها جذريًا، وتستند إلى أشكال جديدة من المشاركة الشعبية. وهذا يبين لِمَ كان هناك أكثر من رياء ومداهنة خالصة في حقيقة أنه - عند ذروة وجهة النظر الستالينية - عندما يتشظى الصرح الاجتماعي الكامل عن طريق التطهير، وعن طريق الدستور الجديد الذي نادى بنهاية الطابع " الطبقي " لقوة السوفيت Soviet (حقوق التصويت محفوظة لأعضاء الطبقات المستبعدة سابقًا)، والنظم الاجتماعية التي نادت " بديمقراطيات الشعوب " - فإن ذلك يعد بمثابة الدلالة الأكيدة حقًا على أننا لسنا " ديكتاتوريات البروليتاريا ". ولكن، مرة أخرى، كيف نكون وما النحو الذي نكون عليه لننجز ونحقق " ديكتاتورية " كهذه ؟

---

[٣٥] كان باديو نفسه على الطريق الصحيح عندما كَتَبَ- منذ سنوات ماضية - في كتابه المعنون باسم الأخلاق (New York: Verso 2002) بأن : " إدراك العالم بوصفه سوقًا عالميًا، بوصفه سيادة لا تنفصم للتكتلات المالية العظمى، إلخ.. يعد كل هذا واقع مُسلمٌ به ويتوافق - جوهريًا - مع تحليل ماركس. والسؤال هو، أين السياسة التي تتوافق مع كل هذه الأمور وتصلح لها ؟ فما نوع السياسة التي هي غير متجانسة بالفعل مع ما يتطلبه الرأسمال ؟ - هذا هو السؤال المطروح في الوقت الراهن". إن تضمن تلك السطور وفحواها هو أن السياسة التحررية الأصيلة يجب - في الوقت الراهن - أن تحدد ذاتها عبر تقابلها النشط مع عالم الرأسمال - إنها يجب أن تكون " ضد - الرأسمالي ".

الرأسمالية بالقيم الأسيوية في أوروبا :

وضع بيتر سلوترديجك Peter Sloterdijk (ليس قط واحدًا منا، ولكنه أيضًا ليس أحمقًا تمامًا) يده على أنه إذا كان هناك شخصًا واحدًا سوف يشيدون له نصبًا تذكاريًا لمئات السنين من الآن، فإنه يكون لو كوان يوه Lee Quan Yew، القائد السنغافوري الذي أبدع وأدرك ما يطلق عليه " الرأسمالية بالقيم الأسيوية ". إن الترياق لهذا الشكل الفاشْستيّ للرأسمالية ينتشر ببطء، ولكنه ينتشر، بالتأكيد، بخُطى ثابتة حول الكرة الأرضية. قبل شروع دنج شياوبينج في تنفيذ إصلاحاته، زار سنغافورا Singapore*، ومدحها علانية بوصفها نموذجًا ينبغي على الصين كلها أن تحتذيه وتتبعه. هذا التطور له معنى تاريخي - يتعلق بالعالم : حتى الآن، بدا أن الرأسمالية ترتبط بشكل لا ينفصم بالديمقراطية - من حين لآخر كان هناك - بالطبع - انتكاسات إلى الديكتارتورية المباشرة، ولكن، بعد عَقد أو عقدين، فرضت الديمقراطية ذاتها مرة أخرى (نستدعي حالات كوريا الجنوبية وشيلي Chile). ومع ذلك، لقد تحطم حاليًا الرباط بين الديمقراطية والرأسمالية نهائيًا.

بمواجهة الإنفجار المعاصر للرأسمالية في الصين، دعا المحللون غالبًا إلى أنه في ذلك الحين سوف تؤكد الديمقراطية السياسية ذاتها بوصفها المصاحب السياسي " الطبيعي " للرأسمالية. ومع ذلك، تحليل أقرب، سرعان ما يبدد هذا الأمل - ماذا لو أن المرحلة الثانية من الديمقراطية الموعود بها التي تتبع وادي الدموع الفاشستي لن تحين أبدًا ؟ هذا بالطبع، ليس مستقرًا تمامًا عن الصين في الوقت الراهن : فالأمر المشكوك فيه هو أن نسختها الرأسمالية الفاشستية ليست على نحو خالص تذكرة بماضينا - أي تكرار عملية التجمع والتراكم الرأسمالي الذي استمر في أوروبا من القرن السادس عشر إلى الثامن عشر - ولكنها علامة على المستقبل. ماذا لو أن هذا المزيج الردئ للسوط الأسيوي والبورصة الأوروبية " (وصف تروتسكى Trotsky للخصائص المميَّزة لروسيا القيْصرية) يبرهن بذاته على أنه أكثر فعّالية اقتصاديًا من الرأسمالية الليبرالية ؟ ماذا لو أنها أشارت إلى أن الديمقراطية، كما نفهمها، لم تعد شرطًا وقوة مُحرّكة للتطور الاقتصادي، ولكنها بالأحرى تعد عقبة ؟

---

* سنغافورا : الاسم الرسمي هو " جمهورية سنغابور "، وهي جمهورية تقع على جزيرة في جنوب شرق آسيا عند الطرف الجنوبي من شبه جزيرة ملايو، ويفصلها عن ماليزيا مضيق جوهور وعن جزر ريا والاندونيسة مضيق سنغافورا. وتعتبر سنغافورا رابع أهم مركز مالي في العالم، ومدينة عالمية تلعب دورًا مهمًا في الاقتصاد العالمي. (المترجم).

يزعم بعض اليساريون البسطاء بأن تراث الثورة الثقافية - والماوية بوجه عام - الذي يعمل بوصفه وجه - مقابل لإطلاق العنان للرأسمالية، يمنع تجاوزاتها الأسوأ، ويتمسك بحد أدنى من الاتحاد والتضامن الاجتماعي. ومع ذلك، ماذا لو كان الوجه المقابل، على نحو دقيق، هو الحالة الراهنة ؟ ماذا لو كانت الثورة الثقافية - عن طريق الطمس الفظ لتقاليدها الماضية - تعد " صدمةً " أبدعت أسباب ومحددات الانفجار الرأسمالي اللاحق عن غير عمد وبكل دهاء للعقل وعلى نحو أكثر صرامة ؟ ماذا لو كان يجب على الصين أن تُضاف إلى قائمة نعومي كلاين للدول التي توضح فيها كارثة طبيعية، وعسكرية، أو اجتماعية الطريق لانفجار رأسمالي جديد ؟ [٣٦]

تكمن السخرية القصوى للتاريخ - إذن - في أن ماو نفسه كان هو من أبدع الأسباب والمحددات الإيديولوجية للتطور السريع للرأسمالية في الصين عن طريق انتزاع ذاتها عن نسيج المجتمع التقليدي. فما الذي كان ينادي به الشعب - وبوجه خاص الشباب - في الثورة الثقافية ؟ لا تنتظروا شخص ما آخر يخبركم بما تقومون به، فلديكم الحق في أن تكونوا ثائرين ! لذا فكروا وأفعلوا بأنفسكم، وحطموا الأثار الثقافية، لا تتوعَّدوا وتهاجموا فحسب على كباركم ؛ وإنما أيضًا على الحكومة والأحزاب الرسمية ! أدفعوا بقوة آليات الحالة القمعية ونظموا أنفسكم في شعوب ! فلقد سُمِعَ نداء ماو - وما تلى ذلك كان مجرد انفجار لعاطفة حرة لمحو - طابع الشرعية من أشكال السلطة جميعها، وهكذا وجب - في النهاية - على ماو أن يطلب من الجيش تجدّيد نظام ما. إن التناقض يتمثل - إذن - في أن الصراع الحقيقي والجوهري في الثورة الثقافية لم يكن بين جهاز الحزب الشيوعي وخصومه التقليديين ؛ وإنما كان بين الجيش والحزب من جهة، وقوى ماو نفسه التي استدعت للوجود من جهة أخرى[٣٧].

---

[٣٦] في فصل عن الصين من كتاب كلين المعنون باسم عقيدة الصدمة، الذي حددت فيه الصدمة في موضع تحرك التطور الرأسمالي في مظاهرات تيانانمين Tiananmen وقمعها العنيف وليس في الثورة الثقافية. إن السخرية اللطيفة لهذا الربط هي أن الرأسمالية قُدمت للشعب الصيني بوصفها استجابة لطلباتهم : هل تريد الديمقراطية ؟ هنا لديك أساسها الواقعي !" ومع ذلك، فمن المشكوك فيه إذا كانت أحداث تيانانمين تمثل صدمة عميقة للصين كلها.

[٣٧] لقد سُئل جيا زهانجك Jia Zhangke، مخرج الفيلم عن مشروعه القادم - الذي ركز حتى الآن على التأثير الذاتي للتطور الرأسمالي المتفجر في الصين - فأجاب بقوله إنه : " الرواية التي بدأت في الفترة فيما بين ١٩٧٠- ١٩٧٥. مجموعتان من الشباب، تصارعوا من أجل التحكم في المدينة في أثناء الثورة الثقافية ----- أنا أعتقد حقًا أن الإجابة على السؤال المطروح في الوقت الراهن في الصين - بشأن العلاقة الكلية بالتطور - تتجذر بعمق في الثورة الثقافية،

وبالطبع، لا يعني ذلك إننا ينبغي علينا أنِ ننكر الديمقراطية بدلاً من التقدم الرأسمالي ؛ وإنما ينبغي علينا أن نواجه حدود الديمقراطية البرلمانية، التي صاغها على نحو دقيق نعوم تشومسكي Noam Chomsky عندما وضع يده على أننا : " حينما نتجاوز تهديد المشاركة الشعبية ؛ فعندئذ فحسب بوسعنا أن نفكر في الأشكال الديمقراطية بأمان "[٣٨]. وبذلك فإنه حدد " الطابع السلبي " لجوهر الديمقراطية البرلمانية، الذي يجعلها متعارضة ومتنافرة مع التنظيم - الذاتي السياسي المباشر للشعب.

لَعِبَ والتر ليبمان Walter Lippmann - أيقونة الصحافة الأمريكية في القرن العشرين - دورًا جوهريًا في الفهم الذاتي للديمقراطية في الولايات المتحدة الأمريكية. ورغم (التأييد المتزايد سياسيًا لإتباع سياسة عادلة مع الاتحاد السوفيتي، إلخ)، إلا أنه اقترح نظرية إعلامية عامة لها تأثير فجائي حقيقي. فإنه صاغ مصطلح "القبول الصناعي". هذا المصطلح الذي أُشتهر فيما بعد على يد تشومسكي، وإن كان ليبمان قصده بأسلوب إيجابي. ففي كتابه المعنون باسم الرأي العام ***Public Opinion*** المنشور في عام ١٩٢٢، كتب أن " طبقة حاكمة " يجب أن تنهض لتواجه التحدي - فقد رأى العامة كما رأها أفلاطون، بوصفها دابَّةً ضخمةً أو قطيعًا مُضِلاً، يتخبَّط ويتعثَّر في "فوضى الآراء العامة"[٣٩]. ولذلك، فقطيع المواطنين يجب أن يحكمه " طبقة مخصصة لها اهتمامات ومصالح تتعدى المحليَّة " - طبقة الصفوة هذه تعمل بوصفها آلة المعرفة التي تراوغ القصور الأصلي للديمقراطية، المثال المستحيل، " للمواطن المحنك - كليًا ". هذا هو، بالتأكيد، النحو الذي تعمل به ديمقراطيتنا - ومع قبولنا ورضانا. ليس هناك سرًا فيما كان يقوله ليبمان، فإنه حقيقة واضحة ؛ وإنما السر يكمن في أننا - كما نعرف ذلك - مستمرون في أن نلعب اللعبة. إننا نعمل كما لو كنا أحرارًا في الاختيار، بينما نحن لا نقبل بصمت فحسب ؛ وإنما حتى نطالب بنصيحة غير مرئية (المدَوَّنة في الشكل الحقيقي والجوهري لتعهدنا " بالحديث الحر ") تخبرنا بما نفعله وبما نفكر فيه. فكما وضع ماركس يده منذ فترة طويلة مضت أن السر يكمن في الشكل نفسه.

وبهذا المعنى، كل مواطن عادي، في ديمقراطية، هو ملك بشكل فعال ومؤثر - ولكنه ملك في ديمقراطية دستورية، وهو سلطان يقرر رسميًا فحسب، مهمته أن يعلن

أي فيما حَدَثَ في ذلك الوقت ") From the booklet accompanying the BFIDVD -edition of Still Life,P.16.) هنا، جيا زهانجك يعد بصيرة دقيقة بشأن الارتباط بين الثورة الثقافية والثورة الرأسمالية المستمرة.

[٣٨] Noam Chomsky, *Necessary Illusions*, Cambridge: South End Press 1999, *P*.69.

[٣٩] Walter Lippman,*Public Opinion* , Charleston: Biblio Life 2008.

عن انتهاء العمل على نحو خالص وفقًا للمعايير المقترحة من قِبل حكومة تنفيذية. وهذا يوضح سبب تناظر المشكلة مع الطقوس الديمقراطية بالمشكلة الكبيرة للحكومة الملكيّة الدستوريّة : كيف نحمي كرامة ومقام الملك ؟ كيف نحافظ على مظهر الملك في صنع القرارات بشكل فعال ومؤثر، عندما نعرف جميعًا أن هذا ليس حقيقيًا ؟ كان تروتسكي محقًا في لومه الرئيس على الديمقراطية البرلمانية، التي لم تمنح قوة كبيرة للغاية للحشود غير المتعلمة، ولكن - على نحو متناقض - إنها تضفي الطابع السلبي على الحشود وتهمشهم، وتتنحي عن إبداء حالة القوة (على العكس من " المجالس السوفيتية " التي تتحرك فيها الطبقات العاملة بذاتها على نحو مباشر وتبدي القوة)[٤٠]. فما نشير إليه بوصفه " أزمة الديمقراطية " لم تحدث - لذلك - عندما توقف الناس عن الإيمان بقوتهم الخاصة ؛ وإنما - على العكس من ذلك - حدثت الأزمة عندما توقف الناس عن الثقة في الصفوة، أولئك الذين أُفترَض أنهم يُعرفونهم ويعدوا لهم الخطوط الهادية، عندما يختبرون الاعتراف المصحوب بالقلق بأن " العَرْش (الحقيقي) يكون فارغًا "، وبأن القرار ملكهم حاليًا بالفعل. وهذا يبين سبب وجود وجه ضئيل من الكياسة والفطنة في " الانتخابات الحرة " دومًا : أولئك الذين في يدهم السلطة يتظاهرون بأدب بأنهم لا يملكوا القوة بالفعل، ويطلبون منا أن نقرر بحرية إذا أردنا أن نمنحهم القوة - بأسلوب يتمرى فيه منطق الإيماءة الحركية على أنه رفضًا لذلك الأمر.

ولنعبر عن ذلك في حدود الإرادة : الديمقراطية النيابية في مفهومها الحقيقي والجوهري تشتمل على سلبية الإرادة الشعبية، وتحولها إلى اللا- إرادة ؛ إذ تحولت الإرادة إلى عامل يعيد حضور وتقديم الشعب والإرادات في حسابه أو يوليها اهتمامه. ومتى يُتهم المرء بتقويض الديمقراطية، فينبغي أن تكون إجابته - إذن - شرحًا لرد ماركس وإنجلز على لوم مماثل(على الشيوعية بأنها تقوض الأسرة، والملكية، والحرية، وإلخ.) ورد في بيان الحزب الشيوعي أوالمانيفستو الشيوعي : النظام الحاكم يقوم بالفعل بكل تقويض ضروري. وبالأسلوب نفسه أن حرية (السوق) تكون بلا حرية بالنسبة لأولئك الذين يبيعون قوتهم - العاملة، و بالأسلوب نفسه أن الأسرة تقوضها الأسرة البرجوازية بوصفها بَغاءًا مشروعًا، والديمقراطية يقوضها الشكل البرلماني بسلبية تبعيته للأغلبية العظمى، فمثلما تقوضها القوة التنفيذية الضمنية المتنامية، يقوضها كذلك المنطق المؤثّر بازدياد للحالة الطارئة.

---

[٤٠] : انظر Leon Trotsky, *Terrorism and Communism*, London : Verso Books 2007.

قد اقترح باديو تمييزًا بين موضوعين (أو، بالأحرى، مستويين) من الفساد في الديمقراطية : في الواقع الفساد الإمبريالي، والفساد الذي تعلق بالشكل الحقيقي والجوهري للديمقراطية بإختزال سياستها إلى مجرد مفاوضة الاهتمامات والمصالح الخاصة. هذه الفجوة تصبح مرئية في تلك الحالات النادرة لسياسي " ديمقراطي " أمين - في أثناء صراعه مع الفساد الإمبريالي - يساند مع ذلك المكان الشكلي للفساد. (هناك - بالطبع - حالة مقابلة أيضًا للسياسي الفاسد إمبرياليًا، الذي يعمل نيابة عن قوة الديكتاتورية وفعاليتها.) في حدود تمييز بنيامين بين القوة المؤسسة والقوة التأسيسية، قد يكون بوسع المرء أن يقول إننا نتعامل مع الاختلاف بين الفساد " المؤسس" (أي الحالات الإمبريالية لتحطيم القانون) والفساد " التأسيسي " للشكل الديمقراطي للحكومة ذاتها :

لأنه إذا كانت الديمقراطية تعني التمثل، فإنها في المقام الأول تمثلاً للنظام العام الذي يحمل أشكاله. أو بتعبير آخر : الديمقراطية الانتخابية تكون تمثيلية فقط طالما أنها في المقام الأول تمثلاً لا إرادي للرأسمالية، أو تمثلاً لما قد أُطلق عليه في الوقت الراهن "اقتصاد السوق". هذا هو فسادها المباطن فيها.[٤١]

ينبغي على المرء أن يتناول تلك السطور بالمعنى الترنسندنتالي الأكثر دقة : فعلى المستوى الإمبريالي - بالطبع - الديمقراطية الليبرالية متعددة - الأحزاب " تمثل" - المرآيا، والسجلات، والمعايير - التبدد الكمِّي للآراء المختلفة، ما يفكر فيه الشعب بشأن البرامج المقترحة للأحزاب وبشأن مرشَّحيهم، وإلخ - ومع ذلك - قبل هذا المستوى الإمبريالي، وبمعنى " ترنسندنتالي " أكثر راديكالية بكثير، " تمثل " الديمقراطية الليبرالية متعددة - الأحزاب - تمثلات - رؤية حقيقية عن المجتمع، والسياسة، ودور الأفراد بداخله. الديمقراطية الليبرالية " تمثل" رؤية جوهرية متقنة للحياة الاجتماعية التي تُنظم فيها السياسة عن طريق الأحزاب التي تتنافس خلال الانتخابات تكد وتجتهد وتسعى للتحكم في الحالة التشريعية والجهاز التنفيذي، وإلخ وهكذا دواليك. ينبغي على المرء دومًا أن يكون واعيًا بأن هذا " الإطار الترنسندنتالي " ليس إطارًا طبيعيًا أبدًا - إنه يميِّز القيم والممارسات اليقينية. هذا اللا- حياد يصبح واضحًا وملموسًا في لحظات الأزمة أو اللامبالاة، عندما نختبر قصور النظام الديمقراطي وعجزه عن تدوين ما يريده الناس أو يفكرون فيه بالفعل - قصور وعجز أشارت إليه الظاهرة الشاذة من قبيل

---

[٤١] Badiou, *The Meaning of Sarkozy*,P.91.

انتخابات المملكة المتحدة البريطانية التي جرت في عام ٢٠٠٥، طالما أنه برغم عدم شعبية توني بلير Tony Blair المتزايدة، (الذي يعد أكثر شخص غير محبوب ولا مقبول في بريطانيا، ومع ذلك قد صوّت له بإطراد)، فليس هناك وسيلة لتعبير مؤثر سياسيًا عن حالة الضجر وعدم القناعة هذه. شيء ما كان خطأ حقيقي وجوهري هنا بوضوح - ألا وهو أن هؤلاء الناس لا يعني أنهم "لم يعرفوا ما الذي أرادوه"؛ وإنما بالأحرى الاستسلام الساخر منعهم من أن يقوموا بأي فعل شاذ أو غير متوقع ؛ ولذلك كانت النتيجة هي فجوة عجيبة بين ما فكر فيه الناس وكيفية قيامهم بالفعل (فعل التصويت).

أفلاطون، في نقده للديمقراطية، كان واعيًا تمامًا بهذا الشكل الثاني للفساد، ونقده يكون، بالإضافة إلى ذلك، ملموسًا بوضوح عند جاكوبن في سياق حديثه عن ميزة الفضيلة : في الديمقراطية، بمعنى التمثل والمفاوضة بين تعدد اهتمامات خاصة، ليس هناك مكانًا للفضيلة. وهذا يبين لِمَ يجب على الديمقراطية - في ثورة الطبقة العاملة - أن يحل محلها ديكتاتورية البروليتاريا.

ليس هناك سببًا للاستهانة بالانتخابات الديمقراطية، المغزى هو أن تصر فحسب على أنها ليست في حد ذاتها علامة على الحقيقة - فعلى العكس من ذلك - أنها قانون أو قاعدة تميل عادةً إلى تأمل الاعتقاد العام السائد الذي يحكمه الإيديولوجيا المسيطرة. دعنا نتناول مثالاً لا يعد بالتأكيد ملغزًا : فرنسا في عام ١٩٤٠.حتى جاك دوكلو Jacques Duclos، المسؤول الثاني في الحزب الشيوعي الفرنسي، سلم في حوار خاص معه بأنه لو كانت قد حدثت انتخابات حرة في فرنسا، لكان المارشال بيتان Marshal Pétain قد فاز بنسبة ٩٠% من الأصوات. عندما رفض دو جول - في فعله التاريخي - معاهدة التسليم لألمانيا وزَعِمَ بأنه فقط، وليس حكم الفيشي، يتحدث نيابة عن فرنسا الحقيقية (وليس مجرد التحدث نيابة عن " غالبية الفرنسيون " !)، فما كان يقوله كان حقيقيًا بعمق حتى وإن كان حديثه ليس " ديمقراطيًا " بدون شرعية فحسب ؛ وإنما كان، بالإضافة إلى ذلك، مقابلاً بوضوح لرأي غالبية الشعب الفرنسي. هناك بالإمكان وجود انتخابات ديمقراطية شرعت حدث التاريخ - الانتخابات التي فيها - ضد جمود وخمول الكلبية - الشكية - الغالبية " يستيقظون " في كل لحظة ويصوّتون ضد سيادة الرأي الإيديولوجي. ومع ذلك، الطبيعة الاستثنائية الجوهرية لمثل هذا الحادث أو الواقعة تبرهن على أن انتخابات كمثل هذه ليست وسيط الحقيقة.

إنها - القوة الكامنة الأصيلة للديمقراطية - التي تفتقد حاليًا الأساس لظهور الرأسمالية الفاشستية، تمتلك مجاسات تقترب أكثر فأكثر من الغرب. في كل دولة -

بالطبع - وفقًا " لقيمها " الخاصة : رأسمالية بوتين Putin " بالقيم الروسية " (الإظهار الفظ للقوة)، رأسمالية برلسكوني " بالقيم الإيطالية " (وضع كوميدي). كلٌ من بوتين وبرلسكوني سيطرا على الديمقراطيات التي كانت تُختزل بازدياد إلى هيكل طقسي فارغ، وبدلاً من الموقف الاقتصادي الذي صار أسوأ بسرعة، يستمتع كلاهما بمستوى عالي من المساندة الشعبية (إلى أكثر من ٦٠% من قوائم أسماء المنتخبين). لا نندهش من أنهم أصدقاء شخصيين : كلاهما لديه مَيْلاً تجاه ثوران عرضي " تلقائي " شائن (الذي - على الأقل في حالة بوتين - يكون معدًا - جيدًا سلفًا ؛ لذلك فإنهما يلائمان " الطابع القومي " الروسي). فمن حين لآخر، كنا نجد بوتين يستخدم كلمة بذيئة عامة، أو يصدر تهديدًا شنيعًا - بحيث يجمع بينهما منذ عامين مضيا - فعندما طرح عليه صحفي غربي سؤالاً غير مُرضي عن الشيشان Chechnya، سرعان ما أجاب بوتين بأنه لو كان الصحفي لم يُختن بعد فإنني أدعوه بحرارة ومودة إلى موسكو Moscow، حيث لديهم جراحين ممتازين سوف يجرون له هذه العملية بتلذُّذ.

من الربح إلى التأجير :

من أين يأتي انبعاث هذه السلطة اللا- ديمقراطية المباشرة ؟ فيما يتجاوز ويعلو على أية عوامل ثقافية متضمنة، هناك ضرورة باطنية لهذا الانبعاث في المنطق الحقيقي والجوهري للرأسمالية المعاصرة. ولنقول إن المشكلة المحورية التي نواجهها في الوقت الراهن هي بيان كيف أن سيادة " العمل العقلي " (أو حتى الدور المهيمن له) في داخل الرأسمالية المتأخرة أثر في نموذج ماركس الرئيس عن فصل العمل عن أسبابه الموضوعية ومحدداته، وفصله عن الثورة بوصفها إعادة ملائمة وتوافق موضوعي مع تلك الأسباب والمحددات. ففي مجالات كمثل شبكة الاتصالات العالمية، والإنتاج، والتبادل والاستهلاك تعد متشابكة ومجدولة مع بعضها البعض على نحو معقد، وحتى محددة على نحو كامن : طالما أن منتجي يصل على نحو مباشر إلى الآخر ويستهلكه. إن مفهوم ماركس الكلاسيكي عن تجارة الفتشية، التي تتخذ فيها "العلاقات بين الناس" شكل "العلاقات بين الأشياء" يجب - إذن - أن يُعاد التفكير فيها جذريًا : ففي "العمل الروحي أو اللامادي"، لا تعد " العلاقات بين الناس "مجرد قشرة تحتية متخفية تمامًا للموضوعية؛ وإنما هي بذاتها المادة الحقيقية والجوهرية لاستثمارنا اليومي[٤٢]؛ ولذلك

---

(٤٢) Nina Power, " Dissing ", ***Radical Philosophy*** 154,P.55.

فإننا لم يعد بإمكاننا بأية حال الحديث عن " اعتبار الشيء مجرد ماديًا (أو تمدّي الشيء) بالمعنى اللوكاسي الكلاسيكي. بمنأى عن الوجود اللامرئي، فإن العلاقة الاجتماعية في سيلانها الحقيقي والجوهري هي على نحو مباشر مسألة التسويق والتبادل : في " الرأسمالية الثقافية "، لم يعد يبيع المرء (ويشتري) الموضوعات التي " تجلب " الخبرات الانفعالية أو الثقافية ؛ وإنما يبيع المرء على نحو مباشر(ويشتري) مثل هذه الخبرات.

بينما يجب على المرء أن يسلم بأن نيجري يُدرك هنا تمامًا السؤال الجوهري، إلا أن إجابته تبدو ناقصة وغير ملائمة. فنقطة بدايته هي أطروحة ماركس في كتابه معالم أساسية عن التحويل الجذري لوضع " الرأسمال الثابت " :

إن تطور الرأسمال الثابت يشير إلى درجة المعرفة الاجتماعية العامة التي قد أصبحت بمثابة قوة مباشرة في الإنتاج، ويشير - هكذا - إلى أية درجة قد صارت أسباب عملية الحياة الاجتماعية ذاتها ومحدداتها تحت قيادة تحكم الفكر العام وتحولت وفقًا له. إلى أية درجة قد كانت قوى الإنتاج الاجتماعي - التي قد أفرزت ليس فحسب في شكل المعرفة ؛ وإنما أيضًا بوصفها وسائل مباشرة للممارسة الاجتماعية - نتاج عملية الحياة الواقعية[٤٣].

مع تطور المعرفة الاجتماعية العامة، تعد " القوة الإنتاجية للعمل " - إذن - " في حد ذاتها أعظم قوة إنتاجية ". من وجهة النظر هذه عن عملية الإنتاج المباشر يمكن أن ينظر إليها بوصفها إنتاج الرأسمال الثابت، كون الرأسمال الثابت هو الإنسان نفسه "[٤٤]. وبتعبير آخر طالما أن الرأسمال ينظم استثماره عن طريق ظهوره بوصفه "رأسمال ثابت" ضد العمل الحي، ففي تلك اللحظة إن المكوِّن الرئيس للرأسمال الثابت هو "الإنسان نفسه"، أو " المعرفة الاجتماعية العامة "، بحيث يقوّض الأساس الاجتماعي الحقيقي والجوهري للاستثمار الرأسمالي، ويصبح دور الرأسمال طُفَيْلي على نحو خالص. وفقًا لمنظور نيجري، إنه مع وسائل الإعلام التفاعلية العالمية الراهنة، لم يعد الابتكار الإبداعي فرديًا؛ وإنما هو، على نحو مباشر، عملٌ جماعي، فهو جزء من "الجماعة". ولذلك أية محاولة لإضفاء طابع الخصوصية عليه خلال حق التأليف يصبح ملغزًا ويمثل إشكالية - أو بتعبير أكثر فأكثر حرفيًا، " الملكية تكون عند هذا الحد سرقة". ولذلك ماذا عن شركة كمثل شركة ميكروسوفت التي قامت على نحو دقيق بهذا التنظيم والاستثمار

---

[٤٣] Karl Marx, *Grundrisse*, translated with a foreword by Martin Nicolaus, Harmondsworth: Penguin 1973,*P*.706.

[٤٤] Ibid.

للتعاون الجماعي بين التفرُّدات المعرفية الإبداعية ؟ وبالتالي، يبدو أن المهمة الوحيدة المتبقية هي أن نتخيل كيف أن العمال المعرفيين سوف "ينحون جانبًا الكتل الشاخصة، طالما أن التحكم الصناعي في العمل المعرفي قد تم تجاوزه كليةً"[٤٥]. فما تشير إليه الحركات الاجتماعية الجديدة هو أن " عصر الأجور انتهى، وأننا قد اجتازنا من المواجهة بين العمل والرأسمال المتعلق بالأجور إلى المواجهة بين الجمهور والدولة المعنية بإصلاح دخل المواطن "[٤٦]. وفي ذلك يقطن الشكل الرئيس "للتحوُّل الثوري الاجتماعي في الوقت الراهن" : "يجب على المرء أن يجلب الرأسمال إلى إدراك ثِقل وقيمة وأهمية الصالح العام، وإن كان الرأسمال ليس مستعدًا لهذا الإدراك، فيجب على المرء أن يُجبره ويُلزمه بذلك".[٤٧] لاحظ عبارة نيجري الدقيقة : فهو لم يقل " إلغاء ومحو " الرأسمال ؛ وإنما قال " تجبره وتلزمه " أن إدراك الصالح العام، أو بتعبير آخر، ينبغي على المرء أن يظل ويبقى في داخل الرأسمالية - طالما أنه إذا كان هناك دومًا فكرة يوتوبية، فإنها بالتأكيد الرأسمالية. ومن هنا يتبين لنا كيف يصف نيجري قرابة وجوار الرأسمالية السياسية الحيوية المعاصرة بالإثبات المباشر لإنتاجية الجمهور :

إن هذه الصورة هي إحدى صور التداولات التجارية، وشبكة المعلومات، والحركات المستمرة، والبدواة الأصلية للعمل، والاستغلال الوحشي لتلك الديناميات ولكنها، بالإضافة إلى ذلك، إحدى صور الفيض والتجاوز المستمر والدائم، للقوة السياسية الحيوية للجمهور لتجاوزها لما يتعلق بالقدرة التحكمية البنائية للمؤسسات المهيمنة. فكل الطاقات المتاحة تسخر في العمل، والمجتمع يسخر في العمل ففي داخل هذا المجموع المسخر للعمل والتوصية بالقيام بالعمل تكمن حرية لازمة لا تجبر على التحكم في هذا الأمر بحيث تحاول أن تقمعه وتكبته. حتى مع أن الحرية يمكن أن تسير على نحو مقابل لطبيعتها فخطوط الطيران مازالت مفتوحة في هذا التناقض الوجداني : فالمعاناة تكون غالبًا إنتاجية ولكنها ليست أبدًا ثورية، فما يكون ثوريًا يعد تجاوزًا، وفيضانًا، وقوةً[٤٨].

فما نجده هنا هو رحم التدفق الإنتاجي الرئيس لما بعد - الهيجلية الذي يعد دومًا في حالة تجاوز لما يتعلق بالشمولية البنائية التي تحاول أن تقمعه وتكبته وتتحكم فيه

[٤٥] Toni Negri, ***Goodbye Mr. Socialism***,Rome: Feltrinelli 2006,***P***.234.

[٤٦] Ibid.,***P***.204.

[٤٧] Ibid.,***P***.235.

[٤٨] Toni Negri ," On Rem Koolhaas", ***Radical Philosophy*** 154 *P*.49.

ولكن، ماذا لو - في تحويل المرأى - أدركنا شبكة العمل الرأسمالي ذاته بوصفها التجاوز الحقيقي لتدفق الجمهور الإنتاجي ؟ ماذا لو - في أثناء الإنتاج المعاصر للجمهور الذي ينتج على نحو مباشر الحياة، استمر في إنتاج التجاوز (الذي يكون حتى زائدًا عمليًا)، تجاوز وفائض الرأسمال ؟ لماذا لازالت تحتاج العلاقات المنتجة على نحو مباشر إلى الدور الوسيط للعلاقات الرأسمالية ؟ ماذا لو كان اللغز الحقيقي يتمثل في سبب احتياج الحركة " الذرية " المتحركة باستمرار إلى بناء " كتلي " طفيلي فمن الذي يظهر(بشكل مُضلل) بوصفه عقبةً لإنتاجيته غير المقيدة ؟ فلماذا - في لحظة ما نمحو هذه العقبة / التجاوز - ونفقد الفيض الإنتاجي المُقيد من قِبل الإفراط الطفيلي ؟ وهذا يعني، بالإضافة إلى ذلك، بأننا ينبغي علينا أن نقلب موضوع الفتشية، أي موضوع " العلاقات بين الناس التي تبدو كأنها علاقات بين الأشياء " : فماذا لو أن " إنتاج الحياة " المباشر الذي يحتفي به هارت ونيجري كان واضحًا بشكل زائف ؟ ماذا لو أن - فيه، " العلاقات غير المرئية بين الأشياء [اللامادية] [للرأسمال] تبدو كأنها علاقات مباشرة بين الناس" ؟

فيعد أمرًا حاسمًا هنا، أكثر من أي وقت مضى، أن نتذكر درس الجدل الماركسي عن العملية الفتشية : طالما أن " عملية إضفاء الطابع المادي " على العلاقات المجردة بين الناس (فإنهم يفترضون في الحقيقة شكلاً تخيليًا " للعلاقات بين الأشياء ") يطوّي ثانية دومًا عن طريق العملية المضادة لها بوضوح ألا وهي "عملية إضفاء الطابع الشخصي" الخاطئة (أي عملية تفسير السلوك سيكولوجيًا") لما يمثل العمليات الاجتماعية الموضوعية بشكل فعال ومؤثر. فلقد انتبه بالفعل في الثلاثينيات منظري الجيل الأول من مدرسة فرانكفورت إلى كيفية - في اللحظة الجوهرية التي بدأت فيها علاقات السوق العالمية أن تُبدي سيادتها الكاملة - جعل نجاح المُنتِج الفردي أو إخفاقه يعتمد على عجلات السوق كليةً فيما وراء تحكمه - فمفهوم " عبقرية العمل " الساحر أعاد تأكيد وإثبات ذاته في " الإيديولوجيا الرأسمالية التلقائية " من جديد، ويعزون نجاح رجل الأعمال أو إخفاقه إلى شيءٍ ما غامض، فأنا لا أعرف ما الذي يمتلكه ليحقق هذا النجاح. وهل لا يجب أن ينطبق ذلك بحق على شيء ما في الوقت الراهن، مثلما ينطبق على تجريد علاقات السوق التي تتحكم في حيواتنا بحيث تدفعها إلى أقصى درجة؟ إن محلات بيع الكتب تفيض بالكتيبات السيكولوجية التي تنصحنا بكيفية نجحنا، وكيفية تفوقنا على شريكنا أو منافسنا - أو بإيجاز، هذه الكتيبات تعالج النجاح كوجود يعتمد على " التوجه " الملائم. ولذلك، بأسلوب ما، يرغب المرء في قلب عبارة ماركس رأسًا على عقب : تحت نطاق الرأسمالية المعاصرة تميل "علاقات السوق الموضوعية بين الأشياء"

إلى افتراض الشكل التخيلي شبه - تشخيصي من " العلاقات بين الناس". ويبدو أن هارت ونيجري وقعوا في هذا الفخ : فما يحتفوا به بوصفه " نتاجًا للحياة " المباشر هو وهم بنائي من هذا النمط.

ومع ذلك، قبل أن نخضع للحسرة على التأثير "المغاير والمُحول" لحقيقة أن "العلاقات بين الأشخاص" حل محلها "العلاقات بين الأشياء" ينبغي أن نتذكر التأثير المقابل التحرري : استبدال محو - الطابع الفتشي من "العلاقات بين الأشخاص" بالفتشية في " العلاقات بين الأشياء "، مما يتيح لهم أن ينالوا الحرية "الشكلية" والاستقلال. بينما - في اقتصاد السوق - أبقى وأظل في الواقع تابعًا، وهذه التبعية مع ذلك "تتمدّن"، شرعت في شكل تبادل سوق " حرة " بيني وبين الأشخاص الآخرين بدلاً من أن تُشرع في شكل العبودية المباشرة أو القهر المادي الطبيعي. فمن السهل أن نسخر من إين راند، ولكن هناك بذرة حقيقة في " ترنيمة المال " المشهورة المنبعثة من روايتها المعنونة باسم أطلس مستهجن :

ما لم تكتشف أن المال هو جذر كل شيء حسن، فإنك ستتعرض لتدميرك وإفناءك الخاص. فعندما يكف المال عن أن يصبح وسيلة تعامل البشر مع بعضهم البعض، فعندئذ سيصبح البشر أدوات لبعضهم البعض. الدم، أم الأسواط والمسدسات أم الدولارت قم باختيارك - فليس هناك شيئًا آخر[٤٩].

ألا تقول عبارة ماركس التي تعتد ببيان أن " العلاقات بين الناس تفترض أسلوب العلاقات فيما بين الأشياء " شيئًا متشابهًا في مجال السلع الاقتصادية ؟ ففي اقتصاد السوق، من الممكن أن تبدو العلاقات بين الناس بوصفها علاقات متبادلة من الحرية والمساواة المعترف بها بينهما : السيادة لم تعد تُشرع على نحو مباشر أو تكون مرئية بالنحو الذي تكون عليه. فما يكون مُلغزًا هو فرض راند المباطن في كلامها : إن الاختيار الوحيد يكون بين العلاقات المباشرة والعلاقات غير المباشرة للسيادة والاستغلال والاستثمار.

ولذلك، فماذا عن النقد الرئيس " للحرية الشكلية "، أعني أنها بأسلوب ما أسوأ حتى من العبودية المباشرة، طالما أنها قناع يضل المرء ويخدعه في تفكيره بأنه حر ؟ والجواب على هذه الرؤية النقدية نلتمسه في شعار هربرت ماركوز القديم إن : "الحرية هي شرط التحرير" : للمطالبة " بالحرية الواقعية الفعلية "، يجب عليّ أن

---

(٤٩) Ayn Rand, *Atlas Shrugged*, London : Penguin Books 2007 ,P.871.

أكون قد اختبرت نفسي بوصفي حرًا على نحو رئيس وجوهري - فقط مثلما بإمكاني أن اختبر عبوديتي الواقعية الفعلية بوصفها فسادًا لحالتي الإنسانية. وللخبرة بهذا التناقض بين حريتي وواقع عبوديتي - ومع ذلك - يجب عليّ أن أكون مدركًا بوصفي حرًا شكليًا: المطالبة بحريتي الواقعية يمكن أن تنشأ على حريتي "الشكلية". أو بتعبير آخر، وبالأسلوب نفسه على نحو دقيق، في تطور الرأسمالية، التعميم الشكلي لعملية الإنتاج تحت الرأسمال تسبق وتتقدم تعميمه المادي، مثلما تسبق الحرية الشكلية على الحرية الواقعية وتتقدم عليها، وتبدع الأسباب والمحددات الأخيرة. فقوة التجريد الحقيقية والجوهرية التي تذيب العوالم - التي تتعلق بالحياة العضوية هي مصدر السياسة التحررية معًا وفي الوقت ذاته. فالنتائج الفلسفية لهذه الحالة الواقعية للتجريد تكون حاسمة : فإنها تجبرنا على رفض النسبية والسياق التاريخي للأساليب المختلفة للذاتية، وأن تؤكد على الذات الديكارتية " المجردة " (الكوجيتو) بوصفها شيئًا ما يُفسد في الوقت الراهن من داخل الأشكال المختلفة للخبرة - الذاتية الثقافية بأكملها - فلا يعنينا إلى أي حد ندرك أنفسنا بوصفنا وجودًا راسخًا في ثقافة خاصة، اللحظة التي نشارك فيها الرأسمالية العالمية، هذه الثقافة تكون بالفعل محو - للطابع الطبيعي (التجنّس) دائمًا، بحيث تعمل بشكل فعال ومؤثر بوصفها أسلوبًا محددًا وعارضًا من "أساليب حياة" الذاتية الديكارتية المجردة.

كيف بلغنا إلى هذه الحالة الجديدة من سيادة التجريد؟ لقد ركز المعارضون في عام ١٩٦٨ على صراعهم ضد (ما يُدرك بوصفه) دعامات الرأسمالية الثلاثة : المصنع، والمدرسة، والأسرة. وكنتيجة، لكل مجال كان يذعن - إذن - للتحويل ما بعد الصناعية : ففي المصنع يزداد الاستعانة بمصادر خارجية للقيام بالعمل أو - على الأقل في العالم المتطور - أعيد التنظيم على أساس العمل الجماعي التفاعلي غير القائم على التفاوت الطبقي فيما بعد - الفوردية، وعلى أن يحل التعليم الدائم والقابل للتغير محل التعليم العام العالمي، وأن تحل الأشكال المتعددة من الاتفاقات والتنظيمات الجنسية المتلونة محل الأسرة التقليدية[٥٠]. فُقِدَ اليساري في لحظة النصر الجوهرية : فالعدو المباشر يهزم، بينما يحل محله شكلاً جديدًا يعد حتى أكثر مباشرة من التحكم الرأسمالي السائد. إذ إنه في رأسمالية " ما بعد - الحداثة "، قد غزا السوق مجالات جديدة ينظر إليها حتى الآن كمجال مميّز للدولة، بدءًا من التعليم إلى السجون والقانون والنظام. فعندما

---

[٥٠] : انظر Daniel Cohen, *Trois lecons sur la societe post-industrielle*, Paris: Editions du Seuil 2006.

يُحتفى " بالعمل الروحاني أو اللامادي " (كالتعليم، والعلاج، وإلخ) بوصفه نوعًا من العمل الذي ينتج على نحو مباشر العلاقات الاجتماعية، فينبغي على المرء ألا ينسى ما الذي يعنيه ذلك في مجال السلع الاقتصادية : أي - في تلك المجالات الجديدة، المستبعدة قبلئذ من السوق، ولكنها صارت ملائمة حاليًا. عندما نقع في مشكلة، فإننا لم نعد نتحدث إلى صديق ما عنها ؛ وإنما ندفع لطبيب نفساني أو لمستشار ليعتني بالمشكلة، والأطفال لا يعتني بهم على نحو متزايد الأباء وإنما المربيات أو جليسات - الأطفال، وإلخ. فإننا نكون - إذن - في منتصف عملية جديدة لخصخصة اجتماعية، وتأسيس المشتملات والتضمينات الجديدة.

وأن ندرك تلك الأشكال الجديدة للخصخصة ؛ فإننا نحتاج إلى تحويل الجهاز التصوري لماركس بشكل حاسم. إذ إنه بسبب تجاهل ماركس للبعد الاجتماعي " للفكر العام "، فإنه قد أخفق في أن يواجه ويتصور إمكانية خصخصة " الفكر العام "نفسه – وهذا هو لب الصراع حول" الملكية الفكرية ". فلقد كان نيجري محقًا في هذه الوجهة من النظر : في داخل هذا الإطار – لم يعد الاستثمار بالمعنى الماركسي الكلاسيكي ممكنًا – الذي يبين سبب ضرورة الإلتزام أكثر فأكثر بالمعايير القانونية المباشرة، وهذا يكون، بأساليب لا- اقتصادية. إذ يبين لِمَ يتخذ الاستثمار بإزدياد – في الوقت الراهن – شكل التأجير : فكما عبر عن ذلك كارلو فيرسيلون Carlo Vercellone بقوله إن رأسمالية ما بعد الصناعية يميزها " صيرورة - تأجير حق الانتفاع "[٥١]. وهذا هو سبب الحاجة إلى السلطة المباشرة : وفقًا لفرض الشروط القانونية (التعسفية) لاستئصال التأجير، تلك الشروط التي لم يعد يولدها السوق " تلقائيًا ". بالطبع يقطن في ذلك " التناقض " الرئيس لرأسمالية " ما بعد الحداثة " في الوقت الراهن: بينما يكون منطقها محو – التنظيم،" محو – التمركز (أو اللامركزية)"، البدائية أو اللاتحضر، ومحو- الطابع الاقليمي، وإلخ، إلا أن نزوعها الرئيس نحو " صيرورة تأجير حق الانتفاع " تحمل إشارات إلى تقوية دور الدولة التي لديها مهمة منظمة تكون أكثر حضورًا دومًا في كل مكان وفي كل الأوقات. فمحو الطابع الاقليمي الدينامي يشارك في الوجود مع، ويكمن في، التدخلات الفاشستية المتزايدة للدولة وشرعيتها وأجهزتها الأخرى. فما يكون بوسع المرء إدراكه في أفق صيرورتنا التاريخية هو – إذن - مجتمع تتشارك فيه الليبرالية الشخصية مع مذهب اللذة في الوجود مع (وتساندهما) شبكة معقدة لآليات الدولة المنظمة. بمنأى عن الاختفاء، تكون الدولة في الوقت الراهن قوة التجميع.

---

(٥١) انظر *Capitalismo cognitivo*, edited by Carlo Vercellone, Rome : Manifestolibri 2006.

ولنعبر عن ذلك بأسلوب آخر : بسبب الدور الحاسم " للفكر العام " (أي المعرفة والتعاون الاجتماعي) في إبداع الثراء، قد صارت أشكال الثراء " غير متناسبة بشكل متزايد مع الأجور المباشرة التي يتقضاها العمال نظير الوقت الذي يقضونه في إنتاجهم"، والنتيجة ليست - كما قد توقع ماركس - التحلل - الذاتي للرأسمالية، ولكنها بالأحرى التحويل النسبي التدريجي من الربح الذي يولده استغلال القوة - العاملة إلى التأجير الذي أفرزته خصخصة هذا " الفكر العام " الحقيقي والجوهري. فلنتناول حالة بيل جيتس : كيف أصبح أغنى رجل في العالم ؟ فثرائه لم يملك شيئًا يفعله مع نفقات إنتاج مبيعات سلع ميكروسوفت Microsoft (بوسع المرء أن يبرهن حتى على أن ميكروسوفت تدفع رواتب مرتفعة نسبيًا لمصممي برامجها). فلم ينجم ذلك الثراء بسبب إنتاجه لسوفت وَير جيد بأسعار أقل من منافسيه، ولا بسبب المستويات العليا من " الاستغلال " لعماله المأجورين. وإذا كانت هذه هي الحالة، لكانت ميكروسوفت قد أفلست منذ فترة طويلة مضت : ولكانت حشود من البشر قد اختارت برامج من قبيل لينُكس Linux، طالما أنها تعد - وفقًا للمتخصصين - مجانية وأفضل من برامج ميكروسوفت معًا وفي الوقت ذاته. ولكن، لماذا - إذن - مازالت ملايين من الناس تشتري ميكروسوفت؟ لأن ميكروسوفت قد نجحت في فرض ذاتها غالبًا بوصفها أساسًا عالميًا، واحتكارًا للمجال (حقًا)، بنوع من التجسيد المباشر " للفكر العام ". فلقد أصبح جيتس أغنى رجل على الأرض منذ عقدين مضيا عن طريق امتلاكه لحق التأجير وللإيجار الذي يتلقاه من خلال السماح لملايين من مصممي البرامج بالمشاركة في استخدام الشكل المحدد " للفكر العام "، الذي خصصه لنفسه بنجاح ومازال متحكم فيه. فهل صحيح - إذن - أن مصممي البرامج (أو الذين يقومون بالأعمال العقلية) في الوقت الراهن لم يعدوا منفصلين عن الأسباب الموضوعية لعملهم ومحدداتها (فإنهم يملكون كمبيوتر خاص بهم، وإلخ.)، الذي جاء في وصف ماركس عن " التحويل " الرأسمالي ؟ بشكل سطحي، ربما قد رغب المرء في أن يجيب " بنعم "، ولكن على نحو أكثر أساسية، إنهم يظلوا منقطعين عن المجال الاجتماعي لعملهم، وعن " الفكر العام " ؛ لأن هذا الأخير يتوسطه الرأسمال الخاص.

والأمر نفسه يجب أن ينطبق على الموارد الطبيعية : فاستغلالهم هو - في الوقت الراهن - واحد من المصادر الضخمة للتأجير، أشير إليها عن طريق صراع دائم على نحو متكرر عمن سيتلقى هذا الإيجار هل هم شعوب العالم الثالث أم الشركات الغربية. فالسخرية العليا هي أن - لتفسير الاختلاف بين القوة - العاملة (التي - عندما تُكلف

بعمل - تنتج قيمة - إضافية تفوق قيمتها الخاصة وتعلو عليها) وسائر السلع الأخرى (القيمة التي تُستهلك في استخدامهم، والتي لا تنطوي - إذن - على استغلال) ينوه ماركس إلى مثال بإحدى السلع " المألوفة " ألا وهو النفط، السلعة الجوهرية التي تعد في الوقت الراهن أصل " أرباح " غير عادية. وعند هذا الحد، بالإضافة إلى ذلك، يعد أمرًا بلا معنى ربط زيادة أسعار النفط وانخفاضها بزيادة تكاليف الإنتاج أو انخفاضها أو براتب العامل المأجور - فتكاليف الإنتاج تكون زهيدة، والسعر الذي ندفعه للنفط هو الإيجار الذي ندفعه للملاك والمتحكمين في هذا المورد الطبيعي بسبب ندرة مخزونه الاحتياطي المحدود.

إن كانت تبدو كأنها عناصر ثلاثة مكوِّنة لعملية الإنتاج- ألا وهم : الخطة العقلية والتسويق، وخامات الإنتاج، والمخزون الاحتياطي للموارد المادية - فإنها - كذلك - مستقلة على نحو متزايد، وتخرج إلى حيز الوجود بوصفها مجالات منفصلة. يظهر هذا الانفصال في نتائجه الاجتماعية - في الوقت الراهن - في زي " الطبقات الثلاثة الرئيسة " في المجتمعات المتطورة، التي لا تعد، على نحو دقيق، مجرد طبقات ؛ وإنما هي بالأحرى أجزاء ثلاثة من الطبقة العاملة : المفكرون (أو الذين يقومون بالأعمال العقلية)، وطبقة العامل اليدوي القديم، والعاطلين (العاطلين، أولئك الذين يعيشون في الأحياء الفقيرة وفي شتى الأماكن العامة). الطبقة العاملة تقع - إذن - في أجزاء ثلاثة، كل جزء " بأسلوبه الخاص في الحياة " وإيديولوجيته الخاصة : المستنير الذي يمثل مذهب اللذة وطبقة المفكرون المؤيدة لمذهب تعدد- الثقافات الليبرالي، والطبقة العاملة القديمة المؤيدة لمذهب التعصب الشعبي، أشكال أكثر تفوقًا وتفردًا من الجزء العاطل عن العمل. في الهيجلية، يعد هذا الثالوث بوضوح ثالوث **الكلي** (أي المفكرون أو العمال العقليون)، و**الخاص** (أي العمال اليدويون)، و**الفردي** (أي العاطلون). العائد من هذه العملية هو الإنحلال التدريجي للحياة الاجتماعية الملائمة، والإنحلال لمكان عام ربما يمكن أن تتقابل فيه الأجزاء الثلاثة كلها، و" هوية " السياسة في كل أشكالها هي متمِّم لهذا الفقدان. فهوية السياسة تكتسب شكلاً خاصًا في داخل كل جزء : فمع طبقة المفكرون تصير سياسة ذات هوية متعددة- الثقافات، بينما تصبح تعصبًا شعبيًا يتساوق فيما بين الطبقة العاملة، والتجمعات شبه - غير القانونية (كالعصابات الإجرامية، والطوائف الدينية، وإلخ.) والعاطلين. فما يشترك فيه كل هؤلاء هو الالتجاء إلى هوية حقيقية وجوهرية بوصفها بديلاً عن فقدان المكان العام العالمي.

تنقسم الطبقة العاملة - إذن - إلى أجزاء ثلاثة كل جزء يعمل ضد الآخرين : فالمفكرون أو العمال العقليون مُثقلون بالتحيز الثقافي والتحامل ضد العمال " الريفيين القُح " [أو الفلاحين القح]، العمال الذين يظهرون - بدورهم ضغينة وكراهية شعبية للمفكرين أو العمال العقليين والعاطلين، العاطلين الذين هم خصوم للمجتمع بالنحو الذي يكون عليه. فالهتاف القديم : " يا عمال، اتحدوا ! " يعد - إذن - أكثر ملاءمة من أي وقت مضى : في الأسباب والمحددات الجديدة لرأسمالية " ما بعد الصناعية "، تعد بالفعل وحدة الأجزاء الثلاثة من الطبقة العاملة بمثابة انتصارهم. ومع ذلك، هذه الوحدة لن يولدها أي شكل من " الآخر الضخم " مُشارًا إليها بوصفها "الميل الموضوعي" للعملية التاريخية ذاتها - فالموقف مفتوحًا تمامًا ومنقسمًا بين نسختي الهيجلية.

نحن من كنا ننتظر قدومهم :

سوف يكون المستقبل فكرًا هيجليًا - وبشكل أكثر جذرية بكثير من أن يكون فكرًا فوكوياميًا. إن الخيار الحقيقي الوحيد الذي يترقبنا وينتظرنا - الخيار بين الاشتراكية والشيوعية - هو الخيار بين الهيجليْن. فإننا قد وضعنا أيدينا بالفعل على كيف أن الرؤية " المحافظة "لهيجل تشير بغموض تجاه " الرأسمالية بالقيم الأسيوية" : نظم مجتمع مدني رأسمالي في طبقات اجتماعية ظلت مقمعة من قِبل دولة فاشستية قوية "بموظفين حكومة" إداريون وقيم تقليدية. (تقترب اليابان المعاصرة من هذا النموذج.) الاختيار هو إما هيجل هذا - أو هيجل الهايتي. يبدو الأمر كما لو كان الانقسام إلى الهيجليين القدماء والهيجليين الشبان قد حدث مرة أخرى من جديد.

ولكن، ما هي الفرص المتاحة لليسار الهيجلي في الوقت الراهن ؟ هل بوسعنا أن نعتمد فحسب على الانفجارات اليوتوبية اللحظية - من قبيل كوميون باريس، واستيطان الكندوس في البرازيل، أو كوميون شانجهاي - التي حُلت بسبب القمع الخارجي الفظ أو الضعف الداخلي، مُقدَّر لها أن تبقى مجرد تحويلات قصيرة الأجل عن المسار الرئيس للتاريخ ؟ هل قُدِّر للشيوعية - إذن - أن تبقى مجرد فكرة يوتوبية عن عالم آخر ممكنًا، فكرة إدراكها واستيعابها للأمور ينتهي على نحو ضروري بالإخفاق أو بإرهاب مدمر - ذاتيًا ؟ أم هل ينبغي علينا أن نبقى أوفيّاء بشكل بطولي للمشروع البنياميني عن الثورة الحاسمة التي سوف تخلصنا من تكرار كل الهزائم الماضية، وتعلن عن يوم الحساب ؟ أم - بشكل أكثر جذرية، هل ينبغي علينا أن نغير المجال كلية،

مدركين أن الخيارات المقترحة توًا تمثل ببساطة وجهين لعملة واحدة، ألا وهي مفهوم الخلاص الغائي للتاريخ؟

بالطبع، يقطن الحل في نزعة رؤيويّة غيبية لا تتضمن فانتازيا الحكم الرمزي الباقي الذي سوف تستقر فيه وترسخ الحسابات الماضية ؛ وإنما تشير إلى مجازات بنيامين الأخرى، بحيث تكون المهمة " على نحو خالص" هي أن نُوقف قطار التاريخ الذي، انحرف عن مساره الخاص، وقادنا إلى الهاوية. (الشيوعية - إذن - ليست هي الضوء في نهاية النفق، بمعني أنها ليست المحصلة النهائية السعيدة لصراع طويل وشاق - فإذا كان أي شيء بمثابة الضوء في نهاية النفق فهو بالأحرى ضوء قطار آخر يقترب منا تمامًا.) هذا ما سيكون فعل سياسي ملائم في الوقت الراهن : الذي لا يتمثل كثيرًا في إطلاق العنان لحركة جديدة بقدر ما يتمثل في إعاقة الحركة السائدة حاليًا. وبالتالي، سوف يعني - إذن - فعل " العنف المقدس " السحب العاجل لشريط الطوارئ من تحت قطار التقدم التاريخي. أو بتعبير آخر، يجب على المرء أن يتعلم كلية أن يسلم بأنه ليس هناك " الآخر الضخم " - أو - كما يعبر باديو عن ذلك بأسلوب بليغ :

إن أبسط تعريف للإله وللدين يكمن في فكرة أن الحقيقة والمعنى هما شيء واحد. فموت الإله هو نهاية فكرة وضع الحقيقة والمعنى بوصفهما الشيء نفسه. وبإمكاني أن أضيف بأن موت الشيوعية، بالإضافة إلى ذلك، يتضمن الانفصال بين المعنى والحقيقة لحين اهتمام التاريخ بها. إن " معنى التاريخ " له معنيان : من جهة يعني " التوجه " أي أن التاريخ يتجه إلى مكان ما، وبهذا المعنى يكون التاريخ هو تاريخ التحرير الإنساني من قبيل الطبقة العاملة، وإلخ. ففي الحقيقة، كان عصر الشيوعية الكامل بمثابة فترة ساد فيها الاعتقاد بأنه بالإمكان اتخاذ قرارات سياسية صائبة بالفعل، بحيث كان يقودنا - في تلك اللحظة - معنى التاريخ ومن ثم، فموت التاريخ يصبح - إذن - الموت الثاني للإله ولكن في إقليم التاريخ[٥٢].

ينبغي علينا - إذن - أن نتنحى بقوة عن التحيُّز " من جانبنا " على مدار الزمان الخطي للتطور، للقول بأن التاريخ " يعمل من أجلنا " كمثل حفر الحاجز القديم المشهور تحت الأرض، مؤديًا عمل دهاء العقل. هل ينبغي علينا - إذن - أن ندرك التاريخ بوصفه عملية مفتوحة يُعرض علينا فيها اختيارًا ؟ بهذا المنطق، يقوض التاريخ فحسب الخيارات التي نواجهها، حدود الاختيار، وليس الاختيار نفسه. ففي كل لحظة

---

(٥٢) "A conversation with Alain Badiou , " lacanian ink 23 (2004) ,*P*. 100-1.

من الزمان، هناك إمكانيات عديدة تنتظر منا أن ندركها، ولكن في يوم ما سوف تتحقق بالفعل واحدة من تلك الإمكانيات بينما سائر الإمكانيات الأخرى سوف تُلغى. الحالة السامية لمثل عامل الزمان التاريخي هذا هو الإله الليبنتزي، الذي أبدع أفضل عالمًا ممكنًا : فقد فكر قبل الإبداع في دِرع كامل للعوالم الممكنة، وقراره يتضمن اختيار الخيار الأفضل فيما بين تلك الخيارات. الإمكانية - هنا - تسبق الاختيار : الاختيار هو اختيار فيما بين الإمكانيات.

حتى هذا المفهوم عن التاريخ " المفتوح " - مع ذلك - تكون قاصرة. فما يتعذر تصوره والتفكير فيه داخل هذا الأفق للتطور التاريخي الخطي هو مفهوم الاختيار أو الفعل الذي يفتح بشكل تراجعي إمكانيته الخاصة : فكرة أن خروج الجديد إلى حيز الوجود يغير بشكل تراجعي الماضي جذريًا - وليس المقصود بالطبع هنا الماضي الواقعي الفعلي (إذ إننا لسنا في خيال علمي) ؛ وإنما المقصود تغير الإمكانيات الماضية (أو، بتعبير أدق، تغير قيم الإمكانيات النموذجية عن الماضي). فإنني قد أشارت في سياق آخر إلى إدعاء جان - بيير دوبوي Jean –Pierre Dupuy بأنه، لو كنا نواجه على نحو كافٍ وملائم تهديد الكارثة (البيئية أو الاجتماعية)، فإننا سوف نحتاج إلى أن نتحرر من المفهوم " التاريخي " عن السلطة الزمنية : فإننا يجب علينا أن نقدم مفهومًا جديدًا عن الزمان. ويطلق دوبوي على هذا الزمان اسم " زمان مشروع ما"، زمان دورة مغلقة بين الماضي والمستقبل : فالمستقبل يصنعه سببيًا أفعالنا في الماضي، بينما أسلوب قيامنا بالفعل يُقوّضه توقعنا عن المستقبل واستجابتنا لهذا التوقع :

إن الحدث الكارثي يُوصف -بالتأكيد- في المستقبل بوصفه مصيرًا ؛ وإنما يوصف، بالإضافة إلى ذلك، بوصفه حادثًا طارئًا عارضًا : فإنه قد لا يكون بالإمكان أن يتخذ مكانًا، حتى ولو في المستقبل الأسبق، فإنه يظهر بوصفه ضرورةً فإذا اتخذ حدثًا بارزًا - ككارثة على سبيل المثال - مكانًا، فإنه قد لا يكون بالإمكان - مع ذلك - ألا يتخذ مكانًا ؛ طالما أنه إن لم يتخذ مكانًا من قبل، فإنه ليس حدثًا محتومًا لا مفر منه. إذن، إنه تحقيق واقعي للحدث - ففي الحقيقة أنه يتخذ مكانًا - يبدع بشكل تراجعي ضرورته[٥٣].

وإذا اتخذ حدث ما - مصادفة - مكانًا، فإنه يبدع السلسلة السابقة التي تجعله يبدو كأنه أمرًا محتومًا لا مفر منه : فلا يعد أمرًا عاديًا أسلوب تعبير الضرورة الكامنة في الحدث عن ذاتها في المجال العارض للظواهر ومن خلاله، ولكن، هذا هو بذرة الجدل

---

[٥٣] Jean-Pierre Dupuy, *Petite metaphysique des tsunami*,Paris: Seuil 2005,*P*.19.

الهيجلي بين الطارئ أو العارض والضرورة. وبهذا المعنى، رغم أن المصير يقوضنا - فإننا مع ذلك نكون أحرارًا في اختيار مصيرنا. وفقًا لدوبوي، هذا هو النحو الذي ينبغي علينا أن نقترب به من الأزمة البيئية : ليس بأسلوب تقدير قيمة إمكانيات الكارثة " واقعيًا " ؛ وإنما أن نسلم بها بوصفها مصيرًا بالمعنى الهيجلي الدقيق - فإذا حدثت الكارثة ؛ فإنه سيكون بوسع المرء أن يقول إن واقعها قد تقرر حتى قبل أن تتخذ مكانًا. المصير والفعل الحر (أن نسد على " إذا ") هكذا يسيران يدًا في يدٍ : فالحرية بمعناها الحاسم هي حرية أن تغير مصير المرء.

ومن ثم، هذه هي الكيفية التي يقترحها دوبوي لمواجهة الكارثة : فإننا ينبغي علينا أن ندركها في المقام الأول بوصفها قدرنا، بوصفها أمرًا محتومًا، ومن ثم، نلقي أنفسنا فيها، ونتبنى وجهة نظرها، فإننا ينبغي علينا أن نلج بشكل تراجعي (ماضي المستقبل) إمكانياتها اللاواقعية الماضية (" وإذا كنا قد قمنا بهذا وذاك، فإن الكارثة التي قد اختبرنها حاليًا، ربما لم تكن قد حدثت !") التي على أساسها - إذن - سنعمل في الوقت الراهن. إننا يجب أن نقبل ونسلم - على مستوى الإمكانيات - بأن مستقبلنا محكوم عليه بالهلاك، وأن الكارثة سوف تتخذ مكانًا، وأن هذا هو مصيرنا - ومن ثم، في مقابل خلفية هذا القبول والتسليم، نحث أنفسنا على أن نقوم بالفعل الذي سوف يغير المصير ذاته وبذلك نُدخل إمكانية جديدة في الماضي. وعلى نحو متناقض ظاهريًا، إن السبيل الوحيد لمنع وقوع الكارثة هو قبولها بوصفها أمرًا محتومًا لامفر منه. فبالنسبة لباديو كذلك، إن زمان الإخلاص للحالة الراهنة هو المستقبل الأسبق : كي يلحق المرء وجه لوجه بالمستقبل، ينبغي عليه أن يعمل حاليًا كما لو كان المستقبل الذي يريد أن يمهد السبيل إليه هنا بالفعل.

ما يعنيه هذا الأمر هو أنه ينبغي على المرء أن يرد الاعتبار بجراءة لفكرة الفعل المانع ("الإضراب الشُفْعيّ")، التي يُساء معاملتها في " حرب الإرهاب " : إذا أرجائنا فعلنا حتى تتكون لدينا معرفة كاملة بالكارثة ؛ فإننا سوف نكتسب فحسب تلك المعرفة بعد فوات الآوان. ولنقول إن، اليقين الذي يعتمد عليه الفعل ليس هو مسألة معرفة ؛ وإنما هو مسألة اعتقاد : فعل حقيقي لا يكون أبدًا تدخل استراتيجي في موقف واضح تكون معرفتنا كاملة به، على العكس من ذلك، الفعل الحقيقي يملأ الفجوة في معرفتنا. هذه البصيرة، بالطبع، تقوّض الأسس الجوهرية "للاشتراكية العلمية"، طالما أن مفهوم عملية التحرير ترشدها المعرفة العلمية. اقترح باديو مؤخرًا أن الزمان قد حان لنستدعي طرد أفلاطون للشعراء من المدينة، وأن نشرع مصالحة وتوفيق بين الشعر والفكر. ولكن ربما، من وجهة نظر عديد من

الشعراء المؤيدين مؤخرًا " للتطهير السِلالي " (أعني، رادوفان كارادزيج Radovan Karadžic')، ينبغي على المرء أن يُبقي على - أو حتى يُعزز ويقوّي - هواجس أفلاطون عن الشعر، بل بالأحرى يُصدق على قطيعة أخرى معه : أعني، أن ننحي جانبًا مفهومه عن فيلسوف - الملوك. ينبغي على المرء بألا يقوم بهذا الفعل بسبب التحذير الليبرالي الرئيس من القادة " المستبدين بالسلطة " الذين يعرفون بشكل أفضل من الناس العاديين أنفسهم ما الصالح لهم ؛ وإنما لسبب أكثر أساسية : الإشارة إلى الآخر الضخم يضع القائد في موضع "الذات التي يُفترض أن تعرف"، الذات التي يتأسس نشاطها في المعرفة الكاملة (عن "قوانين التاريخ"، إلخ)- الطريق بذلك ينفتح على الحماقة والجنون - فعلى سبيل المثال - الاحتفال بستالين بوصفه أعظم فيلسوف، واقتصادي، ولغوي، وإلخ. في تلك اللحظة يسقط " الآخر الضخم "، فلم يعد القائد يدعي علاقته الحميمة المميَّزة بالمعرفة - فهو يصبح أحمقًا شأنه شأن أي شخص آخر.

هذا هو - بالطبع - الدرس الذي نتعلمه من جروح القرن العشرين : أن نحتفظ بالمعرفة وننحي جانبًا وظيفة السيد بقدر الإمكان. حتى المفهوم الليبرالي عن إنتخاب الشعب " الأكفاء " ليقودنا هو مفهوم قاصر وغير كاف هنا. ينبغي على المرء أن يقتفي أثر هذه النهاية، وأن يصدق على البصيرة الرئيسة عن الديمقراطية القديمة : فذلك الاختيار من قِبل الأغلبية العظمى هو الاختيار الديمقراطي الوحيد على نحو حقيقي. وهذا يبين سبب النظر لاقتراح كوجين كاراتاني Karatani عن الانتخابات العمومية المشتركة بالاقتراع المُقرَّر لمن سيحكم بوصفه أكثر تقليدية مما ربما قد يبدو للوهلة الأولى (فهو يشير بنفسه إلى اليونان القديمة) - على نحو متناقض ظاهريًا، فإنه يؤدي المهمة نفسها بوصفه نظرية هيجل عن حكومة ملكية. فلقد قام كاراتاني هنا بمغامرة بطولية في اقتراح تحديد حماسي للغاية عن الاختلاف بين ديكتاتورية البورجوازية وديكتاتورية البروليتاريا " : إذا كان التصويت العالمي عن طريق الاقتراع السِّري، أي، عن طريق الديمقراطية النيابية، هو ديكتاتورية البورجوازية ؛ فإن تقديم الاقتراع ينبغي أن يُعتبر ديكتاتورية البروليتاريا "[٥٤].

فما الذي يمكننا - إذن - أن نعتمد عليه ونثق به ؟ طوال الخمسينيات كان العقليون رفقاء الشيوعي - المسافرين فيما وراء بديهتين، واحدة واضحة، والأخرى غامضة. البديهية الأولى معروفة جيدًا في عبارة سارتر:" ضد - الشيوعي يكون كلبًا "، أما

[٥٤] Kojin Karatani, ***Transcritique*: *On Kant and Marx***, Cambridge, MA: MIT Press 2003,*P*. 183.

البديهية الثانية فهي أن العقلاني لا ينبغي تحت أي شرط أن ينضم إلى الحزب الشيوعي. يُميز جان كلود ميلنر هذا التوجه بوصفه " النزعة الزينونية "(٥٥) ؛ إذ يشير إلى تناقض زينو عن أخيل Achilles(*) والسلحفاة : الرفيق - المسافر هو أخيل مقارنةً بسلحفاة الحزب الشيوعي ؛ لأنه دينامي، وأسرع، وقادرًا على أن يلحق بالحزب، وبعد فإنه دومًا يتخلف ويتقاعس في الوراء، ولا يلحق في الواقع به أبدًا. فمع أحداث عام ١٩٦٨، كانت هذه اللعبة متفاقمة :" لقد اتخذت أحداث ٦٨ مكانًا تحت علامة " هنا - والآن "، فالبورجوازيون أرادوا إشعال ثورة الآن، وبلا تأخير أو إرجاء - فكان يجب على المرء إما أن ينضم إلى الحزب أو يتقابل معه (مثلما فعل الماويين Maoists). أو بتعبير آخر، عصر ٦٨ أراد أن يطلق العنان للنشاط الراديكالي الخالص للشعب (بهذا المعنى، عند ماوتسي تونج " الشعب هو الذي صنع التاريخ " المقابل " للحشود " الفاشستية السلبية) - فليس هناك الآخر - ولا أي مكان آخر - الذي بناءً عليه بوسع المرء أن يحول هذا النشاط. ومع ذلك، أن تكون في الوقت الراهن رفيق - مسافر هو أمر بلا معنى بشكل فعال ومؤثر ؛ إذ إنه ليس هناك حركة جوهرية على علاقة بذلك الذي ربما يكون المرء رفيقًا له، فليس هناك سلحفاة تدعونا إلى أن نعمل كما لو كنا أخيل.

هناك موضوع من موضوعات ١٩٦٨ ينبغي علينا أن نتنحى عنه هو هذا التقابل المضلّل للنشاط ضد السلبية : الفكرة هي أنه بكيفية ما يعد الوضع السياسي الوحيد الأصيل " على نحو حقيقي هو إحدى الارتباطات النشطة الدائمة، وأن الشكل الأصلي " للتحويل والتغاير " هو الوضع السلبي الذي يحوّل النشاط إلى العامل الذي يُفترض أن يُمثلني. فما يتوارى خلف هذه الفكرة هو الافتتان اليساري القديم بالديمقراطية الاشتراكية " المباشرة " - أي المجالس " السوفيتية " - في تقابل مع " التمثيل " الخالص، ففي الفلسفة، أنه كان سارتر في كتابه المعنون باسم نقد العقل الجدلي ***Critique of Dialectical Reason*** الذي حلل كيفية ارتباط - المجموعة النشطة يصبح متصلبًا في البناء المؤسسي غير الفعال - عمليًا. الاختبار الجوهري لكل حركة تحررية راديكالية هو - على العكس من ذلك - إلى أي مدى تتحول هذه الحركة إلى قاعدة يومية للممارسات المؤسسية غير الفعالة - عمليًا التي نالت سلطتها وسيادتها، وأن تنتهي في يوم ما حمىّ الصراع ويعود الناس إلى عملهم كالمعتاد. فلا ينبغي أن يُقاس نجاح ثورة بالروعة السامية للحظاتها المذهلة ؛ وإنما تقاس

(٥٥) انظر Jean - Claude Milner, ***L'arrogance du present*: *Regards sur une decennie***, 1965-1975, Paris: Grasset 2009.

(*) أخيل : هو اسم بطل إلياذة هوميروس. (المترجم).

بالتغييرات التي يتركها هذا الحدث الكبير على مستوى الحياة اليومية وينطبع تأثيره عليها، أي تُقاس بالعهد الجديد بعد التمرد والثورة [*].

هناك إجابة واحدة صائبة على أولئك العقليين اليساريين الذين ينتظرون بلا أمل ولا رجاء وصول عميل ثوري جديد قادر على تحفيز التحويل الاجتماعي الراديكالي المنتظر والمؤمول منذ فترة طويلة مضت. إنه يتخذ شكل قول سكان هوبي Hopi[*] القديم، الذي يمثل خيط هيجلي مجدول مدهش من الجوهر إلى الذات : " نحن من كنا ننتظر قدومهم " (هذه هي نسخة شعار غاندي : " كن بنفسك التغير الذي تريد أن تراه في العالم ".) ننتظر قدوم شخص ما آخر يؤدي العمل لنا هو أسلوب لتبرير كسلنا وتوانينا. ولكن، الفخ الذي نتجنب الوقوع فيه هنا هو الأداتية - الذاتية المتمردة : "نحن من كنا ننتظر قدومهم" لا يعني أننا يجب أن نكشف عما نكون بوصفنا العميل الذي قُدِّر له بالقضاء والقدر (أو بالضرورة التاريخية) أن ينجز المهمة - وإنما تعني إلى حدٍّ ما المعنى المقابل لذلك، أي بمعنى أنه ليس هناك الآخر الضخم الذي نعتمد عليه. في مقابل الماركسية الكلاسيكية حيث يكون "التاريخ من جانبنا" (تقوم الطبقة العاملة بمهمة التحرير العالمي المقدَّرة)، ففي الكوكبة المعاصرة، يعد الآخر الضخم ضدنا : دعه وشأنه، فقوة الدفع الباطنية للتطور التاريخي تقود إلى الكارثة، وتكشف القناع، فما يستطيع وحده أن يمنع مثل هذه الكارثة هو - إذن - مذهب الإرادة الخالصة، أو بتعبير آخر، هو قرارنا الحر بأن نعمل ضد الضرورة التاريخية. على أية حال، وجد البلشفيك أنفسهم في مأزق مشابه في نهاية الحرب الأهلية التي حدثت في عام ١٩٢١ : ففي العامين السابقين على وفاة لينين، عندما أصبح واضحًا أنه لن يكون هناك ثورة أوروبية وشيكة على نطاق واسع، وأن فكرة الاشتراكية المؤسسة في إحدى البلاد كانت بلا معنى، كتب لينين قائلاً :

ماذا لو أن اليأس كاملةً من الموقف - عن طريق إنعاش وتقوية جهود العمال والفلاحين عشرة أضعاف - قدم لنا فرصة أن نبدع طالبات رئيسة للحضارة بأسلوب مختلف عن ذلك الأسلوب المُتبع في الدول الأوروبية الغربية ؟ [٥٦]

---

[*] ويستدعي هذا إلى أذهاننا كلام الشيخ الشعراوي عن الثائر الحق الذي لا يظل ثائرًا ؛ وإنما يثور ليهدم الفساد ثم يهدأ ليبني الأمجاد. (المترجم).

[*] هوبي : هي مجموعة السكان الأصليين من الهنود في شمال شرق ولاية أريزونا، ويبلغ سكانها وفقًا لتعداد عام ٢٠٠٠ حوالي ٦٩٤٦ نسمة. وهم شعب يهتم بالزراعة وينظرون لأراضيهم على أنها مقدسة.(المترجم).

[٥٦] V.I.Lenin,*Collected Works*, Vol.33, Moscow: Progress Publishers 1966,*P*. 479.

ألا يعد هذا هو مأزق حكومة مورالس Morales في بوليفيا، ومأزق حكومة الفلاح أريستيد Aristide في هايتي، ومأزق حكومة ماوتسي تونج في نيبال Nepal ؟ فلقد صارت لهم السلطة والنفوذ خلال انتخابات دمقراطية " نزيهة عادلة "، وليس خلال التمرد والثورة، ولكن مجرد أن صارت السلطة في يدهم سعوا بأسلوب ما (على الأقل، جزئيًا) بأن تكون سلطة " لا- مركزية " : تحريك على نحو مباشر قاعدة مؤيديهم وتجنب حالة الشبكة النيابية – التي تتعلق بالحزب. فموقفهم ميئوس منه "موضوعيًا" : إن مسار التاريخ كله ضدهم على نحو رئيس، فإنهم لا يستطيعوا أن يعتمدوا على "النزعات الموضوعية "؛ وإنما كل ما يستطيعون القيام به هو أن يستنبطوا ما بوسعهم القيام به في موقف ميئوس منه هكذا. ومع ذلك، ألا يهبهم ذلك حرية فريدة ؟ فالمرء يرغب في أن يطبق هنا التمييز القديم بين " الحرية من " و " الحرية من أجل " : هل حريتهم من التاريخ (بقوانينه واتجاهاته ومأربه الموضوعية) لا يدعم حريتهم من أجل التجريب الإبداعي ؟ ففي نشاطهم، بوسعهم الاعتماد فحسب على الإرادة الجماعية لمؤيديهم.

بوسعنا الاعتماد على الحلفاء غير المتوقعين في هذا الصراع. وقد تجدر الإشارة هنا إلى مصير فيكتور كرافشينكو Victor Kravchenko – الدبلوماسي السوفيتي الذي قد تخلى – في عام ١٩٤٤ عن حزبه وارتد عن معتقده في أثناء وجوده في نيويورك، وبعد ذلك كتب سيرته الذاتية المشهورة التي حققت أعلى مبيعات، المعنونة باسم **أخترت الحرية** ***I Chose Freedom*** [٥٧]. فكتابه كان أول تقرير شخصي جوهري عن مخاوف الستالينية، يبدأ بوصف تفصيلي للجماعية القسرية والحشود الجائعة في أكرنيا Ukraine، حيث شارك كرافشينكو نفسه – مؤمن حقيقي بالنظام - في أول الثلاثينيات في تقوية الجماعية. فالقصة الأكثر شهرة عنه على نطاق واسع تنتهي في عام ١٩٤٩، عندما كسب المرافعة الرئيسة ضد المدعين بالحق المدني من السوفيت في باريس، الذين قد أحضروا حتى زوجته – السابقة إلى المحكمة كي تُدلي بشهادتها على فساده، وإدمانه المسكرات، وتقدم تسجيل صوتي عن عنفه في حياته العائلية المنزلية. ولكن، ما لا نعرفه جيدًا هو أنه – بعد هذا الانتصار مباشرة – بينما ما كان أكثر ذيوعًا عنه حول العالم كله كونه بطلاً للحرب الباردة، أصبح كرافشينكو قلق بعمق من حملة حزب ماكارثي السياسي المضاد للشيوعية، وحذر من أنه في استخدام مثل هذه المناهج لمحاربة

---

[٥٧] : انظرMark Jonathan Harris's outstanding documentary on Kravchenko,*The Defector* (2008).

الستالينية ؛ فإن الولايات المتحدة الأمريكية وحدها قد خاطرت بكونها صارت أكثر شبهًا بخصمها. فهو أصبح واعيًا أيضًا على نحو متزايد بظلم الديمقراطيات الليبرالية، ورغبته في أن يرى التغيرات في المجتمع الغربي التي تطورت غالبًا في داخل استحواذ هذه الفكرة وتسلطها بعد كتابة مُلحق أقل شهرة بكثير من كتابه **أخترت الحرية**، معنون باسم **أخترت العدالة *I Chose Justice***، شَرَعَ كرافشينكو في الجهاد ليعثر على أسلوب جديد من الإنتاج المنظم أقل استقصاء وريادة. وقاده هذا إلى بوليفيا، حيث شرع في تكريس أمواله كلها في تنظيم الفلاحين الفقراء في جماعيات جديدة. ولكن، اصطدامه بحالة الإخفاق في تلك المحاولات، دفعته إلى الإنسحاب إلى حالة التوحُّد والعزلة وأطلق في النهاية النار على نفسه في منزله بنيويورك. فانتحاره كان نتيجة يأسه، وليس نتيجة ابتزاز المخابرات الروسية له - مما يبرهن ذلك على أن فضحه للاتحاد السوفيتي قد كان بمثابة فعل أصلي وحقيقي لمعارض ضد الظلم.

في الوقت الراهن، يخرج الكرافشينكويون الجدد إلى حيز الوجود في كل مكان، من الولايات المتحدة إلى الهند، والصين واليابان، من أمريكا اللاتينية Latin America إلى أفريقيا، ومن الشرق الأوسط Middle East إلى أوروبا الشرقية والغربية. فإنهم يائسون ويتحدثون لغات مختلفة، ولكنهم ليسوا قلة كما ربما يبدو - فأكبر خوف من النتائج المترتبة على هذا الوضع هو أن تلك الأصوات التي سوف تبدأ في أن ترتد وتُقوِّي بعضها البعض في تضامن واتحاد. الوعي بأن تلك الحالات الشاذة سوف تسحبنا تجاه الكارثة، فأولئك الممثلون يعملون بالفعل ضد كل الشواذ. إن خيبة الرجاء من شيوعية القرن العشرين جعلتهم مستعدون إلى أن " يبدءون من البداية (من الصفر) "، وأن يعيدون ابتكارها على أساس جديد. والتنديد بالأعداء باعتبارهم يوتوبيون خطرون، فإنهم الشعب الوحيد الذي قد استيقظ، بالتأكيد، من الحلم اليوتوبي الذي استحوذ على الغالبية العظمي منا واستوعبنا تحت تأثيره. فهم - وليس أولئك الذين يريدون استعادة " الاشتراكية الموجودة بالفعل " في القرن العشرين، والتي يتعذر استردادُها - أملنا ورجائنا الوحيد.

الحقيقة أن دولوز Deleuze، قبل وفاته مباشرة، كان في منتصف كتابة عمله عن ماركس - مشيرٌ إلى تيار أوسع نطاقًا. ففي الماضي المسيحي، كان من الدارج بين الناس الذين يقودون حيواتهم الفاسقة المنغمسة في الملذات إلى العودة للمأوى الآمن للكنيسة وإلى أن يتوبوا في العهد القديم ؛ فإنهم ربما - لذلك - يموتون لينالوا رضى الله عليهم ويتضرعون إليه. ويحدث في الوقت الراهن شيئًا ما مشابهًا مع العديد من اليساريين

المضادين - للشيوعية. وفي سنواتهم الأخيرة، ارتدوا إلى الشيوعية كما لو كانوا يريدون - بعد فضح حياتهم الفاسقة المنحرفة - أن ينالوا رضى الفكرة الشيوعية ويتضرعون إليها. وكشأن المسيحيون القدامى، تحمل التحولات الأخيرة لهؤلاء الرسالة الرئيسة نفسها: إننا كنا نقضي حيواتنا سُدًى في التمرد والثورة على ما عرفناه - على نحو عميق بداخلنا - في كل وقت ؛ كي نبلغ إلى الحقيقة. ولذلك، حتى عندما يمكن لرجل عظيم مضاد للشيوعية مثل كرافشينكو أن يرتد بمعناها الحقيقي عن معتقده وإيمانه، فإن رسالتنا ينبغي أن تكون في الوقت الراهن : **لا تخف، وانضم إلينا، عد! فإنك قد كان لديك مزاحك المضاد للشيوعية، فأنك مسامح عنها وغافر لها - فلقد حان الوقت لتتخذ الأمور بجدية مرة أخرى من جديد !**

قائمة الاختصارات

قناة سي إن إن الإخبارية	CNN
الاتحاد الأوروبي	EU
المباحث الفيدرالية	FBI
إجمالي الناتج القومي	GDP
شركة جينرال موتورز	GM
الناتج القومي للسعادة	GNH
الناتج القومي الاجمالي	GNP
قوى الدفاع الإسرائيلي	IDF
صندوق النقد الدولي	IMF
مقياس معدل الذكاء	IQ
مصلحة الضرائب بالولايات المتحدة الأمريكية	IRS
المخابرات الروسية	KGB
السياسة الاقتصادية الجديدة	NEP
الكمبيوتر الشخصي	PC
التمثيل النسبي	PR
السلاح الجو الملكي بألمانيا	RAF
ائتلاف العمل الاجتماعي	SEC
الجيش النازي	SS
السل الوبائي	TB

UK	المملكة المتحدة البريطانية
UN	الأمم المتحدة
US	الولايات المتحدة الأمريكية

****

ثبت مصطلحات

تنظيم القاعدة : Al Qaeda -

هي المجموعة الناشطة الاسلامية، التي تأسست فيما بين عام ١٩٨٨ وأواخر عام ١٩٨٩ على يد قائدها أسامة بن لادن. وهي تعمل بوصفها شبكة تضم جنسيات متعددة ؛ إذ إنها حركة عالمية تدعو إلى الجهاد. في حين أن معظم دول العالم تعتبرها منظمة إرهابية، ومن أبرز هجماتها هجوم ١١ سبتمبر ٢٠٠١ على برج التجارة العالمي بمدينة نيويورك.

الفاشستية : Authoritarianism–

وهي ضرب من الحكم يخضع فيه الفرد وحقوقه إخضاعًا كاملاً لمصلحة الدولة.

آية الله : Ayatollah–

وهو لقب زعيم مسلم في إيران.

البلشفيك : Bolshevike–

عضو في الجناح المتطرف من الحزب الديمقراطي الاجتماعي الروسي الذي استولى على السلطة في الثورة الاشتراكية فيما بين عامي ١٩١٧- ١٩٢٠. وهو كذلك الداعي إلى الإطاحة بالرأسمالية عن طريق العنف.

نظام بريتون وودز : Bretton Woods -

هو نظام نقدي يهدف إلى تنظيم العلاقات النقدية بين الدول الصناعية في العالم في القرن العشرين. بحيث أدى هذا النظام إلى التزام كل دولة بالسياسة النقدية مما حافظ على استقرار أسعار الصرف الثابتة على غرار معيار الذهب الكلاسيكي في القرن التاسع عشر. ويدير هذا النظام سلسلة من المؤسسات الدولية التي أُنشئت حديثًا باستخدام الدولار الأمريكي، على اعتبار أنه العملة الوحيدة المدعومة بالذهب. وبعد الحرب العالمية الثانية نقل كميات كبيرة من الذهب إلى الولايات المتحدة الأمريكية الأمر الذي ساهم في سيادتها وقوة الدولار الأمريكي. وقد صدق صندوق النقد الدولي على المواد المنصوص عليها في هذا النظام، التي شجعت إلى مزيد من نظام مفتوح من تحويل العملات كل منها إلى عملات أخرى والتجارة الحرة، ومما أدى إلى ارتباط عملات الدول الأخرى بالدولار الأمريكي، الذي يعد أفضل من الذهب وأكثر مرونة منه.

الرأسمالية : Capitalism –

وهي نظام اقتصادي مؤسس على الملكية الخاصة والمنافسة وإنتاج السلع للربح. وبالتالي، فأنها تعني تركز الثورة بما تمثله من قوة ونفوذ في أيدي القلة.

الجماعية : Collectivization–

وهي المبدأ الاشتراكي القائل بسيطرة الدولة أو الشعب -ككل على جميع وسائل الإنتاج أو النشاطات الاقتصادية.

الشيوعية : Communism–

نظرية تدعو إلى إلغاء الملكية الخاصة وإحلال الملكية الجماعية محلها. فهي مذهب مؤسس على أساس الاشتراكية وعلى الماركسية اللينينية يمثل الإيديولوجية الرسمية للاتحاد السوفيتي. وهي كذلك نظام من أنظمة الحكم يسيطر بموجبه حزب واحد على وسائل الإنتاج المملوكة من قِبل الدولة ويعلن أصحابه عن سعيهم لإقامة مجتمع بلا دولة. فهي بذلك – مرحلة أخيرة من مراحل تطور المجتمع في النظرية الماركسية تضمحل فيها الدولة وتوزَّع السلع الاقتصادية توزيعًا متساويًا.

المجتمعية : Communitariaism -

الكلبية : Cynicism -

هي المذهب الذي أسسه أنتيستنيس Antisthenes في القرن الرابع ق. م. رفض الكلبيون كافة التقاليد سواء كانت باسم الدين أو الأخلاق، وأيدوا أسلوب الحياة اللامادية التي تهدف إلى الفضيلة. فالكلبية هي المذهب الذي يقوم على مجاوراة الطبيعة. أما في القرن التاسع عشر تغير مفهوم الكلبية ليعني سلبية شديدة وارتياب عام في نزاهة دوافع الآخرين، وبوجه خاص في القيام بالأعمال الأخلاقية بحيث أصبحت تتجلى في الإحباط وخيبة الأمل وغياب الثقة تجاه المنظمات، والسلطات ونواحي أخرى في المجتمع. ويعتقدون بأن الفضيلة هي ما يجلب السعادة. فالفضيلة والحرية الأخلاقية الضروريتان للتحرر من عبودية الرغبة.

التفكيك : Deconstruction–

الديمقراطية : Democracy -

وهي حكم الشعب وبخاصة حكم الأكثرية، والتي تقوم على المساواة السياسية والاجتماعية.

إزالة الغموض : Demystification–

تحرير : Deregulation–

ديكتاتورية البروليتاريا: Dictatorship of the proletariat –

تعني استيلاء البروليتاريا على السلطة السياسية المُعْتَبَر في الماركسية تمهيدًا أساسيًا لإقامة الدولة اللاطبقية.

الديستوبيا : Dystopia–

يُنظر إليها بوصفها مجتمعًا مثاليًا سلبيًا يتميز بالأمراض والأزدحام والبؤس والشقاء والتعاسة والظلم، فهي الوجه المقابل لليوتوبيا ذلك المجتمع المثالي.

علم البيئة : Ecology–

وهو العلم الذي يهتم بدراسة العلاقات بين الكائنات الحية وبيئتها.

الفاشية : Fascism –

وهي نظام أو حركة أو فلسفة سياسية تمجد الدولة والعِرْق وتدعو إلى إقامة حكم أوتوقراطي مركزي على رأسه زعيم دكتاتوري، وإلى السيطرة على كل شكل من أشكال النشاط القومي. فهو مذهب سياسي واقتصادي ضد الشيوعية.

النزعة النسوية : Feminism–

وهي تنادي بالمساواة بين الجنسين سياسيًا واقتصاديًا واجتماعيًا.

الفتشية : Fetishism–

أي البُدِّية وهي شيء كانت الشعوب البدائية تعتبر أن له قدرة سحرية على حماية صاحبه أو مساعدته. وهي تعني أيضًا شذوذ جنسي يتمثل في تركيز الشهوة الجنسية على جزء من الجسد كالقدم – مثلاً – أو على حذاء أو جورب أو خصلة شعر، أو اللذة في امتلاك ملابس المحبوب.

الأزمة المالية العالمية : Financial meltdown-

التي بدأت في عام ٢٠٠١- ٢٠٠٢ على شكل أزمة رهن عقاري في الولايات المتحدة الأمريكية بسبب أزمة العقارات (والتي تتمثل في ارتفاع الأسعار وقلة المعروض من المنازل مع التشدد في الإقراض العقاري)، مما دفع الحكومة الأمريكية إلى حل سريع للأزمة دون النظر في النتائج بعيدة المدى المترتبة عليه، فتم تسهيل عملية الإقراض العقاري من جانب بنوك الإقراض دون النظر إلى قدرة المقترض على السداد. فقد كان وكلاء البيع يغرون الناس بالإقتراض عن طريق دفع القسط الأول على أن تكون قيمة الأقساط الباقية ثابتة، في حين أن الأقساط – في واقع الأمر – تكون متزايدة بسبب تزايد الفائدة. ثم تأتي البداية الحقيقية للأزمة حينما بدأت بنوك الإقراض في بيع هذه القروض إلى شركات داخل أمريكا وخارجها ثم قامت هذه الشركات بعمل هذه القروض كخطابات ضمان لشركات أخرى، وبالتالي، يتم بيع هذه القروض - التي صُنفت في صناديق - وشراءها مثل البورصة، وعن طريق ذلك يتم المضاربة على هذه الصناديق كلٌ على حسب قوته وقوة البنوك المالكه له. وعن طريق ذلك تم بناء هياكل اقتصادية متعددة على أصل واحد فقط، وهو يعد أساسًا أصلاً ضعيفًا وغير قوى ومهددًا دائما فإذا انهار جزء ينهار الكل وهو ما تم بالفعل.

ومع بداية عام ٢٠٠٨ ظهرت بوادر الأزمة المتمثلة في عجز عدد كبير من المقترضين عن السداد حتى بلغ عددهم بالملايين في أغسطس ٢٠٠٨، مما أدى عجز شركات كبرى عن السداد بالتزاماتها وأعلنت عن طلب المساعدة، وشركات أخرى أعلنت أفلاسها. ومازالت الأزمة مستمرة

الفوردية : Fordism -

نسبة إلى هنري فورد، ويشير إلى مختلف النظريات الاجتماعية حول الإنتاج وذات صلة بالظواهر الاجتماعية والاقتصادية. وهي نموذج للتوسع الاقتصادي والتقدم التكنولوجي وتحسين الإنتاج على أساس الإنتاج الجماعي. وفي الولايات المتحدة الأمريكية، الفوردية هي نظام الإنتاج والاستهلاك الجماهيري لإنتاج النمو الاقتصادي المطرد والتقدم المادي واسع النطاق، فهي من سمات الاقتصاد المتقدم للغاية.

حزب الخضر : the Greens -

هو الحزب المكوّن في الولايات المتحدة الأمريكية، والذي ظل يعمل منذ عام ١٩٨٤ لجعل الأمل في تحقيق الديمقراطية، حيث يتم اتخاذ القرارات من قِبل الشعب قائم

على العدالة الاجتماعية والتعاون وعدم العنف والدمار البيئي، ولا يتسنى ذلك قبل حماية الطبيعة والبيئة.

معسكرات العمل (أو المعتقلات) : Gulag -

هي معسكرات العمل الروسية التي تأسست في عام ١٩١٩، وشملت القتلة واللصوص والمجرمين العاديين جنبًا إلى جنب مع المعتقلين السياسيين والدينيين، التي يتم إرسالهم إليها بدون محاكمة. ولقد كانت الظروف في المخيمات قاسية للغاية حيث تلقى السجناء حصص غذائية غير كافية وملابس غير كافية مما جعل من الصعب تحمل الظروف المناخية القاسية وساعات العمل الطويلة وأحيانًا يتعرضون للاعتداءات الجسدية من قِبل حراس المخيم ؛ ونتيجة لذلك كان تزايد معدل الوفيات من الإرهاق والمرض. ولكن، بعد موت ستالين في عام ١٩٥٣ تحسنت إلى حدٍ ما ظروف السجناء وخاصة في فترة جورباتشوف.

هارفارد ستيكوف : Harvard Stikoff -

هو الاكتتاب عن عقد هارفارد الجديد من أجل الحقوق المدنية للسود باعتبارها قضية وطنية داخل الولايات المتحدة الأمريكية. فهو نقطة تحول في اتجاهات العلاقات العرقية. فإنه يُشكل حدًا فاصلاً للتطورات التي كانت ثمرة حركة اجتماعية واسعة النطاق تهدف إلى إحداث زيادة مشاركة السود في المجتمع الأمريكي.

حزب الله : Hezbollah –

هي شيعة مسلمة وجماعة مسلحة، وحزب سياسي مقره لبنان، ويتلقون الدعم المالي من إيران وسوريا. وهي منظمة إرهابية جزئيًا وكليًا، حاولوا الهجوم على إسرائيل.

اللواطة : homosexuality –

وهي اشتهاء المماثل.

يوم التولية : inauguration –

وهو اليوم العشرون من شهر يناير التالي لانتخاب رئاسة الجمهورية في الولايات المتحدة الأمريكية، وفيه يُقلدُ الرئيس منصبه رسميًا.

الأداتية : instrumentalization–

وهي نظرية براجماتية ترى الأفكار كأدوات تعمل بوصفها مرشدًا للفعل أو العمل. ومعيار صحة وجودها يحدده نجاح الفعل أو العمل. وربطها المعرفة بالنجاح العملي.

الليبرالية : Liberalism–

وتتفرع في مجالات عدة منها : أ- الليبرالية البروتستانتية ، وهي حركة في البروتستانتية الحديثة تؤكد على الحرية العقلية وعلى المحتوى الروحي والأخلاقي في النصرانية. وب – الليبرالية السياسية : وهي فلسفة سياسية تقوم على الإيمان بالتقدم واستقلال الفرد الذاتي وتنادي بحماية الحريات السياسية والمدنية. ومنها كذلك ج – الليبرالية الاقتصادية : نظرية في الاقتصاد تؤكد على الحرية الفردية وتقوم عادة على المنافسة الحرة وقاعدة الذهب.

المانيفستو : Manifesto -

هو بيان الحزب الشيوعي الذي كتبه كارل ماركس وفريدريك إنجلز في أواخر عام ١٨٤٧.

الماوية : Maoist -

هي شكل من أشكال النظرية الماركسية الشيوعية المستمدة من تعاليم الزعيم السياسي ماوتسي تونج. وتنتشر هذه الجماعات الماوية في جميع أنحاء العالم

اقتصاد السوق : Market economy –

ويعني وجود أسواق بصلاحيات مطلقة دون قيود ودون تدخل من الحكومات.

المغول: Mongols–

هم مجموعة عرقية مختلفة، وتقع - حاليًا - في الصين وروسيا، وهناك حوالي ١١ مليون شخص من أصل المغول.

الاستعانة بمصادر خارجية: Outsourced–

كوميون باريس : Paris commune–

وهي لجنة ثورية حلت محل بلدية باريس في الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩، وما لبثت أن استولت على السلطة العليا في الدولة.

الخصخصة : Privatization –

وهي عملية تغيير وتحويل الصناعة أو الأعمال من الملكية العامة أو الحكومية إلى مشروع أو مؤسسة تجارية خاصة.

العرقية : Racism-

الاعتقاد بأن العرق هو العامل الأفضل في تقرير السمات والمواهب البشرية، وأن الفروق العِرقية تولد امتيازًا فطريًا عند عِرق بعينه.

الجنسية : Sexualization-

الاشتراكية : Socialism-

وهي مرحلة انتقالية في النظرية الماركسية بين الرأسمالية والشيوعية تتميز بالتوزيع غير المتكافئ للسلع والرواتب وفقًا لعمل الفرد. ولها تداعياتها في النظريات الاقتصادية والسياسية المختلفة الداعية إلى الملكية والإدارة الجماعية أو الحكومية لوسائل الإنتاج وتوزيع السلع. كما أنها نظام اجتماعي خالٍ من الملكية الشخصية، بحيث تملك فيه الدولة وسائل الإنتاج وتهيمن عليها.

المضاربة : Speculation-

تعني بيع وشراء الأسهم بناءً على توقع ارتفاع أو انخفاض أسعارها.

الستالينية : Stalinism-

وهي نظرية في الشيوعية طوَّرها ستالين عن الماركسية اللينينية، وهي تتسم بالدكتاتورية الصارمة والأرهاب الشامل وبالتوكيد على القومية الروسية.

التقليد الدولاني : Statist tradition-

أي المنادي بالدُّوْلانية بمعنى تركيز السلطة الاقتصادية والتخطيط الاقتصادي في يد الدولة.

الرهن العقاري : Subprime-

وفيه يشتري العميل منزلاً أو عقارًا يقوم البنك بدفع ثمنه للمالك ويعتبر ما دفعه دينًا على العميل يسدده على أقساط بفوائد.

حكومة التكنوقراط : Technocracy -

وهي حكومة رجال الأعمال والقائمة على إدارة المهندسين الصناعيين وعلماء الاقتصاد.

التيوقراطية : Theocracy-

حكومة إلهية يديرها الكهنة كنواب عن الله. فهي حكومة رجال الدين.

شعب التبت : Tibetan -

وهو المجموعة العرقية التي يعيش معظمها في جمهورية الصين الشعبية، ويبلغ عددهم حوالي ٥٤٠٠٠٠٠. وهي أكبر مجموعة عرقية في البلاد، ولكن الأقلية منهم تعيش في الهند ونيبال وبوتان. ويتكلمون اللغة التبتية غير المفهومة.

الطوبولوجيا : Topology–

أي الدراسة الطوبوغرافية لمكان معين وبخاصة تاريخ إقليم ما كما تدل عليه طوبوغرافيته.

التكتلات أو تجميع السلطة : Totalitarianism–

وهي نظام سياسي مؤسس على إخضاع الفرد للدولة، وعلى السيطرة الصارمة على جميع مظاهر حياة الأمة وطاقاتها المنتجة، والاحتكار لجميع موارد الدولة والاستبداد بالسلطة.

الخزانة : Treasury -

هي مكان العملة أو سلع القيمة النقدية العالية (كالذهب والماس)، ويشرف على الخزانة وزير الخزانة، أو كما هو معروف في دول كثيرة باسم وزير المالية. والخزانة هي التي تعزز النمو الاقتصادي من خلال سياسات لدعم خلق فرص العمل والاستثمار والاستقرار الاقتصادي، وتشرف أيضًا على إنتاج القطع النقدية والعملات وصرف الدفعات للجمهور وجمع الإيرادات والصناديق لتشغيل الحكومة الاتحادية.

وكيل المصارف : Under-banked–

أي تحت توكيل وإدارة البنك.

****

فهرس الأعلام

أدولف هتلر : Adolf Hitler

(٢٠ أبريل ١٨٨٩ - ٣٠ أبريل ١٩٤٥) سياسي نازي ألماني، ولد في النمسا، وكان زعيم حزب العمال الألماني الاشتراكي الوطني المعروف باسم الحزب النازي. تولى هتلر حكم ألمانيا في الفترة فيما بين عامي ١٩٣٣ - ١٩٤٥. واختارته مجلة تايم واحدًا من بين مائة شخصية انطبع تأثيرها في تاريخ البشرية في القرن العشرين. وباعتباره واحدًا من المحاربين القدامى الذين تقلدوا الأوسمة تقديرًا لجهودهم في الحرب العالمية الأولى بجانب ألمانيا، أنضم إلى الحزب النازي في عام ١٩٢٠ وأصبح زعيمًا له في عام ١٩٢١. وهو أحد زعماء حركة القومية الألمانية التي عرفت باسم " بعيدًا عن روما "، وهي الحركة التي ظهرت في أوروبا في القرن التاسع عشر، والتي كانت تهدف إلى توحيد الشعوب التي تتحدث الألمانية في أوروبا. وفي عام ١٩٤٥، نجحت جيوش الحلفاء في احتياج ألمانيا من جميع جوانبها وحتى سقوط برلين. وأثناء الأيام الأخيرة من الحرب في عام ١٩٤٥ تزوج هتلر عشيقته إيفا براون بعد قصة حب طويلة. وبعد أقل من يومين، انتحر العشيقان.

أحمدي نجاد : Ahmadinejad

ولد في ٢٨ أكتوبر ١٩٥٦، وهو حاليًا رئيس جمهورية إيران الإسلامية منذ ٣ أغسطس ٢٠٠٥. وهو من أشد منتقدي الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل والمملكة المتحدة، ويرفض الاعتراف بإسرائيل كدولة شرعية.

آلان باديو : Alain Badiou

ولد في ١٧ يناير ١٩٣٧ في الرباط - المغرب، وهو فيلسوف فرنسي وأستاذ في كلية الدراسات العليا الأوروبية، والرئيس السابق للفلسفة في مدرسة الأساتذة العليا (الإحصاءات البيئية) جنبًا إلى جنب مع جورجيو وسلافوي جيجك. وهو شخصية بارزة في مكافحة ما بعد الحداثة.

آلان جرينسبان : Alan Greenspan

ولد في ٦ مارس ١٩٢٦ بمدينة نيويورك. ألتحق بجامعة نيويورك لدراسة الاقتصاد. وقد بدأ أطروحة الدكتوراه في جامعة كولومبيا، ولكنه أضطر إلى الانقطاع بسبب عدم قدرته على تحمل الرسوم الدراسية، ثم استكملها بعد ذلك وحصل على درجة الدكتوراه في الاقتصاد من جامعة نيويورك. وهو كان رئيس البنك المركزي الأمريكي سابقًا. ورأى - في ظل الأزمة المالية العالمية - أن أزمة القروض أدت إلى كارثة لا تحدث إلا مرة واحدة كل قرن من الزمان. بل ومن المرجح أن تطيح بمزيد من الشركات والبنوك الكبرى قبل أن تبدأ في الهدوء. وهذه الرؤية الخاصة للأزمة دفعته إلى القول - كما رأينا في النص الذي بين أيدينا - بأن : " أمريكا تعيش تسونامي اقتصادي ".

ألبرت ج. بيرنشتاين : Albert J. Bernstein

كاتب سياسي، وله عدة مؤلفات من قبيل " مصاصي الدماء العاطفيين "، " ديناصور العقول "،" كيفية التعامل مع الناس الجياشة "، و" البشر البدائيون في العمل "، " الثور المقدس : والعقبات الباطنية التي تعقيك في العمل وكيفية التغلب عليها ".

عاموس أوز : Amos Oz

ولد في ٤ مايو ١٩٣٩، وهو كاتب وروائي وصحفي إسرائيلي، كما أنه أستاذ في الأدب بجامعة بن جوريون في بئر السبع منذ عام ١٩٦٧. فهو من أبرز الدعاة والمؤيدين لحل الدولتين لحل الصراع الفلسطيني الإسرائيلي. وقد حصل على عدة جوائز من بينها : وسام الفنون والآداب برتبة ضابط في فرنسا، وجائزة فرانكفورت للسلام عام ١٩٢٢، ووسام الشرف من الرئيس الفرنسي جاك شيراك في عام ١٩٩٧، وجائزة أمير أستورياس للآداب في إسبانيا في عام ٢٠٠٧.

أنطونيو جرامشي : Antonio Gramsci

(١٨٩١- ١٩٣٧) هو الفيلسوف والمنظر السياسي واللغوي، وعضو مؤسس وزعيم الحزب الشيوعي الإيطالي. ولقد كان مشهورًا بمفهومه عن هيمنة الثقافة كوسيلة للحفاظ على الرأسمالية في الدولة.

اريبل شارون : Ariel Sharon

ولد في ٢٦ فبراير ١٩٢٨، وهو كان رئيس وزراء إسرائيل فيما بين عامي ٢٠٠١ - ٢٠٠٦. وهو حاليًا في حالة غيبوبة دائمة بعد تعرضه لسكتة دماغية في يوم ٤ يناير ٢٠٠٦. وكان قبل توليه رئاسة الوزارة قائدًا في الجيش الإسرائيلي في عام ١٩٤٨، وشارك في حرب الاستقلال ١٩٤٨ وحرب السويس ١٩٥٦ وحرب الأيام الستة ١٩٦٧ وحرب يوم الغفران في ١٩٧٣، وبعد تقاعده من الجيش أنضم لحزب الليكود.

أفيجدور فليدمان : Avigdor Feldman

المحامي الإسرائيلي عن حقوق الإنسان ؛ ولذا لقى احترام كل الفلسطينيين والإسرائيليين على عمله الرائد في الدعوة إلى العدالة. وهو مؤسس رابطة الحقوق المدنية في إسرائيل (أي جمعية حقوق المواطن)، وكذلك هو أحد الأعضاء المؤسسين لمركز المعلومات الإسرائيلي لحقوق الإنسان في الأراضي الفلسطينية المحتلة. وقد حصل على جائزة روبيرت كينيدي لحقوق الإنسان في عام ١٩٩١.

إين راند : Ayn Rand

(١٩٠٥- ١٩٨٢) هي روائية وفيلسوفة وكاتبة مسرحية وكاتبة سيناريو روسية أمريكية، ونالت شهرتها مع أول رواية لها عام ١٩٤٣ بعنوان المنبع، وبعد عشر سنوات نُشر لها أعظم ما أبدعت وهي الرواية الفلسفية المعنونة باسم أطلس مستهجن في عام ١٩٥٧، والتي حققت أعلى مبيعات دوليًا. فوجهات نظر راند السياسية تنعكس في قصصها وتأكيدها على الحقوق الفردية بما في ذلك حقوق الملكية وسياسة عدم التدخل الرأسمالي، كما كانت معارض شرس على جميع أشكال الجماعية والدولانية بما في ذلك الفاشية والشيوعية والاشتراكية.

بآدر ماينهوف : Baader Meinhof

هي جماعة الجيش الأحمر، وهي حركة المقاومة الألمانية، والمعروفة منذ وقت مبكر باسم مجموعة ماينهوف، والتي تأسست في عام ١٩٧٠. فهذه المجموعة تعود إلى حركة الاحتجاج الطلابية في ألمانيا الغربية. وقد تحددت قضايا هؤلاء الشباب في

العنصرية وتحرير المرأة والمناهضة الإمبريالية، ولكنها مع ذلك كانت تقوم بعمليات السطو على البنوك لجمع الأموال والهجمات بالقنابل ضد المنشآت الأمريكية العسكرية ومراكز الشرطة الألمانية ومبان تابعة لإمبراطورية الصحافة أكسل سبرينجر. وجاء فيلم مجموعة بآدر ماينهوف ليسلط الضوء من جديد على سلاح الجو الملكي البريطاني - الذي يمثل بداية هذه الحركة - وتاريخه للأجيال الحاضرة والمستقبلية.

بن شالوم برنانكي : Ben Bernanke

من مواليد ١٣ ديسمبر ١٩٥٣، وهو اقتصادي أمريكي شغل منصب رئيس للبنك الاحتياطي الفيدرالي وعضو في مجلس المستشارين الاقتصادين. وهو الحاصل على البكالوريوس في الاقتصاد عام ١٩٥٧، وحصل على درجة الدكتوراه في الاقتصاد من معهد ماساشوستس للتكنولوجيا في عام ١٩٧٩. وفي ٢٥ أغسطس ٢٠٠٩ أعلن الرئيس أوباما أنه سيرشح برنانكي لولاية ثانية في منصب رئيس مجلس البنك الاحتياطي الفيدرالي؛ إذ إن خبراته الواسعة وإبداعه ساعد على منع الكساد الأخير في عام ٢٠٠٨.

بينيدتو كروتشه : Benedetto Croce

(١٨٦٦ - ١٩٥٢) فيلسوف مثالي وسياسي وناقد إيطالي. يعارض سياسة عدم التدخل والتجارة الحرة. ومن أعماله **التاريخ بوصفه قصة الحرية.**

سيلفيو برلسكوني : Berlusconi

ولد في ٢٩ سبتمبر ١٩٣٦، وهو سياسي إيطالي ورئيس وزراء إيطاليا حاليًا الذي شغله منذ عام ١٩٩٤. فضلاً عن كونه رجل أعمال ناجح ويُعرف أيضًا تحت اسم مستعار ألا وهو ايل كافاليري، أي فارس ؛ وذلك بسبب إنه فارس حصل على وسام الاستحقاق لحزب العمال في عام ١٩٧٧. وهو زعيم حزب الشعب الذي أسسه في عام ٢٠٠٩. وأعلنت مجلة فوربس عام ٢٠١٠ بأنه أغنى ثالث رجل في إيطاليا. ويعرب دومًا عن تأييده للحرية والأسرة والفرد والمؤسسات والتقاليد الإيطالية. وتعرض للعديد من الاتهامات منها المافيا والتواطؤ والاحتيال والفساد والرشوة من ضباط الشرطة والقضاة. وكان يرى أن هذا هو مصيره الواضح في الاضطهاد به، ولكنه فخورًا بما يناضل من أجله.

برناردو برتولوتش : Bernardo Bbertolucci

ولد في ١٦ مارس ١٩٤٠، وهو المخرج وكاتب السيناريو الإيطالي، والحائز على جائزة الأوسكار لأفضل مخرج عن فيلمه الإمبراطور الأخير. ومن أعماله الفنية التانجو الأخير في باريس والحالمون وثورة البطلة وبوذا الصغير.

برنارد هنري ليفي : Bernard Henri Lévy

ولد في ٥ نوفمبر ١٩٤٨، وهو المتخصص في علم الجنس الصهيوني كوجود على الساحة الدولية والعامة الإسرائيلية. فهو واحد من الرؤساء البارزين في حركة الفلاسفة الجدد.

برنارد لورانس بيرني مادوف : Bernard Madoff

(ولد ٢٩ أبريل ١٩٣٨) تخرج من كلية هوفسترا في عام ١٩٦٠ بدرجة البكالوريوس في العلوم السياسية. ثم عمل في سوق الأوراق المالية في مانهاتن. وكان مادوف البارز محسن، خدم في مجالس المؤسسات غير الربحية عديدة من التي عهدت بها شركته مع الأوقاف. ثم صار مستشار الاستثمار الأمريكي والرئيس التنفيذي لناسداك أو سوق الأوراق المالية والأسهم. وقد أسس شركة الاستثمار في الأوراق المالية عام ١٩٦٠، وكان رئيسها حتى اعتقاله في ١١ ديسمبر ٢٠٠٨ بسبب تهمة الاحتيال في مشروع بونزي، الذي صرح بأنه بدأ مخططه في التسعينيات. وقد وجهت إليه تهمة تزوير الأوراق المالية والاحتيال والتزوير الالكتروني وغسيل الأموال وشهادة الزور والإدلاء بأقوال كاذبة وتقديم مستندات مزورة. واعترف في ١٢ مارس عام ٢٠٠٩ بأنه مذنب في كل هذه التهم. حيث تم عودة ١٨ مليون دولار للمستثمرين و١٨ مليون دولار في عداد المفقودين. وبالتالي، حكم عليه في عام ٢٠٠٩ بالسجن لمدة ١٥٠ عامًا، وهو الحد الأقصى المسموح به.

جان برتران أريستيد : Bertrand Aristide

ولد في ١٥ يوليو ١٩٥٣، وهوكان رئيس هاتي في عام ١٩٩٠ حتى ١٩٩١، وبعدها انهار النظام بناءً على انقلاب عسكري في عام ١٩٩٤ تحت ضغط الولايات المتحدة

الأمريكية والتهديد باستخدام القوة وعندئذ اضطر أريستيد إلى التراجع عن العديد من الإصلاحات ثم صار رئيسًا مرة أخرى لهاتي من عام ١٩٩٤ حتى ١٩٩٦، ومن عام ٢٠٠١ حتى خُلع في فبراير ٢٠٠٤. وأتهم الولايات المتحدة بتدبير انقلاب ضده بدعم من جهات من بينها رئيس وزراء جامايكا باترسون. واضطر إلى السفر من هايتي إلى أفريقيا الجنوبية.

بيل جيتس : Bill Gates

ولد في ٢٨ أكتوبر ١٩٥٥، وهو رجل الأعمال الأمريكي والكاتب ورئيس شركة ميكروسوفت، التي أسسها مع بول ألين. كما أنه من أغنى رجال العالم من عام ١٩٩٥ حتى ٢٠٠٩ باستثناء عام ٢٠٠٨ عندما أحتل المركز الثالث من بين أغنياء العالم. وهو معروف عنه بأنه رجل محسن، حيث يتبرع بمبالغ كبيرة من المال للجمعيات الخيرية المختلفة وبرامج البحث العلمي.

بريان ماسومي : Brian Massumi

الفيلسوف السياسي الكندي والمنظر الاجتماعي له بحوثه العديدة في مجالات الفن والهندسة المعمارية والدراسات الثقافية والنظرية السياسية. حصل على الدكتوراه في الأدب الفرنسي من جامعة ييل عام ١٩٨٧. ويقوم حاليًا بالتدريس في جامعة دي مونتريال في قسم علوم الاتصال.

برونو جانز : Bruno Ganz

ولد في ٢٢ مارس ١٩٤١، وهو الممثل السويسري المعروف بأدواره في أفلام أجنحة الرغبة، و السقوط. وقد حصل على عدة جوائز من بينها جائزة الفيلم السويسري في عام ٢٠٠٠، وجائزة مهرجان برلين في عام ٢٠٠١ ، فضلاً عن جائزة أفضل ممثل في عام ٢٠٠٤.

كارلوس منعم : Carlos Menem

ولد في ٢ يوليو ١٩٣٠، وهو كان رئيس الأرجنتين في الفترة من ١٩٨٩- ١٩٩٩. وهو حاليًا عضو مجلس الشيوخ الأرجنتيني الوطني لمقاطعة لاريوخا في عام ٢٠٠٥.

شيابلو : Chiapello

ولد في ٢ أبريل ١٩٦٥، وهو الحاصل على الدكتوراه في العلوم الإدارية، ومتخصص في المحاسبة وإدارة الأعمال، وفي علم الاجتماع. وقد شارك بولتانسكي في تأليف كتابهما المعنون باسم الروح الجديدة للرأسمالية.

كلود لانزمان : Claud Lanzmann

ولد في ١٩٢٥، وهو المخرج الفرنسي وأستاذ في كلية الدراسات العليا الأوروبية بسويسرا. انضم إلى المقاومة الفرنسية في سن الثامن عشر. ومن أشهر أعماله فيلم وثائقي مدته نصف ساعة بعنوان المحرقة عام ١٩٨٥ وتساهال عام ١٩٩٤، والزائر من الحي عام ١٩٩٧.

دانيال دينيت : Daniel Dennett

(ولد في ٢٨ مارس ١٩٤٢)، وهو فيلسوف أمريكي، وعالم معرفي وتخصص في مجالات تتصل بعلم الأحياء الارتقائي والعلوم المعرفية. بدءًا من عام ٢٠٠٩ وحتى الآن وهو المدير المشارك لمركز الدراسات المعرفية. وأستاذ الفلسفة بجامعة تافتس، وهو عضو في ائتلاف علماني لأمريكا وعضو الفرسان الأربعة. قد حصل على درجة الدكتوراه في الفلسفة من جامعة أكسفورد، وهو الحاصل على زمالة فولبرايت والحائز على جائزة الإنسانية من الأكاديمية الدولية الإنسانية.

ديفيد جروسمان : David Grossman

هو الكاتب الإسرائيلي. وقد تُرجمت كتبه إلى أكثر من ٣٠ لغة، وفاز بجوائز عديدة من بينها جائزة رئيس الوزراء للعمل الإبداعي في عام ١٩٨٤، وجائزة نوبل للسلام في عام ٢٠١٠. فضلاً عن كونه ناشطًا سياسيًا وناقدًا للسياسة الإسرائيلية تجاه الفلسطينيين. وقد تطرق إلى الصراع الفلسطيني الإسرائيلي في روايته الأخيرة المعنونة باسم إلى نهاية الأرض.

دنج شياوبينج : Deng Xiaoping

(١٩٠٤- ١٩٩٧) منظر سياسي ودبلوماسي وزعيم الحزب الشيوعي الصيني. كان دنج رجلاً إصلاحيًا قاد الصين نحو اقتصاد السوق. وخدم بوصفه القائد الأعلى للسكان في الصين من ١٩٧٨ حتى ١٩٩٢.

فيودور دوستويفسكي : Dostoyevsky -

(١٨٢١- ١٨٨١) الكاتب والروائي الروسي المعروف. ومن أشهر رواياته الجريمة والعقاب، و الأبلة، و الإخوة كارمازوف في عام ١٨٦٦.

إيهود باراك : Ehud Barak

ولد في ١٢ فبراير ١٩٤٢، وهو السياسي الإسرائيلي الذي شغل منصب رئيس الوزراء فيما بين ١٩٩٩ – ٢٠٠١. وكان زعيم حزب العمل حتى يناير ٢٠١١، وشغل وظيفة من وزير الدفاع ونائب مجلس الوزراء في حكومة بنيامين نتنياهو وقبل مسيرته السياسية شغل منصب ضابط في قوات الدفاع الإسرائيلية. وفي فبراير ٢٠١١ حضر باراك حفل في الأمم المتحدة بمناسبة اليوم الدولي لإحياء ذكرى ضحايا محرقة اليهود.

الفريدي يلينيك : Elfriede Jelinek

من مواليد ٢٠ أكتوبر ١٩٤٦، وهي الكاتبة المسرحية والروائية النمساوية. منحت جائزة نوبل في الأدب عام ٢٠٠٤. وترى أن : " تدفق موسيقى من الأصوات ومكافحة الأصوات في الروايات والمسرحيات التي – مع حماسة لغوية غير عادية – تكشف عن عبثية وكليشيهات المجتمع وإخضاع قوتهم ". كما كانت عضوًا في الحزب الشيوعي بالنمسا من ١٩٧٤ حتى ١٩٩١.

إليزابيث رادزبيسزفسكا : Elzbieta Radziszewska

من مواليد ٦ يناير ١٩٥٨، وهي طبيبة بولندية ونائب مجلس النواب، وأصبحت في عام ٢٠٠٨ وزيرة الخارجية ومفوض الحكومة للمساواة بين الرجل والمرأة، كما كانت نائب رئيس اللجنة البرلمانية للأسرة والمرأة.

إريك هوبسباوم : Eric Hobsbawm

ولد في ٩ يونيو ١٩١٧ بالإسكندرية في مصر، وهو الماركسي والمؤرخ والمؤلف البريطاني. وهو عضو الحزب الشيوعي البريطاني. حصل على جائزة بالزان للتاريخ في عام ١٩٠٠ بسبب قدرته الفائقة على الجمع بين العمق التاريخي مع موهبته الأدبية الكبيرة.

ومن أشهر أعماله ثلاثية حول القرن ١٩ : عصر الثورة : أوروبا، و عصر رأس المال، وعصر الإمبراطورية.

إرنستو تشي رافاييل جيفارا : Ernesto che Rafael Guevre

(١٤ يونيو ١٩٢٨ - ٩ أكتوبر ١٩٦٧) أُشتهر بلقب " تشي جيفارا " أو " التشي " أو " تشي ". وهو ثوري كوبي أرجينتيني المولد، كان رفيق فيدل كاسترو. ويعتبر شخصية ثورية فذة في نظر الكثيرين. درس الطب في جامعة يوينس آيرس وتخرج عام ١٩٥٣، وأُشتهر بعبارته : " يجب أن نتذكر دائمًا أن الإمبريالية نظام عالمي، وهي المرحلة الأخيرة من الاستعمار، ويجب أن تهزم بمواجهة عالمية ". وعمل وزيرًا للصناعة وممثلاً لكوبا في الخارج ومتحدثًا باسمها في الأمم المتحدة. ولكنه تخلى نهائيًا عن مسؤولياته في قيادة الحزب الكوبي وعن منصبه كوزير في أكتوبر عام ١٩٦٥. فقد ظل ينضال حتى أُغتيل على يد قوات الجيش البوليفي عام ١٩٦٧. ومن أعماله : "حرب العصابات" ١٩٦١، و "الإنسان الجديد"، و "هذا أنا"، و "الإنسان والاشتراكية في كوبا" عام ١٩٦٧.

إرنست لوبيتش : Ernst Lubitsch

(١٨٩٢ - ١٩٤٧) المخرج السينمائي الألماني، حصل في عام ١٨٤٧ على جائزة الأوسكار الفخرية لتميز مساهماته في الصور المتحركة، وقد كان مرشحًا ثلاث مرات لجائزة أفضل مخرج.

إيفو موراليس أيما : Evo Morales

ولد في ٢٦ أكتوبر ١٩٥٩، وهو رئيس بوليفيا منذ عام ٢٠٠٦ وحتى الآن، وهو كذلك زعيم حزب سياسي يسمى الحركة من أجل الاشتراكية. فلقد أراد مزيد من السلطة إلى السكان الأصليين والفقراء في المجتمعات عن طريق الإصلاح الزراعي وإعادة توزيع الثروة.

بوشيهير فرانسيس فوكوياما : Francis Fukuyama

من مواليد ٢٧ أكتوبر ١٩٥٢، وهو فيلسوف أمريكي ولد في هايد بارك بشيكاغو، ولكنه قضى طفولته في مدينة نيويورك. حاصل على البكالوريوس في الأدب الكلاسيكي من

جامعة كورنيل، ثم درس السياسة وحصل على درجة الدكتوراه من جامعة هارفارد. وهو حاليًا أستاذ الاقتصاد السياسي الدولي ومدير برنامج التنمية الدولية في مدرسة بول نيتز للدراسات الدولية المتقدمة في جامعة جونز هوبكنز بواشنطن. ومن أعماله " نهاية التاريخ"، و" الإنسان الأخير ". رأى أن تطور التاريخ البشري والصراع بين الإيدلوجيات بلغ لنهايته إلى حدٍ كبير، وسوف يستقر العالم على الديمقراطية الليبرالية بعد نهاية الحرب الباردة وسقوط جدار برلين في عام ١٩٨٩، وتوقع فوكوياما في نهاية المطاف انتصار عالمي لليبرالية السياسية والاقتصادية.

الفرنكوستس : Francoists

هم جماعة المؤيدين لـ فرانسيسكو فرانكو Francisco Franco (١٨٩٢- ١٩٧٥)، الذي كان جنرال للجيش الإسباني، والذي قاد الجيش لثورة ضد الجمهورية الإسبانية في عام ١٩٣٦ مع مساعدة ألمانيا وإيطاليا، وبعد ذلك عين رئيس الحكومة الإسبانية، وهو المنصب الذي تخلى عنه في عام ١٩٧٣. وكذلك كان ديكتاتور إسباني حارب في الحروب الاستعمارية الإسبانية في إفريقيا.

فرانز فانون : Frantz Fanon

(١٩٢٥- ١٩٦١) طبيب نفساني وفيلسوف من السود، عُرف بنضاله من أجل الحرية وضد التمييز والعنصرية. وخدم خلال الحرب العالمية الثانية في جيش فرنسا الحرة وحارب ضد النازيين. وتخصص في الطب النفسي ثم عمل طبيبًا عسكريًا في الجزائر في فترة الاستعمار الفرنسي. عمل رئيسًا لقسم الطب النفسي في مستشفى بليدة جوانفيل بالجزائر. كما انخرط في صفوف المطالبين باستقلال الجزائر عن فرنسا. وعالج ضحايا طرفي الصراع، على الرغم من كونه مواطنًا فرنسيًا. وفي عام ١٩٦٥ انضم فرانز كطبيب إلى جبهة التحرير الوطني الجزائرية. وفي عام ١٩٦٠ صار سفير الحكومة الجزائرية المؤقتة في غانا.

فريدريك إنجلز : Friedrich Engels

. (١٨٢٠ – ١٨٩٥) فيلسوف وكاتب ومنظر سياسي الألماني ومؤسس النظرية الشيوعية مع كارل ماركس في عام ١٨٤٥. وفي عام ١٨٤٨ أصدر معه البيان الشيوعي. ومن أعماله حالة الطبقة العاملة في إنجلترا .

جورج آرثر أكرلوف : George Akerlof

ولد في ١٧ يونيو ١٩٤٠، وهو أستاذ الاقتصاد الأمريكي في جامعة كاليفورنيا، بيركلي. والحائز على جائزة نوبل في الاقتصاد (بالتقاسم مع مايكل سبنس وجوزيف ستيجليتز) في عام ٢٠٠١. ومن أهم أفكاره أجور الكفاءة ومعلومات التباين، ومن أعماله **الاقتصاد والهوية**، الذي نشر في المجلة الفصلية للاقتصاد في عام ٢٠٠٠، **وأفكار حول ظاهرة الاحتباس الحراري** في يوليو ٢٠٠٨، **واستكشافات في الاقتصاد العملي**.

جورج بوش : George W. Bush

رئيس الولايات المتحدة الأمريكية السابق من ٢٠٠١ - ٢٠٠٩. تخرج من جامعة ييل في عام ١٩٦٨ ومدرسة هارفارد للأعمال في عام ١٩٧٥، عمل في شركات النفط وتزوج من لورا ويلش في عام ١٩٧٧. وتعرض في فترة رئاسته الأولى لسلسلة من الهجمات الإرهابية، فكان رد بوش على ذلك بأن أعلن عالمية الحرب على الأرهاب، وهو أمر غزو أفغانستان في عام ٢٠٠١ وغزو العراق في عام ٢٠٠٣. وعززت سياسات بوش على الاقتصاد والرعاية الصحية والتعليم وإصلاح نظام الضمان الاجتماعي. ولكن شعبيته تضاءلت للغاية خلال فترة ولايته الثانية. فكان بوش - حقًا - شخصية مثيرة للجدل دوليًا. وبعدما ترك منصبه عاد إلى تكساس واستقر هناك وألف كتابًا عن مذكراته الشخصية بعنوان **نقاط الفرار**.

جدعون ليفي : Gideon Levy

ولد في ١٩٥٣، وهو صحفي إسرائيلي له عمود إسبوعي في صحيفة هآرتس، التي تركز غالبًا على الاحتلال الإسرائيلي للأراضي الفلسطينية. عُرِفَ بأنه الداعي إلى الحماس والصحفي البطل. ويؤيد حقوق الإنسان، وقد فاز بالعديد من الجوائز بسبب كتاباته.

جيل دولوز : Gilles Deleuze

(١٩٢٥- ١٩٩٥) الفيلسوف الفرنسي الذي اهتم بمجالات عديدة كالفلسفة والأدب والسينما والفنون الجميلة. صاحب مجلدين عن الرأسمالية والفصام : مكافحة أوديب، والفرق والتكرار، ومنطق الاحساس.

جورجيو أجامبن : Giorgio Agamben

(ولد في ٢٢ أبريل ١٩٤٢) هو الفيلسوف السياسي الإيطالي اشتهر بأفكاره عن الحالة الاستثنائية، ويحذر من تعميم حالة الاستثناء من خلال قوانين مثل قانون باتريون، وهو ما يعني الدفعة الدائمة لقانون الأحكام العرفية والطوارئ. وكان يعمل في المقام الأول في علم اللغويات وفقه اللغة وموضوعات الثقافة في العصور الوسطى. وهو زميل معهد اربورج بجامعة لندن. ومن أعماله **محاكاة ساخرة** ، **المقاطع الشعرية** .

ميخائيل جورباتشوف : Gorbachev

ولد في ٢ مارس ١٩٣١، وهو الذي شغل منصب الأمين العام للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفيتي من عام ١٩٨٥ حتى ١٩٩١. وقد حصل على جائزة نوبل للسلام في عام ١٩٩٠.

جاي سورمان : Guy Sorman

(ولد في ١٠ مارس ١٩٤٤) أستاذ اللغة الفرنسية وكاتب في مجالي الاقتصاد والفلسفة. وألف عشرين كتابًا يشجع على الإبداع والمثل العليا للرأسمالية الحديثة. وتعد آراؤه قريبة من الليبرالية الكلاسيكية. كما تعد أفكاره عن الطاقة المتجددة وحماية البيئة كما عبر عنها في كتابه المعنون باسم **التقدم وأعدائه** مثيرة للجدل بشكل خاص. فهو حازم فيما يتعلق بحقوق الإنسان في الصين وبالديمقراطية في أماكن كثيرة من بينها تركيا ومصر وإيران وشيلي وبولندا والأرجنتين. وهو مؤسس إحدي المنظمات غير الحكومية الفرنسية الرائدة، والعمل على مكافحة الجوع في عام ١٩٧٩. وكان رئيسها حتى عام ١٩٩٠. وهو مستشار عالمي للرئيس الكوري الجنوبي.

جورج فيلهم فريدريك هيجل : Hegel

(١٧٧٠ - ١٨٣١) الفيلسوف الألماني، ومن أعلام المدرسة المثالية ومؤسس النزعة التاريخية. فضلاً عن اهتماماته العديدة بمجالات شتى من قبيل المنطق وفلسفة التاريخ وعلم الجمال والدين والفلسفة السياسية والميتافيزيقا ونظرية المعرفة. ومن أهم أفكاره هي المثالية المطلقة، والجدلية، وجدلية السيد والعبد. ومن أشهر أعماله **فينومينولوجيا**

الروح، المنطق في ثلاث مجلدات (١٨١٢- ١٨١٦) وهو عرض للمعاني الأساسية الميتافيزيقية والمنطقية، و فلسفة الجمال ، دروس في فلسفة الدين، و تاريخ الفلسفة، وغيرها من الأعمال الهامة.

هنري واكسمان : Henry A. Waxman

من مواليد ١٢ سبتمبر ١٩٣٩، وهو ممثل الولايات المتحدة الأمريكية عن ولاية كاليفورنيا بالكونجرس منذ عام ٢٠٠٣. وهو عضو الحزب الديمقراطي، وفي عام ٢٠٠٦ أصبح واكسمان رئيس لمجلس النواب والحكومة الرقابية. وفي عام ٢٠٠٩ عمل بوصفه رئيسًا للجنة الطاقة والتجارة حتى ٣ يناير ٢٠١١.

هنري كيسنجر : Henry Kissinger

ولد في ٢٧ مايو ١٩٢٣، وهو الألماني الأصل والمولد وهو الدبلوماسي الأمريكي الحائز على جائزة نوبل للسلام. وقد شغل منصب مستشار الأمن القومي، ومن دعاة سياسة الأمر الواقع. لعب دورًا مهمًا في سياسة الولايات المتحدة الأمريكية الخارجية فيما بين ١٩٦٩- ١٩٧٧ من قبيل سياسة الانفراج مع الاتحاد السوفيتي ونظم فتح علاقات مع جمهورية الصين الشعبية والتفاوض على اتفاقات باريس للسلام، وإنهاء التورط الأمريكي في حرب فيتنام. ولايزال كيسنجر شخصية مثيرة للجدل حتى الآن. كما أنه الحائز على جائزة مؤتمر ميونخ للسياسة الأمنية. ويشغل حاليًا منصب رئيس شركة كيسنجر أسوشيش الاستشارية الدولية.

هنري لويس تايلور جونيور : Henry Louis Taylor

مدير مركز الدراسات الحضرية والحاصل على درجة الدكتوراه في التاريخ الحضري من جامعة بافالو. فضلاً عن اهتمامه بالبحث في مجالات متعددة منها تخطيط الأحياء والتنمية الإقليمية، والعرق، والطبقة، والتنمية المجتمعية، وتاريخ الأمريكيين الأفارقة.

هنري بولسون : Henry Paulson

ولد في ٢٨ مارس ١٩٤٦، وفي ٣٠ مايو ٢٠٠٦ تم ترشيحه لمنصب وزير الخزانة الأمريكي من قِبل الرئيس الأمريكي جورج بوش. ويعتبر بولسون من مؤيدي فكرة

التدخل الحكومي في الشؤون الاقتصادية باعتباره الوسيلة الوحيدة للحيلولة دون انهيار الاقتصاد الأمريكي بسبب الأزمة المالية العالمية. كما شغل في السابق منصب رئيس مجلس الإدارة والرئيس التنفيذي لبنك جولد مان ساكس، وهو حاليًا زميل في جامعة جونز هوبكنز بكلية الدراسات الدولية المتقدمة. وكتب مذكراته بعنوان **على حافة الهاوية: داخل السباق لمنع انهيار النظام المالي العالمي**، والتي نُشرت في ١ فبراير ٢٠١٠.

هربرت ماركوز : Herbert Marcuse

(١٨٩٨ - ١٩٧٩) فيلسوف وعالم اجتماع ومنظر سياسي ألماني، أنضم إلى مدرسة فرانكفورت من النظرية النقدية. ومن أعماله **العقل والثورة** عام ١٩٤١، **إيروس والحضارة** عام ١٩٥٥، **البعد الجمالي** .

مير حسين موسوي : Hossein Mousavi

ولد في ٢ مارس ١٩٤٢، وهو الاصلاحي السياسي الإيراني والرسام والمهندس المعماري، الذي شغل منصب رئيس وزراء إيران فيما بين عامي ١٩٨١ - ١٩٨٩. وكان المرشح لإنتخابات الرئاسة في عام ٢٠٠٩. عمل رئيسًا لأكاديمية الفنون الإيرانية حتى عام ٢٠٠٩ عندما استبعدته سلطات المحافظين. وهو زعيم الحركة الخضراء، ولقد أطلقت عليه مجلة **تايم** في عام ٢٠١٠ لقب واحدًا من أكثر القادة نفوذًا في العالم.

هوجو شافيز فرياس : Hugo Chávez

ولد في ٢٨ يوليو ١٩٥٤، وهو رئيس فنزويلا منذ عام ١٩٩٩ يدعو إلى اشتراكية للقرن ٢١، ويسعى لتنفيذ عدة إصلاحات تعرف باسم الثورة البوليفارية، والتي تتضمن تنفيذ جديد للدستور والديمقراطية التشاركية. وهو من أشد منتقدي الرأسمالية وبخاصة الليبرالية الجديدة.

إيمانويل كانط : I.Kant

(١٧٢٤- ١٨٠٤) الفيلسوف المثالي العقلاني المشهور وأخرفيلسوف من الفترة الكلاسيكية في نظرية المعرفة. ومن أبرز أعماله : **نقد العقل الخالص** ، و **نقد العقل العملي**، **نقد ملكة الحكم** .

جاك لاكان : J. Lacan

(١٩٠١- ١٩٨١) محلل نفسي ولد في باريس وتوفي بها. اشتهر بقراءته التفسيرية لسيجموند فرويد ومساهمته في التعريف بالتحليل النفسي الفريدوي في فرنسا في الثلاثينيات من هذا القرن وبالتغيير العميق الذي أحدثه في مفاهيم التحليل النفسي ومناهجه. درس لاكان الطب وحصل على دكتوراه عام ١٩٣٢ في أطروحة عبرت عن سعيه إلى الربط بين الطب النفسي والتحليل النفسي. وفي عام ١٩٥٣ بدأ في إلقاء محاضرات في جامعة باريس أكسبته شهرة واسعة. ثم توطدت سمعته بعد نشر مقالاته في كتاب بعنوان **كتابات** عام ١٩٦٦. وإحدى أهم الاضافات التي قدمها لاكان في تحليلاته النفسية هو اعتماده على اللغة بوصفها مرآة للاوعي. فقد اعتبر اللاوعي بنية لغوية وأعاد تفسير الكثير من مقولات فرويد حول الغريزة الجنسية من زاوية اللغة وعلاقة الدال بالمدلول عند سوسير.

جان جاك ديسالين : J.J. Dessalines

(١٧٥٨- ١٨٠٦)، وهو الإمبراطور الهاتي في عام ١٨٠٥، وقد خدم كضابط في الجيش الفرنسي، وانضم إلى ثورة العبيد أو الثورة الهاتية. كما قاد الثورة ضد فرنسا وهزم القوات الفرنسية في عام ١٨٠٣، وأعلان بعدها هايتي كدولة مستقلة في عام ١٨٠٤، ثم تولى منصب الحاكم العام وبعدها أعلن نفسه بوصفه الإمبراطور حتى تم اغتياله في عام ١٨٠٦.

جاك آلان ميلر : Jacques Alain Miller

(ولد في ١٤ فبراير ١٩٤٤)، درس في مدرسة الأساتذة العليا وتابع تعاليم جاك لاكان في التحليل النفسي. وفي عام ١٩٦٤ عين كمحاضر في المدرسة التطبيقية للدراسات العليا. وبعد وفاة لاكان اتخذ ميلر على عاتقه مهمة تقديم ندوات أسبوعية عنه تحت عنوان "وداعًا أيها الاتجاه اللاكاني"، تهدف إلى شرح وتوضيح عمل لاكان. فضلاً عن الإشراف على ترجمة أعماله إلى الإنجليزية.

جاك رانسيار : Jacques Rancière

ولد في الجزائر عام ١٩٤٠، وهو الفيلسوف الفرنسي وأستاذ الفلسفة في كلية الدراسات العليا الأوروبية ، وأستاذ الفلسفة في جامعة باريس سان دوني. وقد اتخذ شهرته من خلال مشاركته في تأليف كتاب قراءة رأس المال في عام ١٩٦٨ مع ماركس.

ومن أعماله أيضًا السياسة والفلسفة عام ١٩٩٨، و على ضفاف السياسة عام ١٩٩٥، و مستقبل صورة عام ٢٠٠٧، و مشاهد محررة ٢٠١٠.

جانيت ماسلين : Janet Maslin -

ولدت في عام ١٩٤٩، وهي صحفية وناقدة سينمائية أمريكية وكذلك ناقدة أدبية لصحيفة نيويورك تايمز. والحاصلة على درجة البكالوريوس في الرياضيات.

جان كلود ميلنر : Jean – Claude Milner

من مواليد ١٩٤١ وهو الفيلسوف الفرنسي والمتخصص في مجال اللغويات، الذي درس مع رولان بارت ودرس التحليل النفسي على يد لاكان. فقد استكمل ميلنر جزء من دراسته في الولايات المتحدة الأمريكية في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا، وترجم إلى الفرنسية كتاب جوانب النظرية النحوية عام ١٩٧١، وهو حاليًا أستاذ في جامعة باريس ديدرو. ومن أعماله من أجل حب اللغة، مذهب للعلوم .

جان فرنسوا ليوتارد : Jean- François Lyotard

(١٩٢٤- ١٩٩٨)، فيلسوف ومنظر أدبي فرنسي، ويعد من ممثلي ما بعد الحداثة وتحليل أثر ما بعد الحداثة على حالة الإنسان. وفي عام ١٩٥٠ تولى تدريس فلسفة الموقف في شرق الجزائر الفرنسية. وقد حصل على درجة الدكتوراه في الأدب، وهو عضو في الاشتراكية عام ١٩٥٤. ومن مؤلفاته " أدورنو والشيطان "، و" حالة ما بعد الحداثة ".

جيجمي سينجاي وانجتشوك : Jigme Singye Wang Chuck

(ولد في ١١ نوفمبر ١٩٥٥) هو الملك السابق من بوتان وكان ملك التنين الرابع من ١٩٧٢ حينما اعتلى العرش في سن السابعة عشرة حتى تنازله عن العرش لابنه البكر في عام ٢٠٠٦. فكان أصغر ملك في العالم ؛ إذ تولى الحكم بعد الوفاة المفاجئة لوالده جيغمي دورجي وانجتشوك. وكان له الفضل في العديد من الإصلاحات الحديثة في البلاد، فهو صاحب ما يُعرف باسم الناتج القومي للسعادة.

ديفيد جيمس بول جيم : Jim Bunning

(ولد في ٢٣ أكتوبر ١٩٣١) سياسي أمريكي حاصل على درجة البكالوريوس في الاقتصاد من جامعة كزافييه. وهو لاعب البيسبول السابق، وبعد تقاعده من اللعب عاد إلى موطنه الأصلي شمال ولاية كنتاكي، انتخب في مجلس المدينة ثم في مجلس الشيوخ عام ١٩٩٩٩. وفي عام ١٩٨٦ انتخب لمجلس النواب الأمريكي من الكونجرس، وألقى خطبة الوداع أمام مجلس الشيوخ الأمريكي في ٩ ديسمبر ٢٠١٠.

جون كامبل : John Campbell

ولد في ١٠ فبراير ١٩٦٤، وهو مقدم برنامج **كامبل لايف** على قناة TV3 في نيوزيلندا. تخرج كامبل من كلية ولنجتون ثم جامعة فيكتوريا ليسانس الآداب. وبعد ذلك عمل كتاجر للأسهم ثم عمل كمذيع للنشرة الأخبارية في قناة RNZ، ثم انتقل إلى قناة TV3. وقد حصل كامبل على جائزة الإعلام كأفضل مقدم برامج.

جون جراي : John Gray

كاتب ومؤلف أمريكي، ولد في ولاية تكساس الأمريكية عام ١٩٥١، ولكنه عاش في ولاية كاليفورنيا. ألف عام ١٩٩٢ كتابًا أُشتهر عالميًا وطبع منه ملايين النسخ، وهو كتاب **الرجال من المريخ، النساء من الزهرة** ، والذي يعتبر دليلاً لفهم الجنس الآخر.

جون مارينارد كينز : John Maynard Keynes

(٥ يونيو ١٨٨٣- ٢١ أبريل ١٩٤٦) اقتصادي إنجليزي عمل في بداية حياته في الهند، وألف كتابًا عن الإصلاح فيها واشترك في مؤتمر السلام بعد الحرب العالمية الأولى. وكتب كتابًا بعنوان الآثار الاقتصادية للسلام. وهو مؤسس النظرية الكينزية من خلال كتابه المعنون باسم **النظرية العامة في التشغيل والفائدة والنقود** المنشور عام ١٩٣٦، ومن أهم ما تقوم عليه نظريته أن الدولة تستطيع من خلال سياسة الضرائب والسياسة المالية والنقدية أن تتحكم بما يسمى الدورات الاقتصادية.

جون ماكين : John McCain

ولد في ٢٩ أغسطس ١٩٣٦، وهو من الشخصيات المهمة في الولايات المتحدة الأمريكية، حيث أنه عضو في مجلس الشيوخ من ولاية أريزونا. وكان الجمهوري المرشح للرئاسة في الولايات المتحدة في انتخابات عام ٢٠٠٨.

جوناثان ليتل : Jonathan Little

ولد في ١٠ أكتوبر ١٩٦٧ في نيويورك، ولكنه يعيش في برشلونة. وهو كاتب يتقن اللغتين الإنجليزية والفرنسية ويحمل الجنستين الفرنسية والأمريكية. وبعد حصوله على درجة البكالوريوس كان يعمل لحساب منظمة إنسانية لمدة تسع سنوات وترك وظيفته في عام ٢٠٠١ من أجل التركيز على الكتابة. وقد حصلت روايته المعنونة باسم **ويرجى الآحاد** على جائزة جونكور وجائزة جراند دو الروماني من الأكاديمية الفرنسية. وأما عن آخر أعماله فهي رواية **العدو الخفي** في عام ٢٠١١، فضلاً عن روايته، التي كانت مصدمة للغاية المعنونة باسم **الرفقاء**.

خوسيه ماريا اثنار : José Maria Aznar

ولد ٢٥ فبراير ١٩٥٣ شغل منصب رئيس وزراء إسبانيا فيما بين عامي ١٩٩٦ - ٢٠٠٤. وهو حاليًا فب مجلس إدارة نيو زكوريوريشن.

جوزيف ستيجليتز : Joseph Stiglitz

ولد في ٩ فبراير ١٩٤٣. وهو عالم اقتصاد أمريكي وأستاذ في جامعة كولومبيا، والحائز على جائزة نوبل في الاقتصاد عام ٢٠١٠.

كاراتاني K. Karatani:

ولد في ٦ أغسطس ١٩٤١، وهو الفيلسوف والناقد الأدبي الياباني. وقد تأسست على يده الحركة الجديدة المعروفة بحركة عدم الانحياز في اليابان، والتي أصبحت فيما بعد جمعية في صيف عام ٢٠٠٠.

كارل ماركس : Karl Marx

(٥ مايو ١٨١٨- ١٤ مارس ١٨٨٣) فيلسوف وسياسي وصحفي ومنظر اجتماعي ألماني. قام بتأليف العديد من المؤلفات إلا أن نظريته المتعلقة بالرأسمالية وتعارضها مع مبدأ أجور العمال هو ما أكسبه شهرة عالمية. لذلك يعتبر مؤسس الفلسفة الماركسية، ويعتبر مع صديقه فريدريك إنجلز المنظرين الرسميين الأساسيين للفكر الشيوعي. حيث

شكل مع صديقه إنجلز ما يدعي اليوم بالاشتراكية العلمية (أو الشيوعية المعاصرة). وحصل على درجة الدكتوراه في الفلسفة عام ١٨٤٠.

أية الله مصطفوي الموسوي خامئني : Khomeini -

هو زعيم سياسي إيراني، وقائد الثورة الإيرانية في عام ١٩٧٩، التي شهدت سقوط محمد رضا بهلوي وشاه إيران، وبعدها أصبح القائد الأعلى للبلاد. ويعتبر بطل الإحياء الاسلامي من قِبل علماء الشيعة.

سورين كيركيجارد : Kierkegaard

(١٨١٣- ١٨٥٥) فيلسوف ولاهوتي وعالم النفس دنماركي. تأثر بفلسفة سقراط وانتقد بشدة فلسفات هيجل وشيلنج والمسيحية من الكنيسة الرسمية للدولة في مقابل الكنيسة الحرة. وهو مؤسس الفلسفة الوجودية التي تهتم بالإنسان في الوجود. ومن مؤلفاته : **مفهوم القلق، شظايا فلسفية .**

كيم جونج ايل : Kim Jong

ولد في ١٦ فبراير ١٩٤١، وهو رئيس كوريا الشمالية في عام ١٩٩٨، ورئيس لجنة الدفاع الوطني والأمين العام لحزب العمال في كوريا والقائد الأعلى للجيش الشعبي الكوري.

كيشان خوداي : Kishan Khoday

الكندي من أصل هندي، الذي تولى منصب مساعد المدير القطري ورئيس فريق الطاقة والبيئة مع برنامج الأمم المتحدة للتنمية في بكين بالصين. وقبل انضمامه إلى الأمم المتحدة عمل مع عدة منظمات غير حكومية ومعاهد البحوث في كندا.

فلاديمير لينين : Lenin

(١٨٧٠ - ١٩٢٤) الماركسي الثوري الروسي والمؤلف والمحامي والمنظر الاقتصادي والفيلسوف السياسي. وهو مؤسس الحزب الشيوعي السوفيتي وزعيم ثورة أكتوبر ١٩١٧، ومؤسس الاتحاد السوفيتي ورئيس للبلاشفة من ١٩١٧ إلى ١٩٢٤، وقاد الجيش الأحمر إلى الفوز في الحرب الأهلية الروسية. وهو صاحب نظرية واسعة النطاق الفلسفي في مساهماته في الماركسية التي أنتجت اللينينية.

ليوناردو فوينتيس : Leonardo Padura

من مواليد عام ١٩٥٥، والروائي والصحفي الكوبي وهو واحد من أفضل كتاب كوبا المعروفين دوليًا. ولقد أشير إليه في اللغة الإنجليزية وبعض اللغات الأخرى باسم ليوناردو بادورا. حصل على البكالوريوس في الأدب الأمريكي اللاتيني من جامعة هافانا. أهتم بكتابة السيناريوهات وبوجه خاص الروايات البوليسية. كتب أول رواية قصيرة فيما بين عامين ١٩٨٣ - ١٩٨٤ بعنوان **الحصان الحمي**، والتي كانت أساسًا قصة حب. ثم أمضى السنوات الست التالية في مواصلة العمل الصحفي. فضلاً عن رواياته الأخرى من قبيل **هافانا الأزرق**، **هافانا الأحمر**، **الرجل الذي يحب الكلاب** يتناول فيها اغتيال تروتسكي والرجل الذي اغتاله وهو رامون ميركادير. ولقد أقيم لهذه الرواية دعاية كثيرة ونالت إعجاب شديد بها بسبب موضوعها السياسي.

ليليان جلاس : Lillian Glass

هي عضو خبراء اللغة وألفت عشرات من الكتب بما في ذلك **الناس السامة**، **يقول ونقول**، " لغة الجسد ". كما أنها تشارك بنشاط كمستشار هيئة المحلفين. وهي حاصلة على درجة البكالوريوس من جامعة برادلي في علوم النطق والسمع، وحاصلة على درجة الماجستير في العلوم من جامعة ميشيجان حيث أصبحت مهتمة بالفروق بين الجنسين في مجال الاتصالات. وحصلت على درجة الدكتوراه من جامعة مينيسوتا، كما حصلت على زمالة مؤسسة بوش وتخصصت في علوم النطق والسمع واضطرابات التواصل.

موهنداس كرمشاند غاندي : M.K. Ganhi

(١٨٦٩-١٩٤٨) سياسي بارز وزعيم روحي للهند خلال حركة استقلال الهند. وهي مقاومة الاستبداد من خلال العصيان المدني الشامل، والتي أدت إلى استقلال الهند

وألهمت الكثير من حركات الحقوق المدنية والحرية في جميع أنحاء العالم. فغاندي معروف في جميع أنحاء العالم باسم المهاتما غاندي، والمهاتما أي الروح العظيمة. وقد تم تشريفه رسميًا في الهند باعتباره أبو الأمة ويُعد يوم ميلاده ٢٥ أكتوبر عطلة رسمية في الهند، وعالميًا هو اليوم الدولي للاعنف. وقد تولى قيادة المؤتمر الوطني الهندي في عام ١٩٢١. قاد غاندي حملات وطنية لتخفيف حدة الفقر وزيادة حقوق المرأة وبناء وئام وطني، كما تظاهر ضد بريطانيا لاحقًا للخروج من الهند. قضى غاندي عدة سنوات في السجن في كل من جنوب أفريقيا والهند. وأسس ما يُعرف في عالم السياسة باسم المقاومة السلمية أو فلسفة اللاعنف.

محبوب محمود : Mahboob Mahmood

هوالمحامي الأمريكي الباكستاني، ومستشار لرجال الأعمال والشركات العائلية والتركيز خاصة على المشاريع الاجتماعية، وكتب عددًا من دراسات الحالة على الشركات الآسيوية في التعليم والتدريب وخدمات الطعام وتصنيع التكنولوجيا العالية وتكنولوجيا المعلومات وقطاعات النقل. وفي عام ٢٠٠٠ أُنشئ برنامج المعارف وعمل كرئيس تنفيذي لها، وكان برنامجه هو الشركة الرائدة التي لها مكاتب في سنغافوره وطوكيو ونيو دلهي وإسلام آباد. وتوفر الشركة لأبحاث السوق والخدمات المالية والتعليمية والقطاعات الحكومية. فمحبوب واسع الخبرة في مجال الصناعة والمحاماة، وتلقى تعاليمه من جامعة كولومبيا. وعمل مع العملاء الرئيسين في تنفيذ عمليات الدمج والتملك وإعادة الهيكلة والتمويل للشركات والمشاريع في الولايات المتحدة الأمريكية والعديد من بلدان آسيا وعالج عددًا من مهام القطاع الخاص للبنك الدولي. تلقى تعليمه من كلية الحقوق بجامعة كولومبيا، ودبلوم في القانون الدولي والمقارن من جامعة كولومبيا، وماجستير في العلوم السياسية بجامعة بونز هوبكنز في عام ١٩٨٧.

ماوتسي تونج : Mao Zedong -

(١٨٩٣- ١٩٧٦) الرئيس الصيني، وهو شيوعي ثوري ومنظر سياسي وزعيم الثورة الصينية، له مساهماته في النظرية الماركسية اللينينية مع قادته العسكريين وأسس جماعة تعرف باسم الماوية. فهو قائد الحزب الشيوعي الصيني، كما أنه أرسى الأسس التكنولوجية والثقافية للصين الحديثة، وتحويل البلاد من مجتمع زراعي إلى مجتمع صناعي ضخم.

مارتن هيدجر : Martin Heidegger

(١٨٨٩ - ١٩٧٦) فيلسوف الوجود الألماني، الذي ينصب اهتمامه على الوجود العام. ومن أعماله : **الوجود والزمان** عام ١٩٢٧، و **على الطريق إلى اللغة، اللغة والتفكير والشعر، ما الفلسفة ؟، مدخل إلى الميتافيزيقا،** وغيرها من الأعمال الفلسفية التي انطبع تأثيرها على العديد من الفلاسفة من أمثال هانز جيورج جادامر وجاستون باشلار وغيرهم.

مارتن لوثر كينج : Martin Luther King

(١٩٢٩- ١٩٦٨) مناضل وقيادي بارز من الأمريكان الأفارقة لحركة الحقوق المدنية في الولايات المتحدة الأمريكية وحول العالم. وفي عام ١٩٥٥ قاد الحملة الوطنية لمقاطعة مونتجو مري وساعد في تأسيس مؤتمر القيادة المسيحية الجنوبية. وكان أعظم الخطباء في التاريخ الأمريكي عام ١٩٦٤. كما أنه أصغر شخص حصل على جائزة نوبل للسلام بناءً على جهده وسعيه الدائم لإنهاء التفرقة العنصرية والتمييز العنصري من خلال العصيان المدني. وقبل وفاته في عام ١٩٦٨ ركز بؤرة اهتمامه على القضاء على الفقر ووقف حرب فيتنام. وقد اغتيل في ٤ أبريل ١٩٦٨ في فندق لورين بمدينة ممفيس بولاية تينيسي، التي سافر إليها من أجل تأييد ودعم العمال السود المضربين عن العمل منذ ١٢ مارس من أجل رفع الأجور وتحسين العلاج، حيث تعرض لإطلاق ناري أصابه في فكه وانتقل إلى الحبل الشوكي ثم استقر في كتفه. وقيل إنه حصل بعد وفاته على الوسام الرئاسي للحرية عام ١٩٧٧ والميدالية الذهبية للكونجرس في عام ٢٠٠٤.

ماكس هوركهايمر : Max Horkheimer

(١٨٩٥- ١٩٧٣) هو الفيلسوف الألماني اليهودي وعالم الاجتماع الشهير بعمله في النظرية النقدية بوصفه عضوًا في مدرسة فرانكفورت للبحوث الاجتماعية. ومن أشهر أعماله **كسوف العقل** في عام ١٩٤٧، و **جدلية التنوير**، الذي ألفه بالاشتراك مع أدورنو في عام ١٩٤٧، و **السلطة والأسرة** في عام ١٩٣٦.

ماكس ويبر : Max Weber

(١٨٦٤- ١٩٢٠) عالم الاجتماع والاقتصاد السياسي الألماني. من أكثر أطروحاته شهرة في علم الاجتماع الاقتصادي، تلك التي عرضها في كتابه الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية. كما يعد تحليله للبيروقراطية في كتابه الاقتصاد والمجتمع لايزال أساسيًا في

الدراسات الحديثة عن المنظمات. وبعد الحرب العالمية الأولى كان من بين مؤسسي الحزب الديمقراطي الليبرالي الألماني. فأكثر أعماله تتعلق بعلم الاجتماع الاقتصادي وعلم الاجتماع السياسي وعلم الاجتماع الديني. لقطاع الخاص للبنك الدولي.

مهدي كروبي : Mehdi Karroubi

ولد في ٢٦ سبتمبر ١٩٣٧، وهو المصلح والناشط السياسي الديمقراطي الشيعي الإيراني، ورئيس حزب الثقة الوطنية، كما كان رئيس البرلمان من ١٩٨٩ حتى ١٩٩٢. ومن ٢٠٠٠ إلى ٢٠٠٤. كان مرشحًا للرئاسة في عام ٢٠٠٥، وفي الانتخابات الرئاسية لعام ٢٠٠٩. وهو عضو مؤسس ورئيس سابق لرابطة حزب رجال الدين المقاتلين. وهو الناقد لمجلس صيانة الدستور والنظام القضائي في إيران.

ميليسا هاريس - بيري : Melissa Harris - Lacewell

المعروفة سابقًا باسم ميليسا هاريس اسويل، وهي كاتبة أمريكية في العلوم السياسية، وأستاذ مساعد سابق في السياسة والدراسات الأمريكية الأفريقية في جامعة برينستون. حصلت على ليسانس الآداب في اللغة الإنجليزية من جامعة ويك فورست، وشهادة دكتوراه فخرية من كلية لومبارد اللاهوتية. واعتبارًا من يناير ٢٠١١، لدى ميليسا مكتب في معهد كلية نيوكومب في جامعة تولين بنيو أورليانز، وستنضم إلى كلية تولين رسميًا في نهاية العام الدراسي ٢٠١٠ - ٢٠١١. وهي مؤلفة كتاب **صالونات الحلاقة، الأناجيل والرهان** : كل يوم نقاش السود في الفكر السياسي، وتناقش فيه الأساليب التي استخدمها الأمريكان الأفارقة لتطوير الأفكار السياسية من خلال الأحاديث العادية في أماكن من قبيل صالونات الحلاقة والكنائس، والثقافة الشعبية. وفازت عام ٢٠٠٥ على جائزة أفضل كتاب عن العنصرية والعرقية السياسية من المؤتمر الوطني لعلماء السياسة. ومن بين اهتماماتها دراسة الفكر السياسي الأمريكي الأفريقي، والأفكار الدينية لدى السود، وممارستهم الاجتماعية.

مايكل هارت : Michael Haedt

ولد في ١٩٦٠،وهو المنظر الأدبي والفيلسوف السياسي الأمريكي. تحدث عن موضوعات عديدة منها الاضطهاد الطبقي المعاصر والعولمة. ومن أشهر أعماله **التعدد : الحرب والديمقراطية في عصر الإمبراطورية** المنشور في عام ٢٠٠٤.

مايكل مور : Michael Moore

(ولد في ٢٣ أبريل ١٩٥٤) وهو المخرج والكاتب الليبرالي والمعلق السياسي الأمريكي. وهو مخرج ومنتج لعدة أعمال فنية منها **بولينج فوركولومباين**، و **فهرنهايت**، و **سيكو**، و **الرأسمالية : قصة حب** . وفي سبتمبر ٢٠٠٨ أصدر لأول مرة فيلم على الإنترنت مجانًا بعنوان **انتفاضة الكسول**، مما شجع الكثير من الأمريكيين على التصويت في الانتخابات الرئاسية. وقد تألق كذلك في البرامج التليفزيونية مثل تليفزيون الأمة، والحقيقة المفزعة. وينتقد مور العولمة، والشركات الكبرى، والحرب على العراق، والرئيس الأمريكي جورج بوش، ونظام الرعاية الصحية الأمريكي في كتاباته وأعماله السينمائية.

ميشال فوكو : Michel Foucault

(١٩٢٦- ١٩٨٤) الفيلسوف والمؤرخ الفرنسي، وهو أستاذ بجامعة بافالو وجامعة كاليفورنيا وبيركلي. وهو صاحب الدراسات النقدية. وقد رفض فوكو ما بعد البنيوية وما بعد الحداثة مفضلاً لتصنيف الفكر بوصفه تاريخًا حاسمًا من الحداثة المتجذرة في كانط. وكان عضوًا في الحزب الشيوعي الفرنسي من عام ١٩٥٠ حتى ١٩٥٣.

ميجل ديه أونامونو : Miguel de Unamuno

(٢٩ سبتمبر ١٨٦٤ - ديسمبر ١٩٣٦) فيلسوف وشاعر وروائي ومؤلف أعمال درامية إسبانية. عين أستاذ اللغة اليونانية بجامعة سلمنكا عام ١٨٩١، ثم رئيسًا للجامعة في عام ١٩٠٠. بالإضافة إلى كتب أونامونو الكثيرة، فقد كتب ما يزيد على ٣٠٠٠ مقالة قصيرة. ولقد اكتسب عداء أربع حكومات متعاقبة بسبب نقده السياسي الجرئ. ومن أشهر مقالاته "الأصالة القومية" ، و"الكرامة الإسبانية"، و"أزمة الوطنية"، و "الوحدة"، و "ما الحقيقة ؟".

ميلتون فريدمان : Milton Friedman

(٣١ يوليو ١٩٦٢- ١٦ نوفمبر ٢٠٠٦)، وهو اقتصادي أمريكي عُرف بأعماله في الاقتصاد الكلي والاقتصاد الجزئي والتاريخ الاقتصادي والاحصاء. وعُرف عنه تأييده لاقتصاد السوق، وقد أشار إلى تقليل تدخل الحكومة في الشؤون الاقتصادية عام ١٩٦٢.

فاز بجائزة نوبل في الاقتصاد عام ١٩٧٦ لانجازاته في تحليل الاستهلاك والتاريخ النقدي ونظريته في شرح سياسات التوازن. وقد أصبح برنامجه التليفزيوني **حرية الاختيار** ***Free to Choose*** كتاب تم تأليفه بالمشاركة مع زوجته روز فريدمان. وعمل مستشارًا غير رسمي لرونالد ريجان خلال ترشيحه لرئاسة الجمهورية في عام ١٩٨٠، وبوصفه عضوًا في السياسة الاقتصادية للرئيس في المجلس الاستشاري خلال فترة رئاسته، وفي عام ١٩٨٨ منحه الرئيس ريجان الوسام الرئاسي للحرية، وفي نفس العام مُنِحَ وسام العلم الوطني.

موش بوستون : Moishe Postone

أستاذ التاريخ في جامعة شيكاغو، وعضو في لجنة الدراسات اليهودية. تتضمن اهتماماته البحثية. التاريخ الفكر الأوروبي، والنظرية الاجتماعية ولاسيما نظرية الحداثة ومعاداة السامية والتحولات العالمية المعاصرة. ومن أعماله **الزمن والعمل والهيمنة الاجتماعية : إعادة تفسير النظرية النقدية لماركس**، كما أنه محرر مشارك مع أريك سانتز في الكتاب المعنون باسم **من النكبة والمعنى : المحرقة والقرن العشرين**.

نعومي كلاين : Naomi Klein

صاحبت أشهر كتاب المعنوان باسم عقيدة الصدمة، الذي تتحدث فيه عن صعود رأسمالية الكوارث، وترجم إلى ٢٨ لغة ونشر في جميع أنحاء العالم في عام ٢٠٠٧، وهناك أكثر من مليون نسخة في الطباعة. وهي الحائزة على جائزة صحفي وكاتب العواميد ومؤلف الكتاب من صحيفة **نيويورك تايمز**. وهي المساهمة في التحرير لهاربر ومراسلة لمجلة رولينج ستون. وتكتب عمود منتظم للأمة والجارديان. بالإضافة إلى أنها بدأت كتاباتها في صحيفة نيويورك تايمز، واشنطن بوست، ونيوزويك، ولوس أنجلوس تايمز، وجلوب آند ميل وغيرها.

نيكولاس ستيرن : Nicholas Stern

ولد في ٢٢ أبريل ١٩٤٦، وهو الاقتصادي السياسي والأكاديمي البريطاني. وهو رئيس معهد بحوث جرانتام لشؤون تغير المناخ والبيئة في مدرسة لندن للاقتصاد. وفي عام ٢٠١٠ عمل كأستاذً بكلية دو فرانس.

نيكولا ساركوزي : Nicolas Sarkozy

ولد في ٢٨ يناير ١٩٥٥، وهو رئيس الجمهورية الفرنسية منذ ١٦ مايو ٢٠٠٧ وحتى الآن، وقبل توليه الرئاسة كان زعيم الحزب الحاكم.

نيلس بور : Niels Bohr

(١٨٨٥- ١٩٦٢) الفيزيائي الدنماركي المسيحي، ولد في كوبنهاجن. حصل على الدكتوراه في الفيزياء في عام ١٩١١، وأسهم بشكل بارز في صياغة نماذج لفهم البنية الذرية. كما كان رئيس لجنة الطاقة الذرية الدنماركية، ورئيس معهد كوبنهاجن للعلوم الطبيعية النظرية. وقد حصل على جائزة نوبل في الفيزياء عام ١٩٢٢.

مانوج نايت شيامالان : Night Shyamalan

ولد في ٦ أغسطس ١٩٧٠، وهو المخرج وكاتب السيناريو الهندي الأصل الأمريكي. ومن أعماله **الصلاة مع الغضب**، و **الحاسة السادسة** في عام ١٩٩٩، الذي رشح لست جوائز أوسكار كأفضل فيلم وأفضل مخرج وأفضل سيناريو ، وفيلم **غير قابل للكسر**، الذي صدر في عام ٢٠٠٠، ثم فيلم **سيدة في الماء** عام ٢٠٠٦، وأما عن آخر أعماله فهو فيلم **الشيطان** عام ٢٠١٠.

أوريانا فالاتشي : Oriana Fallaci

(١٩٢٩ - ٢٠٠٦) كانت صحافية وكاتبة ومحاورة سياسية إيطالية، بعدما تقاعدت عادت إلى الأضواء بعد أن كتبت سلسلة من المقالات والكتب تنتقد فيها الإسلام والعرب، فضلاً عن اتهامها لهم بالعنصرية والتعصب والتطرف، في حين أن أوروبا متسامحة للغاية. ومن أعمالها " الغضب والكبرياء "، " قوة العقل ". وقد ترجمت أعمالها إلى ٢١ لغة.

بول كروجمان : Paul Krugman

ولد في عام ١٩٥٣، وهو أستاذ في الاقتصاد والشؤون الدولية في جامعة برينسون بولاية نيوجرسي الأمريكية. والحائز على جائزة نوبل في الاقتصاد.

بول فرهوفن : Paul Verhoeven

ولد في ١٨ يوليو ١٩٣٨ هو المخرج وكاتب السيناريو ومنتج الأفلام الهولندي. ومن أعماله **غريزة أساسية** ١٩٢٢، و **الكتاب الأسود** في عام ٢٠٠٦، و **فتيات الاستعراض** في عام ١٩٩٥. وحصل على جائزة أفضل فيلم هولندي في مهرجان هولندا.

بيتر هالوارد : Peter Hallward

الفيلسوف السياسي الكندي، الذي قام بالتدريس في عدة جامعات من بينها :كلية الملك بلندن، وجامعة ميدلسكي، ويعمل حاليًا في جامعة كينجستون. ومن أعماله **فاعل في معرفة الحقيقة** عام ٢٠٠٣، **وخروج من هذا العالم : دولوز وفلسفة الحق** عام ٢٠٠٦، و **أريستيد الهايتي وسياسة الاحتواء** المنشور في عام ٢٠٠٧.

بيت سيجر : Pete Seeger

(ولد في ٣ مايو ١٩١٩) هو المغني الشعبي الأمريكي وشخصية بارزة في منتصف القرن العشرين إحياء الموسيقى الشعبية الأمريكية. انضم في عام ١٩٣٦ إلى اتحاد الشباب الشيوعي. وفي عام ١٩٤٢ أصبح عضوًا في الحزب الشيوعي بالولايات المتحدة الأمريكية. وقد شارك في تأليف كتاب **أين ذهبت كل الزهور ؟** ولقد شارك في ١٨ يناير ٢٠٠٩ مع بروس سبرينجستين في أغنية " هذه الأرض أرضك " في حفل تنصيب الرئيس أوباما في واشنطن.

فيليب بيتان : Philippe Pétain

(١٨٥٦- ١٩٥١) معروفًا بوجه عام باسم المارشال بيتان أو مارشال فرنسا، وتصنف باعتباره أقدم رئيس دولة في فرنسا، وبسبب قيادة جيشه في الحرب العالمية الأولى، ولاسيما خلال معركة فردان، فعرف بوصفه بطلاً وطنيًا في فرنسا عام ١٩١٧ أصبح القائد العام للقوات المسلحة من الجيش الفرنسي.

بيير أندرية تاجيف : Pierre André Taguieff

ولد في أغسطس ١٩٤٦ في باريس، وهو فيلسوف ومدير الأبحاث في المركز القومي الفرنسي للأبحاث العلمية في معهد الدراسات السياسية بباريس. ولقد ألف عدة كتب

عن العنصرية ومعاداة السامية والقومية ومستقبل الجمهورية ومفهوم التقدم وهو من أشد المعارضين على جميع أشكال الطائفية.

بريموليفي ميشيل : Primo Levi

(١٩١٩- ١٩٨٧) صيدلي وكاتب يهودي إيطالي، وله عدة روايات ومجموعة من القصص القصيرة والمقالات والقصائد، ولعل أبرزها روايته **إذا كان هذا هو رجل، و معسكر الاعتقال أوشفيتز.**

بيوتر ستوليبين : Pyotr- Stolypin

(١٨٦٢ - ١٩١١) رئيس وزراء روسيا فيما بين عامي ١٩٠٦ - ١٩١١. وكان له جهوده المميزة في قمع الجماعات الثورية، ومحاولة إحداث اصلاح زراعي. واستطاع وقف اضطرابات الفلاحين من خلال خلق طبقة من ملاك الأراضي كحيازة ضغيرة موجهة نحو السوق. وغالبًا ما يُشار إليه بوصفه واحدًا من أكبرمشاركي الدولة في تأسيس برنامج سياَسي واضح.

راي كورزويل : Ray Kurzweil

ولد في ١٢ فبراير ١٩٤٨، وهو المؤلف الأمريكي والمخترع، الذي شارك في مجالات عديدة مثل التعرف الضوئي على الحروف والتعرف على الكلام والأدوات الالكترونية. وهو مؤلف العديد من الكتب حول الصحة والذكاء الاصطناعي (منظمة العفو الدولية) والتفرد التكنولوجي. وقد حصل على العديد من الجوائز من بينها جائزة ديكسون في مجال العلوم عام ١٩٩٤، والميدالية الوطنية للتكنولوجيا عام ١٩٩٩، وجائزة آرثر سي كلارك عن الانجاز مدى الحياة عن مجمل أعماله كمخترع قائمة على تقنيات الحاسب الآلي.

رونالد ويلسون ريجان : Reagan

(١٩١١ - ٢٠٠٤) رئيس الولايات المتحدة الأمريكية فيما بين عامي ١٩٨١ - ١٩٨٩، مؤيد للشيوعية وقضى فترة ولايته الأولى في التخلي عن استراتيجية الانفراج عبر إصدار

أمر عسكري بالتعبئة في سباق تسلح مع الاتحاد السوفياتي. تفاوض معه الأمين العام السوفياتي ميخائيل جور باتشوف، وبلغت ذروتها في معاهدة الوقود النووي المشع. وقد أصيب بمرض الزهايمر في عام ١٩٩٤، وتوفي عن عمر يناهز الثلاثة وتسعون عامًا وهو يحتل مرتبة عالية في استطلاعات الرأي العام لرؤساء الولايات المتحدة.

راينهارد هيدريش يوجين تريستان : Reinhard Heydrich

(١٩٠٤ - ١٩٤٢) عين في أغسطس ١٩٤٠ في منصب رئيس الانتربول. وفي عام ١٩٤١ قد كان نائب حامي بوهيميا ومورافيا. وترأس في ١٩٤٢ مؤتمر وانسي، الذي ناقش خطط لترحيل وإبادة جميع اليهود في الأراضي المحتلة من قِبل الألمان. وفي العملية التي تسمى بعملية إنسان الغابة، تعرض للهجوم من وكلاء المدربين التشيكية البريطانية في ٢٧ مايو ١٩٤٢، وقد توفي بعد ما يقرب من أسبوع واحد بسبب إصاباته.

ريتشارد ميلهوس نيكسون : Richard Nixon

(٩ يناير ١٩١٣- ٢٢ أبريل ١٩٩٤) رئيس الولايات المتحدة الأمريكية السابع والثلاثين فيما بين عامي (١٩٦٩ - ١٩٧٤)، وكان قبل ذلك نائب الرئيس الأمريكي السابق عليه. ولكنه أضطر للتنحي في بداية مدة رئاسته الثانية بسبب فضيحة ووترجيت تحت وطأة الكونجرس بإدانته. كما كان زعيمًا للتيار العالمي (المضاد للتيار الإنغلاقي) داخل الحزب الجمهوري.

ريتشارد رورتي : Richard Rorty

(١٩٣١- ٢٠٠٧) الفيلسوف الأمريكي، الذي كان أستاذ الفلسفة في جامعة برينستون، وأستاذ العلوم الإنسانية في جامعة فرجينيا، وكذلك أستاذ الأدب المقارن في جامعة ستانفورد. وأسس شكلاً جديدًا من البراجماتية أو البراجماتية الجديدة. ومن أشهر أعماله **الفلسفة ومرآة الطبيعة** عام ١٩٧٩، و **الطوارئ، والسخرية،والتضامن** عام ١٩٨٩، **مقالات عن هيدجر وآخرون** عام ١٩٩١، و **تحقيق بلدنا : الفكر اليساري في القرن العشرين بأمريكا** عام ١٩٩٨.

روبرت براسيلاش : Robert Rasillach

(١٩٠٩ - ١٩٤٥) الكاتب والصحفي الفرنسي، الذي أعدم بسبب تهمة ارتكاب جرائم فكرية بدلاً من العمليات العسكرية أو السياسية ؛ ومع ذلك نسمع هتاف المناصرين له قبل إعدامه قائلين : " عاشت فرنسا على أية حال".

صدري الخياري : Sadri Khiari

ولد في ٢٦ فبراير ١٩٥٨ في تونس، وهو ناشط سياسي في تونس. حصل على شهادة الدكتوراه في العلوم السياسية عن ماركس والدولة. كما أنه عضو في المعارضة التونسية منذ أواخر عام ١٩٧٠. وكان من مؤسسي المجلس الوطني للحريات في تونس حيث كان مسؤولاً عن العلاقات الخارجية.

جوزيف ستالين : Stalin -

(١٨٧٨ - ١٩٥٣) القائد الثاني للاتحاد السوفيتي، ويعتبر المؤسس الحقيقي لها، عُرف بقسوته وقوته. قام بنقل الاتحاد السوفيتي من مجتمع زراعي إلى مجتمع صناعي مما مكن الاتحاد السوفيتي من الانتصار على دول المحور في الحرب العالمية الثانية والصعود إلى مرتبة القوى العظمى.

ستيفن مور : Stephen Moore

(ولد في ١٦ فبراير ١٩٦٠) هو الكاتب والاقتصادي والمحلل الأمريكي، الذي أسس السياسة وشغل منصب رئيس نادي من أجل تحقيق النمو فيما بين عامي ١٩٩٩- ٢٠٠٤. وهو حاليًا عضو في هيئة تحرير صحيفة **وول ستريت جورنال**. ومعروف عنه الدعوة إلى سياسات السوق الحرة والاقتصاد من جانب العرض. وهو الحاصل على شهادة الماجستير من جامعة جورج ماسون في الاقتصاد. وكان مور الخبير الاقتصادي البارز في الكونجرس الأمريكي للجنة الاقتصادية المشتركة في ظل الرئيس ديك آرمي من ولاية تكساس. ولقد استقال من منصبه كرئيس للنادي في ديسمبر ٢٠٠٤.

ستوكلي كارمايكل : Stokely Carmichael

(١٩٤١ - ١٩٩٨) ناشط سياسي من الأمريكان السود، الذي أنشئ جماعة معروفة باسم " الأسود السود ". قد بين سياسته من خلال كتابه المعنون باسم سلطة الأسود في

عام ١٩٦٧، حيث كان ناقدًا قويًا لحرب فيتنام. وفي عام ١٩٦٧ أبدى أسفه على قتل الماركسي الثوري تشي جيفارا.

تيودور أدورنو دبليو : Theodor W. Adorno

(١٩٠٣- ١٩٦٩) عالم الاجتماع والفيلسوف والموسيقي الألماني، وكان عضوًا في مدرسة فرانكفورت في النظرية الاجتماعية جنبًا إلى جنب مع والتر بنيامين وهربرت ماركوز وهابر ماس. ومن مؤلفاته **العقل والثورة**، و **جدلية التنوير**، و **إيروس والحضارة**.

توماس فرانك : Thomas Frank

من مواليد ١٩٦٥، وهو الكاتب والصحفي والمنظر السياسي الليبرالي الأمريكي وكاتب عمود سابق في صحيفة وول ستريت جورنال من ٢٠٠٨ حتى ٢٠١٠، وهو مؤرخ للثقافة والأفكار ومحلل سياسي واقتصادي. فضلاً عن اهتمامه بالبحث في العلاقة بين السياسة والثقافة في الولايات المتحدة الأمريكية.ومن مؤلفاته **غزو كول** عام ١٩٩٧.

توماس ألتيزر : Thomas J.J.Altizer

ولد في ٢٨ سبتمبر ١٩٢٧، وهو لاهوتي راديكالي عمل من ١٩٥٤ حتى ١٩٥٦ أستاذًا للدين، ثم أصبح أستاذًا مشاركًا في الكتاب المقدس والدين في جامعة إيموري فيما بين ١٩٥٦ - ١٩٦٨.

ثورستين فيبلين : Thorstein Veblen

(١٨٥٧ - ١٩٢٩)، وهو عالم الاجتماع والاقتصاد والسياسي الأمريكي والناقد المشهور للرأسمالية كما جاء في كتابه المعنون باسم " نظرية الطبقة العاملة "عام ١٨٩٩.

تود ميلاي : Todd Millay

حاصل على شهادة في القانون من جامعة ييل. ويعمل بشركة Choate مستشارين الاستثمار والعضو المنتدب لإدارة الثروات. يحاول ميلاي مساعدة الأثرياء الابتعاد عن القرارات الاستثمارية، التي تمزقها الصراعات. وفي عام ٢٠٠٤ ساعد ميلاي في تشكيل

التحالف العالمي، ومركز البحوث لثروة العائلة، والأعمال التجارية والعمل الخيري. وهو المسؤول عن الإشراف على مبادرة المنظمة لتأسيس شبكة عالمية من أغنى العائلات في العالم. وفي عام ٢٠٠٥، قد عقدت المنظمة مؤتمرها العالمي الأول في دبي بالأمارات العربية المتحدة. واستقطب الحدث الملوك والمليارات.

توني بلير : Tony Blair

ولد في ٦ مايو ١٩٥٣، وهو رئيس الوزراء في المملكة المتحدة في الفترة فيما بين ١٩٩٧ - ٢٠٠٧. كما كان عضو في مجلس النواب أو البرلمان، وزعيمًا لحزب العمل فيما بين عامي ١٩٩٤- ٢٠٠٧. ولكنه، استقال من جميع هذه الوظائف في يونيو ٢٠٠٧.

ليون تروتسكي : Trotsky

(١٨٧٩ - ١٩٤٠) منظر ماركسي روسي، وكان واحدًا من البلاشفة الثورية، ومن قادة ثورة أكتوبر الروسية، كما كان مؤسس وقائد الجيش الأحمر والمفوض لرجال الحرب. وكان شخصية رئيسية في انتصار البلاشفة في الحرب الأهلية الروسية. ولكن بعد ذلك طُردَ من الحزب الشيوعي وأبعد من الاتحاد السوفيتي، واغتيل بناءً على أمر ستالين.

فيديريكو باريتو: Vilfredo Pareto

(١٨٤٨- ١٩٢٣) المهندس وعالم الاجتماع والاقتصاد والفيلسوف الإيطالي، الذي قدم مساهمات مهمة عديدة في الاقتصاد ولاسيما في دراسة توزيع الدخل وتحليل الخيارات للأفراد. وقدم ما يُعرف بمفهوم " كفاءة باريتو "، الذي ساعد في تطوير مجال الاقتصاد الجزئي. واكتشف أن الدخل يتبع قانون السلطة. فقاعدته يطلق عليه أيضًا حكم ٨٠-٢٠% الذي يبين فيه كيفية توزيع الثروة حيث ندد بزعماء الاشتراكية بوصفهم استقراطية من اللصوص. فكان - إذن - منشغلاً بمسائل السلطة والثروة.

فلاديمير بوتين : Vladimir Putin

ولد في ٧ أكتوبر ١٩٥٢، وهو رئيس وزراء روسيا. وأصبح قائم بأعمال الرئيس في ٣١ ديسمبر ١٩٩٩، وبعدها فاز في الانتخابات الرئاسية في عام ٢٠٠٠. ويرجع إليه الفضل في

تحقيق الاستقرار السياسي، وإعادة إرساء سيادة القانون. كما سعى إلى إدارة الاقتصاد الكلي القوي وإجراء اصلاحات السياسة المالية، وارتفاع أسعار النفط وتدفقات رأس المال.

والتر بنيامين : Walter Benjamin

(١٨٩٢- ١٩٤٠) مفكر يهودي ألماني وناقد أدبي وفيلسوف وعالم اجتماعي ومترجم ومذيع وكاتب. وعمله يجمع بين عناصر من المادية التاريخية والمثالية الألمانية والتصوف اليهودي. وارتبط بمدرسة فرانكفورت في النظرية النقدية. ومن أعماله **نظرية الترجمة، التشابهات الاختيارية** عن جوته، ومقالة " العمل الفني في عصر الاستنساخ الميكانيكي " عام ١٩٣٦، ومقالة " مهمة المترجم " عام ١٩٢٣.

ويل هوتون : Will Hutton

ولد في ٢١ مايو ١٩٥٠، وهو الكاتب الإنجليزي، وحاليًا نائب الرئيس التنفيذي للمؤسسة والعمل (المجتمع الصناعي سابقًا). وفي عام ٢٠١٠ قد عين لقيادة تحقيق في خفض أجور القطاع العام من قِبل رئيس الوزراء ديفيد كاميرون.

ويليم بيوتر هندريك : Willem Buiter

ولد في ٢٦ سبتمبر ١٩٤٩ وكان عضوا في بنك إنجلترا ولجنة السياسة النقدية في عام ١٩٩٧. وفي عام ٢٠٠٧ انضم إلى مدرسة لندن للاقتصاد وكرسي في المعهد الأوروبي في عام ٢٠٠٥. وأما في عام ٢٠٠٩ أنضم إلى مجموعة سيتي جروب وكان رئيس خبراء الاقتصاد.

فوجسيش روسزكوفسكي : Wojciech Roszkowski

ولد في ٣٠ يونيو ١٩٤٧، وهو اقتصادي ومؤرخ وأستاذ السياسة البولندي، وعضو في البرلمان الأوروبي فيما بين عامي ٢٠٠٤ – ٢٠٠٩.

يهودي مينوهين : Yehudi Menuhin

(١٩١٦- ١٩٩٩) عازف الكمان وقائد الأوركسترا الروسي اليهودي الأمريكي، الذي قضى معظم حياته المهنية في الأداء والعزف في المملكة المتحدة. ويعد واحدًا من أعظم عزفي الكمان الموهوبون في القرن العشرين. حصل على العديد من الجوائز منها جائزة الموسيقى في الدنمارك في عام ١٩٧٢، وتم تعيينه عضوًا في وسام الاستحقاق عام ١٩٨٧، وفي عام ١٩٩٢ أختارته منظمة اليونسكو كسفير للنوايا الحسنة.

****

المؤلف في سطور:
سلافوي جيجيك

فيلسوف ومنظر اجتماعي وناقد سلوفيني، ولد في ٢١ مارس ١٩٤٩. له مساهمات في النظرية السياسية ونظرية التحليل النفسي. وهو باحث كبير في معهد علم الاجتماع بجامعة ليوبليانا، سلوفينيا، وأستاذ في كلية الدراسات العليا الأوروبية. كما كان أستاذًا زائرًا في عدة جامعات منها جامعة شيكاغو وجامعة كولومبيا وجامعة برنستون وجامعة نيويورك والمدرسة الجديدة وجامعة مينيسوتا. وهو حاليًا مدير للمعهد الدولي للعلوم الإنسانية "بيركبك" birkbec، جامعة لندن ورئيس جمعية التحليل النفسي النظرية. وهو يسارى بحسب ما وصف نفسه في أكتوبر عام ٢٠٠٩.

ولـ "جيجيك" كُتب في العديد من الموضوعات كالرأسمالية والعنصرية والتسامح والتعددية الثقافية وحقوق الإنسان والبيئة والعولمة والحرب على العراق والثورة وما بعد الحداثة واللاهوت السياسي مثل :

The subline object, of ideolgye, demarding the impossible و "سنة الأحلام الخطيرة" "The year of draming dangerousty الذى تُرجم مؤخراً إلى العربية , و "Last Than nothing : Hgel and shadow of Dialectid materialism".

المترجمة في سطور:
غادة الإمام

- حاصلة على الدكتوراه في الفلسفة، عام ٢٠٠٧، من كلية الآداب - جامعة القاهرة.
- مدرس الفلسفة وعلم الجمال بآداب القاهرة. عضو في اللجان الاستشارية بمكتبة الإسكندرية.

من أعمالها:

- **الفن والحقيقة في فلسفة هيدجر**، رسالة ماجستير غير منشورة.
- **جماليات الصورة عند جاستون باشلار** (بيروت - لبنان: دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، سنة ٢٠١٠).
- بالإضافة إلى ترجمة كتاب "هيدجر "مقدمة موجزة"، تأليف: ميشال إغودد، "تحت الطبع".
- **لها العديد من المقالات منشورة، منها:**
- " مفهوم النقد عند أميرة مطر "، في مجلة أوراق فلسفية (العدد الثامن، ديسمبر ٢٠٠٣).
- " الفن والحقيقة عند هيدجر "، في مجلة أوراق فلسفية (العدد التاسع، سنة ٢٠٠٤).
- " استطيقا الصورة الشعرية "، في مجلة إبداع (العددان ٢-٣، ربيع وصيف ٢٠٠٧).
- " فلسفة الحياة والموت بين الأساطير والفنون : رؤية باشلارية "، في مجلة كلية الآداب (المجلد ٧٠، العدد الرابع، أكتوبر ٢٠١٠).
- " الفلسفة والشعر عند ماريا ثامبرانو : رؤية هيدجرية "، في مجلة أوراق فلسفية (العدد التاسع والعشرين، سنة ٢٠١٠).
- " تيارات الفكر الجمالي في الثقافة المصرية: رؤية نقدية "، (معد للنشر بمجلة الفلسفة والعصر.

المراجع
أ.د. محمد مدين

- أستاذ الفلسفة بكلية الآداب جامعة القاهرة.
- له العديد من المؤلفات فى الفلسفة الحديثة منها :
- "فلسفة هيوم الأخلاقية"، دار الثقافة للطباعة والنشر، ١٩٩٢.
- ترجم كتاب "حل المشكلات اليومية"، وكتاب "عن النزعة الإنسانية"، وكتاب "نظرية القيمة عند راسل"، ٢٠٠٣.